الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية — كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

العمارة في الشعر المغربي القديم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي والأندلسي

إعداد الطالبة:

أمال بوقرزي

إشراف الأستاذة الدكتورة:

سكينة قدور

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د.أمال لواتي	أستاذة	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د.سكينة قدور	أستاذة	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
أ.د.زينب بوصبيعة	أستاذة	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
د.نوال بومعزة	استاذ محاضر "أ"	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا

السنة الجامعية : 1435 -1436هـ/ 2014-2015م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإسلام فأصبحنابفضله من المسلمين وغدت أرض المغرب العربي قبلة ثانية تشرق منها شمس الاسلام إلى عوالم أخرى،فمنذ وطئت أرجل الفاتحين بلاد المغرب بزغت شمس الحضارة على هذه الأرض الطيبة وبعثت فيها الحياة من جديد ليعيش سكان المغرب في كنف الحرية الروحية.

وما إن أدرك أهل المغرب قداسة الدين الإسلامي حتى دخلوا فيه أفواجا ومجدوا لغته فكان لأرض المغرب العربي أن تتعرب، فأصبحت اللغة العربية لغة الحياة والجمال ،فتفجرت القرائح وأسهم أهل المغرب بنصيب من الإبداع الفني والأدبي وكان لفرسان البيان والشعر والنقدأن يكشفوا عن هذا الجمال ويرسموا لوحات فنية ناطقة امتزجت بألوان الطبيعة الساحرة.

جاء الأدب العربي في المغرب امتدادا للأدب العربي في المشرق ولد وترعرع بين أحضانه حتى استقام عوده فانفصل بذاته نثرا وشعراوقد أسهمت في اثراء التراث الفكري والأدبي والعلمي شخصيات مبدعة من أبناء هذاالوطن وغيره مخلفة أثارا بارزة عبرت بأصدق صورة عن المجتمع المغربي بفضائله وفكره وفضاء تميزه، فطبيعة الأرض المغربية وجغرافيتهاالمتنوعة المعالم من جبال شاهقة ووديان جارية وحدائق باسقة وعمائر سامقة بقصورها ودورها ومآذنها استطاعت أن تجعل أبناء هذا القطر، ومن وفد عليه يزيح اللثام عن هذا الجمال المترتبط بالمكان .

فجاء بحثي الموسوم: "العمارة في الشعر المغربي القديم " وكان من دواعي هذا الاختيار الكشف عن التوأمة الحضارية شعر/عمارة وعن أبعادها الحضارية في الموروث الإبداعي الشعري بتتبع هذه الظاهرة عبر فترات متلاحقة من تاريخ المغرب العربي لمعرفة مدى تفاعل الشاعر المغربي القديم مع بيئته.

الشعر والعمارة نتاجين حضاريين على أرض المغرب العربي فكيف تفاعلا وشكلا توأمة في الموروث الشعري المغربي؟ وهل استطاع الشاعر في المغرب العربي أن يخلد ما أبدعه الفنان المعماري على مدى مساحات شاسعة من الزمن؟ وهل ما خلده الشاعر كان كافيا يفي المنطقة حقهامن الإبداع أم أن هناك ماصرفه في تسليط الضوء عن الجوانب المادية؟ وهل قلة الإنتاج الشعري في هذا الموضوع تعكس بصورة صادقة قلة المعمار على أرض المغرب العربي؟ وهل ماتواجد من معمار- رغم قلته عبر هذه المساحات الترابية الشاسعة من المغرب العربي -

كان محفزا لقرائح الشعراءكما حدث في المشرق العربي والأندلس؟ وما مدى تأثره وتأثيره في الأصقاع المجاورة؟ وهل ماسجله الشاعر عن المعمار كان مستقلا في قصائد خاصة به أم اندرج ضمن الأغراض الأخرى المعروفة؟ وهل عكس الشعر المعماري الجوانب الحضارية على أرض المغرب العربي وجسد خصائص الشخصية المغربية ؟ومامدى تأثرالشاعر المغربي ببئته ودورها في صقل شخصيته؟ وماهودوره في بناء لبنة من لبنات الحضارة الإسلامية؟

أما الخطة التي اتبعتها تمثلت في مقدمة تلتها ثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: ارتكزت في الفصل الأول الموسوم "التراث المعماري بالمغرب العربي" حددت فيه المجال الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي ثم تطرقت إلى أهم حواضره العلمية والثقافية كما أشرت إلى بعض التأثيرات الفنية الواقعة بين عمائر الشرق المغرب المشرق و الأندلس.

أماالفصل الثاني:الذي جاء بعنوان "الصورة المادية للعمارة في غرض الوصف" تم فيه عرض وصف بعض الحواضر ومعالمهاووصف أهم القصور والدور والمقصورات مع تحليل أبعادها الجمالية والحضارية.

وخصصت الفصل الثالث المعنون "الصورة الوجدانية للعمارة في الأغراض الشعرية"، والمتمثلة في الشوق والحنين للعمارة المدينة، رثاء المدن والأمصار، المفاضلة بين مدن المغرب والمشرق والأندلس كظاهرة إقليمية ميزت الشاعر المغربي.

واتجهت بالموضوع في الفصل الرابع نحو: شعرية المكان المعماري حيث بينت تشكيلاته الفنية من خلال عرض للمكان والمتخيل الشعري وبعض الصور البصرية والصوتية تلتها بعض الصور الحضارية للمكان المعماري، كظاهرة شعر الرقوش وماتحمله من أبعاد فنية وجمالية.

وختمت بحثي بجملة من النتائج.

أما عن أهم المصادر والمراجع التي مهدت لي الطريق فهي كثيرة منها يخدم الجانب التاريخي والمعماري لبلاد المغرب العربي ومنها مايخدم الجانب الشعري والفني للعمارة أذكر منها:

"نفح الطيب "للمقري،"المقدمة "لابن خلدون ""عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء

في المائة السابعة ببجاية"للغبريني المغرب العربي تاريخه وثقافته " لرابح بونار "تاريخ الأدب الجزائري "لمحمد الطمار "تاريخ الجزائر العام"لعبد الرحمان الجيلالي , " المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب العربي من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس" الطاهر طويل. "المدن المغربية وعواصم بني زيري" اسماعيل العربي,"مناهل الصفا "لعبد العزيز القشتالي "فن الرقوش في الشعرالأندلسي" لايمان الجمل,"الشعر والعمارةتوأما حضارة "لظاهر أبو غزالة.

وقداتبعت في البحث المنهج التاريخي من خلال تتبع التراث المعماري عبر فترات متتالية من تاريخ المغرب العربي كما وظفت المنهج الوصفي المبني على التحليل حسب مايقتضيه البحث مستعينة ببعض أليات المناهج النفسية والأسلوبية والدلالية.

إن رحلة البحث في فني العمارة والشعر على أرض المغرب العربي خلال العصور الوسطى ليست بالرحلة السهلة، وإن محاولة استنطاق الشعر للبوح بما كانت تكتنزه هذه الأرض من معالم معمارية بائدة والكشف عن الصور الحضارية الثاوية وراءهاتحتاج إلى جهد وجرأة لمكاشفتها لأن الرحلة وراء الأنقاض تبحث في دائرة مفقودة من أدبنا العربي بالمغرب العربي القديم عبرمساحات ترابية ومائية تقدر بالأميال، ولعل قلة المعالم المعمارية المخلدة في الموروث الشعري خلال فترات الدول والإمارات القائمة على أرض المغرب العربي اضطرني إلى تتبع هذه الظاهرة خلال فترة زمنية طويلة منذ بداية الفتح إلى بداية قيام الدولة العثمانية.

تبدأ الرحلة الحضارية على تراب المغرب العربي بالبحث عن المادي البائد والشعري المتناثر بين أقطاره مما يجعلها صعبة وشاقة تحتاج إلى متضلع يخوض غمارها ومابالك وإن تعلقت بموروث مازال بكرا موزعا بين رفوف الخزائن وماحفظ منه أغلبه مازال مخطوطا بمكتبات وخزائن الزوايا وقد فعل به الزمن مافعل.

ومن العقبات التي واجهتني غياب دراسات تجمع بين المعمار والشعر في المغرب العربي مع عدم وجود قصائد مستقلة بالجانب المعماري إلا ماكان مندرجا ضمن أغراض أخرى كالوصف والمدح والرثاء وماوجد مبثوثا في بعض كتب التاريخ أوالتراجم والفقه وتآليف أخرى

سياسية وجغرافية ،وإن وجدت موزعة على فترات زمنية متباعدة.

مايزال الأدب العربي بالمغرب العربي في حاجة ملحة إلى البحث والدراسة وماكتب عنه حتى الآن يظل جهدا أوليا لمجموعة من الباحثين والدارسين ولايعطي صورة واضحة عن واقع حركته الأدبية الفكرية.

وأخيرا فان جهود الباحثين والدارسين للأدب المغربي ومساعيهم الحثيثة في الكشف عن هذا الإرث الحضاري بحاجة إلى إصرار مستمر لمواصلة البحث وتقديم الشواهد المخلدة لمبدعين تركوا بصماتهم.

وفي الختام أرفع جزيل شكري، وعظيم امتناني إلى أستاذتي المشرفة قدور سكينة على تحملها أعباء الإشراف على هذا البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

التراث المعماري بالمغرب العربي القديم

1- جغرافية المغرب العربي القديم

2-العمارة لغة

3-العمارة اصطلاحا

4-أهم الحواضر المعمارية بالمغرب العربي

5-التأثيرات الفنية الواقعة بين عمائرالمغرب والبلاد الإسلامية

5-1-التأثيرات الفنية الواقعة بين عمائر الشرق والغرب

5-2-التأثيرات الفنية الواقعة بين عمائر المغرب والأندلس

5-2-1-التأثيرات القرطبية في عمارة المغرب الأقصى

5-2-2-التأثيرات القرطبية في عمارة المغرب الأوسط

5-3-مآثر المرابطين والموحدين المعمارية والثقافية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- جغرافية المغرب العربي القديم

وصف الجغرافيون والمؤرخون بلاد المغرب ووضعوالهاحدودافالإصطخري قسمها إلى قسمين شرقي وغربي: "فأما الشرقي فهو برقة وافريقة وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة ومافي أضعاف هذه الأقاليم وأما الغربي فهو الأندلس"[1] كما قسم ابن حوقل البلاد التي طاف بأرجائها ذهابا وإيابا إلى قسمين شرقي يمتد من برقة إلى نواحي افريقيةوقسم غربي يمتد من افريقية إلى البحر المحيط، وهذا القسم: "بلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والضياع، والمياه والولاة والسلاطين والملوك والحكام والفقهاء وكل ذلك في جملة صاحب المغرب وحوزته وقبضته أو في يد خليفته"[2]

ويجعل المقدسي من المغرب والأندلس بلدا واحدا، ويقول "قد جعلنا المغرب مع الأندلس كهيطل، وخرسان غير أنا لم ندخل الأندلس فنكورها "أماعن تقسيمات بلاد المغرب، فيقول عنها :" أول كورة من قبل مصر برقة ثم إفريقية، ثم تاهرت، ثم سجلماسة ثم فاس، ثم السوس الأقصى، ثم جزيرة صقلية تقابل افريقية، والأندلس وراء البحر على أرض الروم"[3]. بينما قسم أبو عبيد البكري بلاد المغرب إلى افريقية، وبلاد المغرب، أما عن المغرب الأوسط فيذكر قاعدته المتمثلة في مدينة تلمسان إذ يقول :"هذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها الأسواق، ومساجد" أما المغرب الأقصى فيحدده بالمناطق الممتدة غرب مدينة فاس، وهي المدينة التي يقول عنها إنها: "دار مملكة بني إدريس بن عبد الله " والتي كانت نقطة إتصال مهمة ببلاد الأندلس. ويحدد إفريقيا في مجال يمتد طولا من :" برقة شرقا إلى مدينة طنجة غربا... و عرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان "[4]

بينما حدد ابن عذارى فضاء بلاد المغرب "من ضفة النيل بالإسكندرية، التي تلي بلاد المغرب، إلى أخر بلاد المغرب وحده مدينة سلا ". ويقسمه إلى مجموعة أقسام :قسم من

[1] الاصطخري: المسالك والممالك، تح، محمد جابر عبد العال الحسيني، دار القلم، القاهرة، 1961، ص33.

[2] ينظر: ابن حوقل : صورة الأرض، دار صادر بيروت، 1938، ص 83-84

[3] المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية بيروت، 2003، ص 179.

[4] أبو عبيد البكري : المسالك والممالك، ج2، تح جمال طلبة، دار الكتب العلمية بيروت، 2003، ص 193- 259- 302.

الإسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها وأقلها عمارة، وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد ويقال له أيضا بلاد الزاب الأعلى. يلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها إلى مدينة تيهرت. أمابلاد المغرب هي بلاد طنجةوحدهامدينةسلا وهي أخر المغرب. هذاالتقسييم يعتمد على كون بلاد المغرب أشبه بالجزيرة دخل فيها مصر والقيروان والمغرب الأوسط والزاب والسوس الأقصى.

ويعتبر الشريف الإدريسي من أشهر الجغرافيين وقد ميز بين المغارب الثلاث، وهذا باخضاع تقسيمه إلى مركزية المدن التي كانت مركز السلطة السياسية بالنسبة لإفريقية، والمغرب الأقصى ففي حالة المغرب الأوسط يقول :"مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط". أماعن بلاد افريقية فقد ذكر أن "المهدية قاعدة بلاد افريقية وقطب مملكتها". فيما يحدد المغرب الأقصى بمركزه فاس حيث يصف المدينة بأنها "قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى". [1]

يظهر من خلال التحديدات التي اعتمدها الجغرافيون والمؤرخون أنهم لم يضبطوا بصورة واضحة معالم وحدود المغرب والذي أخذ فترة للتشكيل والتكوين وهذا لتأثيرالعامل السياسي الذي أثر في تشكيل حدود السيادة التي تستطيع الدولة ممارستها في اقليم معين، وقد يزيد أو ينقص هذا المجال تبعا لقوة الدولة وما عرفته المنطقة من تدخلات للقوى الإسلامية الكبرى وعلى رأسها التدخل الأندلسي العبيدي الفاطمي إلى بلاد المغرب ومنذ القرن الثالث مثلما يرى محمد الطالبي أضحت بلاد المغرب "فسيفساء شاسعة محيرة، يكاد تشعبه وعدم استقراره وتشابكه يتحدى الإدراك".

أما ابن خلدون نظرته أكثر شمولية لبلاد المغرب، فالمغرب الإسلامي يعرفه بقوله:"اعلم أن لفظ المغرب في أصل وضعه اسم اضافي يدل على مكان من الأمكنة باضافته إلى المشرق، ومشرق بالإضافة إلى جهة المغرب"[2].

وعليه يكون المغرب جزء من العالم الإسلامي المكون من المشرق والمغرب ويكون هذا التقسيم متقدما على باقي التصنيفات الأخرى، حيث أن عصر ابن خلدون انتهت فيه مرحلة

[1] ينظر:الطاهر طويل:المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، مطابع حسناوي، ط1، 2011، ص32

[2] عبد الرحمان بن خلدون :ديوان العبر، ج6، دار الفكر، بيروت، 2000، ص 128.

تشكل واندماج بلاد المغرب في مجال جغرافي جديد هو العالم الإسلامي. [1]

أما عن مصطلح الغرب الإسلامي فهو مصطلح حديث في الدراسات الغربية الحديثة، اعتمده المحدثون ويعنون به الجناح الغربي من العالم الإسلامي، إلا أن حدود الغرب استمرت في المد والجزر تبعا لمؤثرات سياسية واجتماعية وغيرها.

المراد بلفظ المغرب كل مايقابل المشرق من بلاد، وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله، فجعله البعض يشمل بلاد شمال افريقيا بالإضافة إلى اسبانيا الإسلامية (الأندلس) وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. مثل صقلية وجنوب ايطاليا وجزيرتي سردانيا وفورسيقا، وجزر البليار أو الجزر الشرقية وهي ميورقة ومنوقة ويابسة. [2]

ويذهب فريق آخر مثل المؤرخ ابن سعيد المغربي إلى اعتبار مصر أيضا ضمن البلاد المغربية باعتبارها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة الغربية في الفترة الإسلامية الأولى، ويؤكد ذلك مايرويه ابن عذارى من أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك قلد عبد الله بن الحباب ولاية مصر والمغرب والأندلس فكان له من العريش شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا إلى جبال البرتات عند الحدود الفرنسية شمالا.

وهي مساحة شاسعة تبلغ في مجموعها نصف مساحة الدول الإسلامية. وفي أيام العباسيين زاد مدلول المغرب اتساعا، فصارت الشام أيضا ضمن المغرب، فيما روى المسعودي أن العباسيين قسموا مملكتهم إلى قسمين وهما: المغرب ويشمل الشام ومصر وافريقيا ومايليها غربا والمشرق يضم بلاد فارس ومايليها شرقا. [3]

ولكن بالرغم من كل هذه التقسيمات فان جمهرة المؤرخين والجغرافيين العرب اتفقوا على تحديد كلمة مغرب بالأراضي الإسلامية الممتدة غربي مصر إلى المحيط الأطلسي.

[1] الطاهر طويل :المدينة الاسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، دار حسناوي. ط1، 2011، ص35.
[2] أحمد مختار العبادي :في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، 1978، ص9.
[3] ابن عذارى : البيان المغرب، ج2، ص40

"وعلى هذا الأساس كانت مدينة الإسكندرية هي الحد الفاصل بين المغرب والشرق، ولهذا عرفت باسم "باب المغرب" أو العائدين إليه سواء بالبر أو البحر بقصد التجارة أو طلب العلم أو تأدية فريضة الحج، وهذا الموقع قد أعطى مدينة الإسكندرية طابعا مغربيا مازلنا نلمس أثاره حتى اليوم"[1]

وهكذا فان مدلول لفظ المغرب في العصور الوسطى كان أوسع من مدلوله اليوم خصوصا بعد أن خرج منه القسم الأوروبي وأصبح قاصرا الآن على بلاد شمال إفريقيا فقط أو مايسمى بالمغرب العربي الكبير.

عرف المغرب بثلاث أقسام كبيرة بحسب قربها أو بعدها من مركز الخلافة في المشرق وهي هذا التقسيم المتمثل في (المغرب الأدنى، المغرب الأوسط والمغرب الأقصى) تقسيم أوجبته الضرورة السياسية أو الإدارية لأن المغرب الكبير وحدة متماسكة تجلت مظاهرها في نواحي جغرافية بشرية وإقتصادية اجتماعية تصب في وعاء حضاري واحد.

المغرب الأدنى ويسمى أيضا إفريقية، شمل جمهورية تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر وكانت عاصمته مدينة القيروان أيام حكم الأغالبة و المهدية أيام الفاطميين ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين.

المغرب الأوسط: ويشمل بلاد الجزائر، وكانت عاصمتة مدينة تاهرت في عهد الدولة الرستمية (وتقع تقريبا في مكان تيارت الحالية في ولاية وهران غربي الجزائر) وفي أيام الدولة الزيرية الصنهاجية التي خلفت الفاطميين في حكم المغرب صارت العاصمة مدينة أشيرثم انتقلت العاصمة إلى تلمسان غربا أيام دولة بني عبد الوادأو بني زيان في القرن السابع الهجري وأخيرا صارت جزائر بني مزغنة وهي مدينة الجزائر وهي العاصمة حتى اليوم. [2] وكلها حواضر شهدت عمارة بعضها حفظها لنا الشعراء وبعضها الأخر أباده الزمن ولم يتسنى للشعراء حفظه.

[1] أحمد مختار العبادي:في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، 1978، ص10

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

المغرب الأقصى:

يعرف اليوم بالمملكة المغربية أو المغرب ترددت عاصمته بين فاس (البيضاء) ومراكش (الحمراء) أسس الأدارسة العلويون مدينة فاس عام (191هـ) واتخذوها عاصمة لهم وجاء بعدهم المرابطون وبنوا مدينة مراكش عاصمة وبعدهم جاء بنو مرين أو(بنو عبد الحق) في القرن السابع الهجري فاتخذوا مدينة فاس قاعدة لحكمهم وتبعهم في ذلك بنو وطاس في القرن التاسع الهجري إلى أن جاء السعديون في القرن العاشرونقلوا عاصمتهم إلى مدينة مراكش وعاصمة المغرب اليوم هي الرباط[1].

للطبيعة الجغرافية أهمية كبيرة في التأثير على نشأة العمارة وتكوين الفنون وذلك لأن توفر الماء ووجود الأنهار وكثرة الغابات وخصوبة الأراضي كل ذلك يساعدعلى سرعة قيام المدن وانضاج الفنون والحضارات في وقت قصير.

[1] ينظر: أحمد مختارالعبادي:في تاريخ المغرب والأندلس ص 11.

2-العمارة لغة

لفظ عمارة مشتقة من عمر الإنسان، ف (عمر) أي أطال العمر، وعمر الرجل يعمر وعمرا وعمارة وعمرا وعمره أبقاه، ويقال: أعمرته الدار عمري، أي جعلتها له يسكنها مدة عمره، فإذا مات عادت إلي".

ويقال "عمرالله بك منزلك، يعمره عمارة، وأعمره جعله آهلا" ومكان عامر: ذو عمارة، ومكان عمير:عامر. وأعمرت الأرض وجدتها عامرة، وعمرت الخراب أعمره عمارة فهو عامر أي معمور.

وعمر الرجل ماله وبيته يعمره عمارة وعمورا وعمرانا: لزمه وأنشد أبو حنيفة:

أدام لها العصرين ريا ولم تكن كما ضن عن عمرانها بالدراهم.

ويقال لساكن الدار عامر، والجمع عمار. وأعمره المكان واستعمره فيه جعله يعمره. "والمعمر المنزل الواسع من جهة الماء والكلأ الذي يقام فيه" والعمارة لاتكون في أي مكان بل يشترط أن تكون في بيئة صالحة يتوفر بها الماء والكلأ. قال طرفة بن العبد: يالك من قبرة بمعمرويقال أتيت أرض بني فلان فأعمرتها أي وجدتها عامرة والعمارة:مايعمر به المكان.

كما ارتبطت هذه اللفظة بالشعائر والفروض الدينية الإسلامية ومعنى العمرة الطواف بالبيت والسعي بين الصفاء والمروة، وهي مأخوذة من الإعتمار وهو الزيارة واعتمر قصد مكانا معامرا"[1]

كما أنها ارتبطت بالزي الذي شاع لدى المسلمين:"والعمار والعمارة: كل شئ على الرأس من عمامة أوقلنسوة أو تاج". ولها علاقة بالرائحة الطيبة:"والعمار:الآس، والعمار:الطيب الروائح" كما لها علاقة بقواعد السلوك الأخلاقية:"والعمارة: التحية"بالإضافة إلى معاني أخرى كالستر والعبادة والأدب:"ورجل عمار: مستور. عامر لربه:أي عابد. وعمار: الرجل يجمع أهل بيته وأصحابه على أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم".

[1] ابن منظور:لسان العرب مادة (ع م ر)

جاء في لسان العرب الحضارة:الإقامة في الحضر، عن أبي زيد وكان الأصمعي يقول: الحضارة بالفتح، وقال القطامي:

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا.

والحضر والحضرة والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار. [1]

ارتبطت المدن بالعمارة,هذه الأخيرة التي يعرفهاالراغب الأصفهاني:"أنها نقيض الخراب,يقال عمرأرضه يعمرها. قال: وعمارة المسجد الحرام يقال:عمرته فعمر فهو معمور. قال: "وعمروها أكثر مما عمروها" و"البيت المعمور.واعتمرته الأرض واستعمرته,إذافوضت إليه العمارة".[2]

من المعنى اللغوي نخلص إلى أن العمارة وجه من أوجه الحضارة بالديارالتي فيها الإستقرارالدائم على إمتداد السنة بخلاف حياة البداوة القائمة على الحل والترحال الدائمين.

ولقد تدرج معنى اللفظة واتخذت في صيغتها العمارة والعمارة والعمارة أشكالالتجمع الناس في وسط معين كان الإنطلاقة الأساسية لعمارة المدينة:"و العمارة والعمارة: والعمارة والعمارة:أصغر من القبيلة، وقيل هي الحي العظيم الذي يقوم بنفسه ينفرد بظعنها واقامتها ونجعتها" حتى أصبحت لفظة عمارة عامة شاملة لكل مايبنى على الأرض:"والعمارة: هي عمارة الأرض".

[1] ابن منظور، لسان العرب مادة (ح، ض، ر)

[2] الراغب الأصفهاني: المفردات في شرح غريب القران، تح، محمدخليل عيتاني، دار المعرفة لبنان، 1998، ص 350.

3-العمارة اصطلاحا:

العمارة في المعنى اللغوي سبيل إلى المفهوم الإصطلاحي فهذه اللفظة تحدرت من المجتمع العربي قبل الإسلام وقد رافقت الإنسان في تكوينه الجسدي والروحي، وفيما أنتجه من أعمال مادية لهاعلاقة بمسكنه وملبسه وعباداته إلى أن اتخذت هذه اللفظة أشكالا لتجمع الناس في وسط معين كان الإنطلاقة لعمارة المدينة[1].

بينما أصل كلمة العمارة "عمر "، وهي تشمل كل ماهو على وجه الأرض من مباني ومنشآت ومساكن سواء كانت من إنتاج متخصصين معماريين أو مهندسين أم غير متخصصين، وهي تضم كل ماحولنا، فكل ماأقامه الإنسان منذ بدأ التاريخ من منشآت ومباني وجسور وشوارع وميادين وساحات تندرج تحت العمارة بمسميات مختلفة، وهو ما يكسبها الأهمية القصوى كمنشأ منتج لكل فن، لدرجة أنها صنفت بأم الفنون وأولها لما تحتويه من تنوع فني وماتمثله من بيئة مناسبة للإبداع الفني وبالتالي فهي أكثر الفنون التي لها فائدة مباشرة للإنسان وقد أطلق عليها العلامة ابن خلدون " صناعة البناء في قوله: "هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في إتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لابد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحروالبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها... وهذه الصناعة تتنوع أنواعا كثيرة، فمنها البناء.. والتنميق والتزيين".[2]

الإقامة بالحواضر سمة من سمات المدنية ورمز للاستقراروالإنتقال من طور البداوة إلى الحضارة ولايتسنى للفرد والمجتمع ذلك إلا بالإقامة في المدن وتشييد الدور والمنازل والقصور وكما جاء في تاج العروس الحضارة من الإقامة في الحضر والحاضرة والحضر هي المدن والقرى والريف وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي لهم بها قرار. وفي لغة العرب التمدن مصدر قياسي من تمدن، وهذا الفعل مزيد من قولناهومدن بالمكان أي أقام به، والإقامة تحمل معنى الثبات والاستقرار. ذكر الجوهري فعل مدن وقال:مدن بالمكان أي أقام به....

[1] ينظر سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمتين، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 2006، ص126 -128

[2] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ط1، 2007، بيروت، ص442-443.

وفلان مدن المدائن كما يقال مصر الأمصار... وهذا يعني أن الفعل "تمدن" ومصدره "التمدن".

والملاحظ هنا أيضا أن كلمة تمدن تحمل في نفسها دلالات صرفية يسبغها عليها وزن تفعل ومصدره التفعل وهو مايحمل معنى تكلف الأمر وتعاطيه فالأصل هوالبداوة ولما تكلف الإنسان في التأنق وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار بما يزيد عن حاجته ويحقق له من أسباب الراحة والدعة دخل في طور المدنية والتمدن باتخاذ المدينة مكانا له. كما يأتي الوزن (تفعل) بمعنى استفعل في الطلب، فقالوا تفهم واستفهم بمعنى واحد، وهذا يعني أن التمدن قد يفيد في لغه ابن خلدون طلب الإقامة في المدينة وهو مايدل أن التمدن غاية وفي الغاية طلب. [1]

إن التطور الذي شهده العالم منح المدينة دلالات متنوعة، فلم تعد تعني فقط الإقامة بالمكان أو بناء الحصن وإنما تعني الفن بتشعباتها الكثيرة من هندسة ونحت وأدب، وتعني التاريخ والسياسة والتجارة كما تعني الشوارع والعمارات المنشآت المدنية والدينية، والأرض بترابها ومائها وتعني أيضا ماضي الإنسان المتطور نحو الأكمل هي صورة لمكافحة الزمن هي صورة لقصة الإنسان وحضارته. [2]

يعد المعمار من الوجهة الحضارية أحد الشواهد العينية التي شيدها الإنسان في التراث الإنساني بوجهيه المادي والمعنوي "المعالم المعمارية والأثرية في أي قطر ولدى أي شعب هي بمنزلة الذاكرة الجماعية التي تشعر الأمة وتربطها بماضيها وبمثابة بطاقة التعريف التي تظهر جوانب التفوق ومواطن الإبداع التي تكسبها المكانة المميزة في العطاء الحضاري والإسهام الإنساني"[3]

لاتوجد حضارة من فراغ، أو من اللاموجود إنما تسبقها حضارات يلي بعضها بعضا كما تعتبر الحضارة ظاهرة إنسانية. " ممثلة في مجموع المنجزات والخبرات الإنسانية المعنوية والمادية

[1] ينظر: حسن اسماعيل: الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون، دار الفارابي ص 259-261.

[2] المرجع نفسه ص 11.

[3] محمد الطيب عقاب:قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة 2007، ص9.

لأمة من الأمم منذ فجر تاريخها حتى الزمن الحاضر"[1] بمجموع مظاهر حياتها الإجتماعية مختزلة في تراثها المادي والمعنوي[2].

هذا الرصيد الحضاري ليس حكرا على أمة من الأمم إنما هو ميراث انساني نسجته أيد كثيرة، ووهبته كل طاقتها ويؤكد هذا المعنى ماجاء في قول روجيه جارودي "منذ ثلاثة ملايين سنة لسنا سوى إنسان واحد ". [3]

وفي مختلف الحضارات اعتمد المؤرخون والمهتمون بشؤون الحضارة في تفسير نشأة المدينة على أسس ونظريات مختلفة وأهم هذه النظريات أن المدينة ظهرت على أساس ديني واتسعت تدريجيا باتساع الفكرة الدينية.

وفي الثقافة الإسلامية عمارة الأرض شريعة ربانية أقرها ديننا الإسلامي في القرآن الكريم قال تعالى:﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[4] وما جاء به ابن منظور في المعنى اللغوي لهذه الآية "هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها "أي أذن لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها وجعلكم عمارها. [5]

وفي ضوء قيم وتعاليم الدين الإسلامي كانت تهيئة المجتمع الإسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت تماما مع اهتمامه بالكيان المادي للمدينة فأدى ذلك تدريجيا إلى تكامل المراكز الحضارية الإسلامية فبعد الهجرة النبوية حدث تغير واضح سعى إليه رسول الله صلى لظهور المدينة الإسلامية وكانت بذلك يثرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي حولت إلى مدينة بمفهوم حضاري انسحب على تسميتها وإن كانت فلسفة العمران الإسلامية تتجاوز النظر إلى المدن ككيان مادي مشكل من مدن وأحياء تخدم سكانها بقدر ماتربط هذه الفلسفة ببناء الإنسان في حد ذاته، وعلى عكس الحضارات السابقة نجد الحضارة الإسلامية

1ضاهر أبو غزالة: الشعر والعمارة توأما حضارة، ط1، دار المنهل اللبناني، 2001، ، ص18.

[2]الربعي بن سلامة:الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، ص11.

[3]ضاهر أبو غزالة: الشعر والعمارة توأما حضارة، ط1، دار المنهل اللبناني، 2001، ص19.

[4] سورة هود الأية 61

[5] ابن منظور: لسان العرب (مادة عمر)

انطلقت من فكرة الموازنة بين طبيعة الإنسان المخلوق من جسد وروح لأن الدين الإسلامي دين فطرة جمع بين المادة والروح. مصداقا لقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] إن الدين وثيق الصلة بالحضارة، فلا بد أن يكون هناك انسجام وتجاوب بين ما يعتقده الإنسان ويؤمن به، وبين الحياة التي يعيشها.

منذ وجد الإنسان على هذه المعمورة وأدرك دوره عليهاسعى جاهدا لتجسيد مداركه العقلية وحاول توظيف قدراته فيما يرجع عليه بالنفع، وبما يراه مقوما وملائما لحياته ولرغباته المادية والروحية، فكان أن اهتدى إلى بناء مأوى له يقيه المؤثرات الخارجية ويكون مستقرا له تطمئن فيه نفسه هذا في مراحله الأولى البدائية، ثم قاده تفكيره إلى تطوير هذا المأوى وفق مايتناسب مع احتياجاته، وظروف حياته الطبيعية فكان المعمار بذلك مرآة تعكس معتقداته ومدى تطور فكره واسهامه في بناء الحضارة المادية. في حين نجد العلامة ابن خلدون يربط يبين الحضارة والعمارة بتحليله لطبيعة النفس البشرية التي تنزع دائما إلى اللذة والترف فتنوع في طرق العيش وتجتهد في زيادة الإنتاج واسباغ مظاهرالنعمة وإكثارالصنائع التي توصل إلى الرفاهيّة فيقول "... الحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام في الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله المستعملة "[2] ويضيف الحضارة نمط من أنماط الحياة الإجتماعية تتميز بكونها أحوال زائدة عن الضروريات كما يقول الحضارة "أحوال عادية زائدة عن الضروري من أحوال العمران"[3]".

ويعبر ابن خلدون عن ذلك في قوله"إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش، وحصل لهم مافوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضروري، واستكثروا من الأقوات والملابس، والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر"[4].

[1] سورة الروم الأية 30.

[2] ينظر حسن اسماعيل : الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون، دار الفرابي، ص 257.

[3] المرجع نفسه، ص656.

[4] ابن خلدون :المقدمة ص 257.

نظر ابن خلدون لمفهومي البداوة والحضارة ليس كثنائياتين متعاكستين ظاهرا كما يبدو أو بشكل سكوني وكأنهما نموذجان منغلقان متضادان، وإنما هما مظهران لتطور المجتمع البشري، حيث تشكل البداوة المرحلة الأولى منه في حين كانت الحضارة درجته العليا والأخيرة في استمرارية تطورها.[1]

يعتبر ابن خلدون البداوة نمطا من أنماط الحياة الاجتماعية كما هو طور طبيعي من أطوار الاجتماع الإنساني أما عن المدن والأمصار بإفريقية والمغرب فهي قليلة حسب رأيه ويرجع ذلك لأسباب نذكرها "والسبب في ذلك أن الأقطار كانت للبربر، منذ آلاف السنين قبل الإسلام، وكان عمرانها كله بدويا، ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها. والدول التي ملكتهم من الإفرنجة والعرب لم يطل أمد ملكهم فيهم، حتى ترسخ الحضارة منها، فلم تزل عوائد البداوة وشؤونها، فكانوا إليها أقرب، فلم تكثر مبانيهم. وأيضا فالصنائع بعيدة عن البربر لأنهم أعرق في البدو. فالصنائع من توابع الحضارة، وإنما تتم المباني بها، فلابد من الحذق في تعلمها، فلما لم يكن للربر إنتحال لها لم يكن لهم تشوق إلى المباني فضلا عن المدن. وأيضا هم أهل عصبيات وأنساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم. والأنساب والعصبية أجنح إلى البدو. وإنما يدعو إلى الدعة والسكون..... فتجد أهل البدو لذلك يستكنفون عن سكنى المدينة أو الإقامة بها. ولا يدعوهم إلى ذلك الترف والغنى، وقليل ماهو في الناس. فلذلك كان عمران إفريقية والمغرب كله أو أكثره بدويا، أهل خيام وضواعن وكنن في الجبال. وكان عمران بلاد العجم كله أو أكثره قرى وأمصار ورساتيق، من بلاد الأندلس والشام و العجم وأمثالها، لأن العجم في الغالب ليسوا بأهل أنساب يحافظون عليها ويتنازعون في صراحتها وإلتحامها إلا في الأقل" [2]غلب على حياة العربي طابع البداوة الذي يقوم على التعاون لتحصيل الضروري من المعاش البشري.

[1] ابن خلدون : المقدمة ص 211.

[2]ابن خلدون، المقدمة، ص339-340

4-أهم الحواضر المعمارية بالمغرب العربي

شهدت بلاد المغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري مرحلة جديدة من تاريخها فبدأتمصير البلاد وإصباغها بطابع الحضارة الجديد سواء تعلق الأمر ببناء مدن جديدة أو تكييف المدن القديمة بما يتوافق مع قيم الدين الإسلامي حيث مهدت الطلائع الأولى للفتوحات الإسلامية الطريق لبداية استقرار البعوث العسكرية والقبائل التي بدأت تمتلك الأرض وتتخذ من بلاد المغرب مستقرا لها فأقام العبيديون مدن المهدية والمسيلة وبنى الزيريون مدينة أشير لئن تمتعت بعض المناطق دون سواها، أو مدينة دون أخرى مثل أشير والقيروان أو فاس والمنصورية أو طرابلس بهندسة معمارية متمثلة في القصور والأسوار وغيرها من المرافق فان يد التدمير قد طالتها جميعا ولعل ذلك يرجع لعوامل كأعمال النهب الشاملة وهشاشة الطوب المستخدم في البناء أو الترميمات المتلاحقة، واعادة استخدام الرخام والأجر ونقلهما من مدينة لأخرى.

بعد انتهاء عمليات الفتح الإسلامي العسكرية ببلاد المغرب الأوسط حدثت مجموعة من المتغيرات فاهتم معظم الأمراء في بلاد المغرب بالعمران، فأقاموا المدن وزينوها بالقصور اظهارا للنعمة ورغبة في تخليد ذكراهم بعد مماتهم وعن العمارة بالمغرب العربي يقول كلود فادير "قصور وجوامع وأبراج وحواضر مالئة جميع هذه الأرض انك تجد من تونس إلى طنجة وفي فاس وفي مكناس ومراكش كما في القاهرة والقيروان بدائع أثار عربية ماثلة في كل مكان بجانب بدائع أثار رومانية تزيدها ولا تنقصها".[1]

كماتشير الدراسات الأركيولوجية إلى أن هندسة البناء في بلاد المغرب عموما يتعذر فصلها عن بعضها لمابينها من أوجه الشبه في التصميم والتنظيم فقد بلغ التلاحم بينها حدا يفرض علينا ألا نتحدث عن فن وهندسة إسلامية في مدينة من مدن بلاد المغرب دون سواها، أو بين عهد دون عهد كأن تقول هندسة أغلبية أو هندسة عبيدية أو هندسة صنهاجية أو هندسة إدريسية.[2]

[1] بيار شمبيون :مراكش ومدن الفن ص90من كتاب مجهول العنوان :محمد بغدادي ومحمد زيادي.

[2] ينظر :بشير رمضان التليسي، الإتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، 2003، ص519.

كانت مدينة طبنة من الأهمية التي جعلت البكري يقول : "وليس من القيروان إلى مدينة سجلماسة محمية أكبر منها" ويذكر البكري أنها : "مدينة كبيرة سورها من بناء المنصور أبي الدوانيق.. وسورها مبني بالطوب وبها قصر وأرابض وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها"[1]. أما صاحب الاستبصار فيقول إنها : "مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب ولها حصن قديم عليه سور من صخر جليل ضخم متقن البناء من عمل الأوائل. ولها أرباض واسعة"[2]. وينقل البكري عن محمد بن يوسف :" إنّ قصر طبنة قديم أولي كبير جليل، مبني بالصخر الضخم، وعليه آزاج كثيرة ينزله العمال، وهو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة عليه باب جديد"[3]. وفي عهد عمر بن حفص الذي تولى شؤون افريقية عام 151 هـ، اهتم بتقوية دور طبنة أكثر من سابقيه" ثم سار لبناء السور على مدينة طبنة "و"نالت هذه المدينة أهمية خاصة لدى الولاة والخلفاء على حد سواء وأصبحت في نهاية القرن الثامن ميلادي بعدما حصنها الولاة العباسيون تتمتع بمكانة مرموقة". [4]كمااستفادت كثيرا من سياسية الأغالبة التي اعتمدوها في بناء الحصون والقلاع والأربطة على كامل المجال الذي سيطروا عليه.

ومن مظاهرها العمرانية أبوابها من الشرق باب هاقان مبني بالحجر عليه باب حديد وهو سري و من الغرب باب الفتح وهو أيضا باب حديدومن الجنوب بابان : باب تهودا، عليه باب حديد وهو سري أيضا والباب الجديدأما من الشمال فنجد باب كتامة. [5]

كان لسقوط الدولة الرستمية وقع عظيم في نفوس أولي الغيرة الوطنية والحماس الديني فمنهم من هاجر إلى الجنوب الغربي ومنهم من هاجر مع الامام يعقوب إلى نواحي وادي مينة فأسسوا مدينة (الكريمة) ودخلوا مدينة بني ورجلان (وارقلة) .

[1] البكري :المسالك والممالك ط1، تح جمال طلبة، دارالكتب العلمية، بيروت، 2003، ص227.

[2] مجهول :الاستبصار، ص 128.

[3] البكري، ج2 ص 228..

[4] مورس لومبار :الاسلام في مجده الأول من ق 2 إلـ ق 5 هـ، ترجمة اسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1990، ص107.

[5] البكري :المسالك والممالك، ص 228.

وعلى بعد أربعة كيلومترا جنوبا أخذوا في تأسيس عاصمتهم الجميلة سدراته. [1] المدينة العظيمة، فأنشأوا بها قصورهم البديعية والمنازل الرفيعة وأقاموا بها البساتين والمزارع والمنشآت الضخمة ونشروا فيها من الرفاهية والحضارة ما أعجب منه العلماء اليوم.

تمتاز حضارة الأغالبة[2] بأنها حضارة إسلامية وريثة للحضارات السابقة انتفعت بما أحدثه الرومان من سبل وجهازات للريّ، وأساليب الفلاحة وأضافت إلى ذلك ما كان للفرس من صناعات مستحدثة كالمنسوجات واستغلت ما تركه الكنعانيون والرومان واليونان والروم والبربروالعرب من أساليب في الصناعة والفلاحة والتجارة، وصبغت كل ذلك صبغة إسلامية. [3]

فأحدثت المساجد والأسوار والقصور والمنائر. قال ابن خلدون : ولما توفي أبو العباس محمد بن أبي عقال سنة اثنتين وسبعين ولى مكانة ابنه أبو إبراهيم أحمد..... وكان مولعا بالعمارة فبنى بإفريقية نحوا من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد. وكما ذكر أيضا أبا الغرانيق محمدا فقال عنه : أنه بنى حصونا ومحارس على ساحل البحر بالغرب على مسيرة خمسة عشر إلى جهة الغرب، وتمهدت الطرق وعبدت السبل وأسست المدن مثل العباسية بالجزائر قرب تاهرت سنة (227 هـ. 841 م).

اهتم الأغالبة بجامع الزيتونة الذي بناه قبلهم عبد الله بن الحبحاب سنة 114هـ وقاموا بتوسيعه كما بنو المسجد الجامع بسوسة وحصنو المدن الساحلية في مواجهة الأساطيل الرومانية ببناء رباط بسوسة، وغيرها من الأربطة.[4] وهي عبارة عن نقاط حراسة تراقب منارة إذا أوقدت بها النارليلا دلت على حركة بحرية.

---

[1] المعروفة عند البربر باسم أسدراتين. ولقد شرع الباحثون من علماء الآثار والحفريات منذ سنة 1951 في الكشف عن هذه المدينة التي غطتها الرمال وتراكمت عليها الكثبان، فعثروا في بحوثهم الحفرية على آثار قيمة من مبان عجيبة ونقوش مزخرفة وخطوط كوفية وأشكال هندسية وأوان متنوعة. وتقدم الفن الإسلامي بالجزائر منذ أكثر من ألف سنة. [1] لا يزال البحث وأعمال الحفر والتنقيب مستمرة حول هذه المدينة التي يبلغ طولها أكثر من كيلو مترين، وعرضها نحو كيلو متر واحد .

[2] **الدولة الأغلبية (184 . 296 هـ / 800 . 909 م)** ولى هارون الرشيد ابراهيم بن الأغلب ولاية افريقية ومنحه شبه استقلال في جمادى الثانية 184هـ هي أول ولاية مغربية تميزت بالإستقلال الذاتي.

[3] رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، دار الهدى، عين مليلة، ط3 ص32.

[4] عبدالرحمان بن محمد الجيلالي:تاريخ الجزائرالعام، ج1، دار الأمة، 2008، ص273 .

أثبت الباحثون **للدولة العبدية الفاطمية (296 . 361 هـ)** أعمالا معمارية بناحية تدريس بين قسنطينة وميلة، كمركز للاصطياف، ومعملا للفخار المطلي وأسسوا بميلة فندق فرجون الذي لا يزال موجودا وقد سكنه المنصور الثالث. كما أنشأ جامعا جميلا لا يزال موجودا يبين لنا عظمة المعمار الفاطمي بأرض الجزائر وحماما يبعد عن ميلة بعشرة كيلومتروهو لا يزال موجودا إلى اليوم، إضافة إلى ما أقامته هذه الدولة في الأقطار الشقيقة مثل طرابلس وتونس والمغرب الأقصى من المنشآت والمؤسسات المتنوعة والكثيرة. [1]

اهتم العبيديون ومن بعدهم الزيريون[2] بما يخلد ذكراهم من بناء المدن كالمهدية، والمسيلة والمنصورية كما بنوا عددا من القصور التي تعبر عن الثقافة والإبداع في مجالات البناء والزخرفة والنقش"وكان بمدينة أشير الدور والقصور والمنازل والحمامات والمساجد ما حمل الكثير من السادة والأعيان والعلماء والأدباء على الانتقال إليها فاستبحر عمرانها وضربت السكة بها.

كما تعتبر الدولة الحمادية (405 . 547 هـ) ثاني دولة مسلمة جزائرية نظامية، تأسست بعد الدولة الرستمية، أنشأها مؤسس القلعة، حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي[3]. فطمحت نفسه لإنشاء مملكة جزائرية مستقلة فأنشأ القلعة سنة (398 هـ . 1007م) وأتم تحصينها في عامين وانقسم إلى فريقين فرقة بني حماد بالقلعة، وفرقة بني باديس بالقيروان[4].

شرع الملك الناصر في تأسيس العاصمة الحمادية الثانية بذلك المكان " بجاية " سنة 460

---

[1] عبدالرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص306.

[2] **الدولة الزيرية الصنهاجية (361 . 405 هـ)**:كان إنشاء مدينة أشير (324 هـ 936 م) على يد زيري بن مناد رأس الأسرة المالكة.

[3]فهي أخت صنهاجة الشرقية، غير أنها كانت متقدمة عن أختها في الاستقلال، ورفض التشيع والدعوة إلى الخلافة العباسية ببغداد، وذلك ما كان سببا في نشوب ما تقدم ذكره من الحروب بين حماد وباديس ثم بين المعز وحماد،، وانتهى الأمر باستقلال حماد بمملكة الجزائر سنة (405 هـ /1014 م) فكانت هنالك حروب وخطوب بين عاملي صنهاجة، وكان النصر فيها، ثم كانت الموادعة والصلح بينه وبين المعز، فتسالما مدة أربع وعشرين سنة. ثم تغير عليه المعز سنة (432 هـ . 1040 م)، فحاصره بالقلعة، ثم عدل عنه وتركته لشأنه فتفرغ حماد يومئذ لإقامة دعائم ملكه وإشادة سلطانه. كان ابتداء ظهور شخصية حماد وتألقها في عالم الحكم وميدان السياسة، منذ سنة (387 هـ 997 م)، حيث ولاه الأمير باديس أعمال الجزائر الشرقية، وأقطعه مدينة آشير ونواحيها، ومنحه لقب نائب الأمير .

[4] عبدالرحمان بن محمد الجيلالي:تاريخ الجزائرالعام، ج1، دار الأمة، 2008، ص357.

هـ /1067 م)، ثم انتقل إليها في السنة بعدها وسماها " الناصرية " باسمه، وأنشأ بها دارين لصناعة المراكب والسفن وأساطيل القتال وأقام بها العمارات والصناعات والفنون ما جعلها قبلة لطلاب الحضارة ورواد المدينة من أهل الشرق والغرب لماتوفي الناصر بن علناس (481 هـ. 1088 م) خلفه ابنه المنصور[1] قال ابن خلدون: "وفي أيام الناصر[2] هذا اعتزل حماد هؤلاء وعظم شأن أيامهم، فبنى المباني العجيبة المؤلفة وشيد المباني العظيمة وكان استفحال ملكهم وشغفه على ملك باديس إخوانهم بالمهدية".

يقول مارسي مشيدا بحضارة بني حماد، ومشيرا إلى تأثير الحضارة الجزائرية في النورمانين بصقلية: "إنّ الحضارة الحمادية تظهر تحت تأثير المشرق، وآثارها لا نظير لها، ببقية وطن البربر، وهي شاهدة قوية على رقي الحضارة الإسلامية المغروسة بالجزائر وقد ازدهرت الموسيقى بها. وكان النورمان مغرمين بالحضارة الحمادية فوضعوا قصور"بلوم" على شكل قصور بجاية، وكانت قصور زيزة وكوية ببلوم شديدة الشبه بقصور اللؤلؤة والكوكب وأميمون. إلا أن هذه الآثارالحضارية الحمادية قضى عليها كثرة الفتن وتوالي الحروب، ولما احتل الإسبان بجاية في أوائل القرن العاشر أتوا على ما بقي منها[3].

ومن العناصر المعمارية والفنية المميزة للعمارة الحمادية التيجان الملونة باللونين الأحمر والأزرق النيلي"ونضيف هنا اسهاما آخر للحماديين في مثل هذه التيجان، يتمثل في تلوينها باللونين الأحمر والأزرق النيلي، وهما اللونان اللذين استساغهما من بعدهم الفنان الغرناطي والفنان المريني"[4].

اهتم الحماديون بالفنون الجميلة كالنقش والتصوير والموسيقى وغيرها من الفنون وقد ظهر بعض ذلك في بنياتهم التي بناها مهندسون جزائريون ونصارى ومسيحيون كبونياش وغيره.

[1] عبدالرحمان بن محمد الجيلالي:تاريخ الجزائر العام، ص 365-367.

[2] هو من أشهر ملوك هذه الدولة وأعظمهم شأنا وأعلاهم كعبا وأثبتهم قدما في الملك. وفي أيامه استفحل ملك بني حماد وشق على غيره من مماليك الشمال الإفريقي. كان أول ما تولى الملك مقيما بالقلعة، ثم استوحشها وكره المقام بها فا بتنى لإقامته **قصورا شامخة خارج القلعة**. فسكن بها واحتل بالمسجد الجامع، فأشاده من جديد.

[3] رابح بونار،المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص150.

[4] لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ص 16.

"ومن معالم ذلك ما جاء في قصر البحر أو دار البحر من بركة كبرى يناهز طولها ستون مترا في عرض خمسة عشر مترا، وتحيط بها القاعات والرواقات، وتشمل على بدائع الزخرف الفني كالرخام المنقوش بأشكال تخلب الأبصار والجس المزين بالأشكال الهندسية العجيبة كما أنّ الزخارف الفنية بالقصور تدل على تقدم فن النقش والتصوير والنحت والطلي والتزيين، ولكن الموضوع مازال في حاجة أكيدة إلى زيادة البحث لغموضه وقلة مصاره"[1]

ومن آثار المنصور[2] بالقلعة قصر الملك وقصر المنار وقصر الكوكب وقصر السلام ولماانتقل إلى بجاية سنة (483 هـ . 1090 م) أنشأ بها قصر اللؤلؤة وقصر أميمون، وشيد جامعها الأعظم. واليه يعود الفضل في تمدن مملكة بني حماد. [3]وبالرغم من المدة القصيرة التي عاشتها الدولة الحمادية في هذه الربوع (398 هـ .1007 م . 547هـ/ 1152 م) وبغض النظر عن المراحل البنائية لها إلا أن بنائيها استطاعوا أن يتموا مدينتهم في أحسن الظروف، وبأتم تركيب معماري كامل[4].

مدينة تلمسان قديمة ببلاد المغرب الأوسط اسمها مركب من كلمتين جمعهما يعطينا كلمة زناتيةاللغة واللسان وهما :تلم–سان وتعني تجمع–اثنان ويعنون البر والبحر[5]. كما يوجد تفسير أخر أن الكلمة تعني "مدينة الينابيع"[6]"واشتهرت بتلمسان وغيرها من المدن الجزائرية الصناعات الضرورية لعمران المدن ورقيها الحضاري كالنجارة والحدادة والصباغة والتعدين، والخزافة وغيرها"[7]

---

[1] الكعاك:موجز تاريخ الجزائر ,ص 261.

[2] كان المنصور أديبا كاتبا يقول الشعر ويرويه، تولى عرش الجزائر بعد وفاة والده سنة (481 هـ . 1088 م) فساس الرعية بحكمة وحصانة وأتم ما اختطه أسلافه من برامج العمل لخير الحكومة فأنشاء المصانع والقصور، واعتنى بالري والزراعة، فأجرى المياه، وأمر بغرس البساتين والحقول.

[3] المرجع نفسه، ص 368.

[4] بدأت الدراسات الأثرية حول العمارة الحمادية مع بداية القرن الحالي على يد الضابط الفرنسي " ليون دي بيلي " إلى آخر ما صدر للباحث رشيد بورويبه سنة 1977، فان تلك الدراسات لم تشر إلى المبتكرات المعمارية المميزة والمستجدة في عمارة قلعة بني حماد نحو الداليات والمقرنصات والكوابل (المساند) والقواقع المروحية والتيجان وغيرها.

[5] ابن خلدون:ديوان العبر، ج7، ص102.

[6] ابن مريم:البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

[7] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، ط3 ص 287.

كان لملوك بني زيان الدور الأبرز في تشييد العمران وتخليد مآثره الباقية بالمدينة كالأسوار، والمساجد والمآذن والقصور والمنازل والزوايا والمدارس والأبراج، فهذه المعالم العمرانية صورة واضحةتبين مدى اهتمام ملوك بني زيان بتشييد العمران وتخليده، وتعكس ازدهار العلوم والفنون والصناعات وانتشار الأسوار والقيصاريات بالمدينة وغيرها من المرافق العامة، مما يدل على تطور المجتمع التلمساني ورقيه الحضاري في ذلك الوقت.

قام السلطان يغمراسن بتشييد مئذنة مسجد المولى إدريس الأول العتيق، التي ظلت شامخة تتحدى الزمن وتزين سماء تلمسان وعمرانها، إلى جانب أختها بالمسجد الجامع بتلمسان العليا (تاقرارت). كانت هندسة الصومعة وزخرفتها متأثرة بالفن المعماري الأندلسي وزخرفته كما قام ببناء مئذنة لمسجد مدينة تلمسان العليا (تاقرارت) تشبه مئذنة مسجد (أقادير)، بلغ طولها خمس وثلاثون مترا، مبنية هي الأخرى بالآجر والتي يظهر أثر العمارة الأندلسية بها، فالحجارة والآجر والقرميد المربع المستطيل ذو اللون البني المائل إلى الحمرة والوردي، هي مواد البناء المفضلة لأهل تلمسان عصر ذاك. ويعتبر المهندسون والأثريون نمط بناء المسجد الجامع، من أبدع المخلفات الأثرية الزيانية، كما تعد الصومعتان أو المئذنتان اللتان بناهماوشيدهماالسلطان يغمراسن في القرن السابع الهجري، من أجمل مباني تلمسان.

اهتم الزيانيون وأصحاب الثراء من عموم الشعب بإنشاء البنايات الجميلة والمنازل الرفيعة ولكن الحروب الكثيرة التي نشبت بهذه البلاد ذهبت بتلك المفاخر العمرانية، الملاحظ في تخطيط العمارات بالجزائر كان هو نفس الفن الأندلسي، وقد اهتم أبو حمو الأول (707 . 718 هـ) وابنه أبو تاشقين الأول (708 . 737 هـ) بفن المعمار -يقول ليون الإفريقي بلغت تلمسان على عهد أبي تاشفين ستة عشر ألف منزل – واستقدما مهرة البنائين الأندلسيين لهذا الغرض.[1] يقول عبد الرحمان بن خلدون " وكانت قصور الملك بتلمسان لا يعبر عن حسنها. اختطها أبو حمو الأول وابنه أبو تاشقين، واستدعيا الصناع من الأندلس. فبعث إليهما أبو الوليد بن الأحمر بمهرة البنائين استجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما اعيا عن النّاس

[1] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، ط3، ص 288.

بعدهم أن يأتوا بمثله"[1]. ثم تحدث عن خرابها على عهد أبي حمو الثاني (760 . 791 هـ) فقال: "وكان أبو حمو الثاني قد خرب قصر ملك مرين بتازا وقصر مرادة لونزمار بن عريف. فلما دخل أحمد المريني تلمسان سنة 786 هـ أغراه ونزمار بتخريب قصور الملك " وحدث عن ذلك جزاية حضارية شارك فيها الطرفان معا، وكان أبو تاشقين الأول بصير بالتشكيل والاختراع واستعان على تحضير دولته زيادة عن الإستعانة بفناني الأندلس من نجارين وزلاجين بالأسرى من مختلف الأجناس لديه فبنى قصورا منها : دارالملك ودارالسرور وأبو فهرولعله ضاهى بأبي فهر أبا فهر المستنصرالحفصي بتونس ومن آثاره أيضا الصهريج الأعظم لم يزل إلى اليوم قائما وأعظم أثر للزيانيين والذي بقي ماثلا إلى الآن هو بلاط حكومتهم ويعد من أجمل القصور الإسلامية بدولة عظيمة كدولة الزيانيين، وقد اعتنى الملوك بتشيده وتوسيعته وعرف المجتمع الجزائري نهضة فكرية وثقافية هامة في عهد الزيانيين.

كمامثلت مدينة مراكش مركز الصدارة والاهتمام في السياسة المرينية والسعدية، ولا سيما في عهد المنصور الذهبي[2]. إذ كانت حاضرة الملك التي عم صيتها الآفاق واكتست بحلة الحسن والبهاء ولعل ما تحتضنه مدينة مراكش من علماء ورجال صالحين، ومن رجالات فرضوا وجودهم في مجالات شتى جعل هذه المدينة تحتل مكانها في إبداع الشعراء، مغاربة وغير هم، بل تحظى بنصيب غير قليل من الحضور في هذا الإبداع. وماجاء في رحلة ابن بطوطة عن مدينة مراكش "فوصلت إلى مدينة مراكش وهي من أجمل المدن، فسيحة الأرجاء، متسعة الأقطاركثيرة الخيرات، بها المساجد الضخمة، كمسجدها الأعظم المعروف بمسجد الكتبيين وبها الصومعة الهائلة العجيبة صعدتها وظهر لي جميع البلد منها وقد إستولى عليه الخراب فما شبهته إلا ببغداد إلا أن أسواق بغداد أحسن وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع وإتقان الصنعة، وهي من بناء الإمام مولانا أمير المومنين أبى الحسن رضوان الله عليه"[3].

بدأ منصور الموحدي في بناء الأسوار وأكملها ابنه الناصر وفي سنة 601هـ أمر الناصر

[1] محمد مبارك الميلي : تاريخ الجزائرفي القديم والحديث، ج 2، ص 485.

[2] دام ملكه من عام 956 هـ إلى 1012 هـ تاريخ وفاته

[3] ابن بطوطة :رحلته، ج 2، ص188.

بتسوير بعض المدن "وفي سنة إحدى وستمائة بنى يعيش عامل أمير المؤمنين الناصر الموحدي على بلاد الريف سور مدينة بادس وسورالمزمة وسور مليلة خوفا عليهم من فجأة العدو النصراني" وهكذا تأسست عدة منشآت من قلاع وحصون وأسوار نتيجة للظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها المنطقة في ظل المرابطين والموحدين. [1]

لم تكن للقيروان منذ تأسيسها أسوار تعزلها عن محيطها وهو ماجعلها تبقى منفتحة على ماحولها حتى في أحلك الفترات السياسية والعسكرية، وتدل هذه النزعة على الرغبة المتواصلة في الإنفتاح على المحيط، ولكن لما تعاضمت الضغوط على المدينة وكثر تنازع الفرقاء حولها، اتخذت أسوارا كمعظم المدن التاريخية المعروفة على يد اليزيد بن حاتم المهلبي وذلك سنة 155هـ.

لم يقل عرض هذه الأسوار التي اتخذها أهل القيروان عن عشرة أذرع كما يذكره البكري في مسالكه كما كان لسورها أربعة عشر بابا، لقد لعبت الأسوار دورا هاما في حماية المدينة. [2]

[1] ابن بطوطة :رحلته، ج 2، ص188.

[2] مراد اليعقوبي :القيروان التأسيس والتعمير، ص32

5-التأثيرات الفنية الواقعة بين عمائر المغرب والبلاد الإسلامية

5-1-التأثيرات الفنية الواقعة بين عمائر الشرق والغرب:

يرجع ارتباط كل من مدن الشرق خاصة دمشق والقاهرة مع مدن الشمال الإفريقي إلى أواصر تاريخية وسياسية قديمة تمتد من قبل ظهور الإسلام ومماالاشك فيه أن هذه الأواصر إشتد عودها في العصر الإسلامي وخاصة في الجانب الفني والمعماري فالفنانون الذين أمر الخليفة الأموي بإيفادهم إلى شمال إفريقيا لبناء ميناء تونس ودار الصناعة قد تركوا بصماتهم الفنية والمعماريةوالزخرفية في تلك البلاد والتي تأثرت بها عمارة وفنون الشمال الإفريقي بصفة عامة، بينما بدأت التأثيرات الفنية المغربية تتدفق على مصر ومن ثم مدن الشرق الإسلامي منذ أن دخلها الفاطميون سنة 358هـ، فكان للتبادل الثقافي بين القطرين من خلال رحلات العلماءالمغاربة إلى القاهرة وغيرها طلبا للعلم، وأيضا رحلاتهم أثناء مواسم الحج وما سجلوه من وصف البلاد والتراث أثر كبير في إفادتهم وإستفادتهم في مختلف المجالات. [1]

وإن بعض المظاهر الفنية المغربية تظهر بوضوح في الكثير من المنشآت الدينية التي أقاماها الفاطميون في القاهرة وغيرها ومما يجدر ذكره أن أفراد الجيش الفاطمي في مصر كان يضم أعدادا كبيرة من أهل إفريقيا وكان من بين هؤلاء من كان ملما بأصول البناء وفنونه.[2]

شاعت الفنون الجميلة في جميع العمائر الإسلامية، بعدمااستوعب المسلمون فنون الحضارات السابقة فأخضعوها لما يستوجب لفلسفة الدين الإسلامي ومقاييسه التي تقوم على عدم النزوع إلى محاكاة العناصر الطبيعية بحذافيرها.

كذلك الدراسات المختلفة التي أجريت على مباني الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي في إفريقية قد بينت محاولة إثراء مبانيهم العامة، خاصة الدينية منها بالزخارف الجميلة المتنوعة حتى

[1] ينظر: تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، أعمال ملتقى، الجزء الثاني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، بحث عادل محمد زيادة، التراث المعماري الديني بتلمسان منذ عصر المرابطين ودوره في التواصل الحضاري بين شرق العالم الإسلامي وغربه، ص 222-223.

[2] ينظر: السيد عبد العزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والأثار، القسم الثاني، ط1، 1992 بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص 431-433.

أنه بات بالإمكان إعادة تصور كامل لما كانت عليه تلك الزخارف.

5-2- التأثيرات المعمارية الواقعة بين عمائر المغرب والأندلس

إذا تأملنا بعد المكان الذي احتوى هذا التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب وجدنا أنفسنا أمام دائرة جغرافية في حوض البحر الأبيض المتوسط، هذه الدائرة التي رأها ليفي بروفنسال: "مجموعة جغرافية بالغة التناسق فيما بينها، تقع على جانب غربي البحر الأبيض المتوسط، وتمتد حتى سواحل الأطلسي، وتشمل شمال افريقيا وشبه جزيرة ايبيريا"[1] وقد تبنى مصطلح الغرب الإسلامي اسما لها وعرفه بأنه: "مساحة من العالم القديم توطد فيها الإسلام حاملا معه بناءه الإجتماعي إلى أهلهاو ومثله الخلقية، والثقافية التي يمثلها، ولكن هذه الأرض في الوقت نفسه نائية وبعيدة عن مركز الإسلام بالنسبة إلى غيرها من المناطق التي شهدت ظهوره، وطلائع وثبته الرائعة التي بلغها فيما بعد".

ولاحظ ليفي بروفنسال أن المرء حين يجتاز الحاجز المائي العميق بين اسبانيا والمغرب "وأعني به جبل طارق من أي جانبيه شاء، تأخذه الدهشة بما يرى من تشابه يكاد يكونة تاما بين البلدين"[2]. نجد أيضا دائرة المغرب العربي وايبيريا تمثل على صعيد العمران البشري الحضاري ساحة تفاعل بين حضارتين عريقتين احداهما دائرة الحضارة العربية الإسلامية في أسيا وافريقيا والأخرى دائرة الحضارة الغربية في أوربا.

والمتأمل لهذا التفاعل على مدى قرون متتالية وماتضمنه من حركة قوية بين أرجاء المعمورة تقاطعت خطوطها ووصلت بين جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق ومصر في الحوض الشرقي للمتوسط وحوضه الغربي حين حدث الفتح العربي، وبين افريقيا وأسيا عهد المرابطين والموحدين وبين أسيا والأمريكيتين حين حدث الخروج الأروبي إلى العالمين القديم والجديد.

لقد كان للأندلسيين تأثير بالغ على الحياة الثقافية بالمغرب العربي طيلة العهد الإسلامي وانتهاء بالفترة العثمانية ومن الفنون التي بلغت قمة التطور في الأندلس فن العمارة وخاصة أيام

[1] عبد الهادي التازي:التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب.

[2] المرجع نفسه.

سلاطين بني الأحمر ملوك غرناطة التي بلغ فنانوها الذروة في تحويل الجماد إلى تحف فنية ناطقة واعتبر قصر الحمراء من أروع مباني اسبانيا العربية المسلمة، بدأ تشييده سنة 1928 واستمر طويلا، وقد شارك في بنائه أمراء غرناطة في الحقب التاريخية العربية الأخيرة.

وبعد تنافر ملوك الطوائف في الأندلس، تمكن المرابطون ثم الموحدون ومن أتى بعدهم من دمج الفن الأندلسي بالمغرب ونقلةإليها، فأصبحت مراكش والرباط وفاس تلمسان مثل اشبيلية وقرطبة وسرقسطة وغرناطة موطنا لحضارة عمرانية متميزة، لاسيما عمارة المساجد والجوامع التي مازالت حتى اليوم تشهد بعظمة العمران وأهمية البناء في بلاد المغرب.

تكونت بفعل هجرة علماء الأندلس إلى عواصم المغرب مراكز علمية، كان للعنصر الأندلسي فيها دور الريادة والإبداع، حيث كان الدورالثقافي لحواضرالمغرب مثل تونس والقيروان ومراكش وفاس تلمسان والجزائروبجاية استمرارا للإستلهام الفكري والإنتاج العلمي الأندلسي الذي تعرض للمحاصرة والإجتثاث بفعل الحروب الصليبية بشبه الجزيرة الأيبيرية[1].

ولما أجلي المسلمون عن الأندلس كان المغرب –لاسيما تونس– نصب أعينهم فعمروها وبنوا فيها أزيد من عشرين بلدا فصارت لهم مدن عظيمة غرسوا فيها الكرم والزيتون والبساتين ومهدوا الطرقات. وممن سكن المدينة أهل الصنائع الدقيقة والفنون وقد بنوا لأنفسهم حومة تعرف بزقاق الأندلس قرب جامع القصر[2].

المسجد الجامع بالقيروان :هو أقدم مساجد المغرب الإسلامي، والمصدر المعماري الأول الذي اقتبست منه العمارة المغربية الأندلسية عناصرها، ومنه انبثقت الأفكار المعمارية والزخرفية وتطورت في العصور المختلفة اختطه عقبة بن نافع سنة 50هـ[3].

بدأ هذا الجامع صغير المساحةبسيط البناءولم يكن في بداية الأمر إلا مساحة مسورة بسور سميك من اللبن على هيئة حصن، صغير المساحة مثل كل المساجد الأولى إلا أنه تعرض إلى تحويلات كبيرة منذ بنائه، وقد تعرض المسجد في عهد أبو المهاجر دينار إلى الإهمال

[1] ينظرناصر الدين سعيدوني :التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها بالمغرب الأوسط.

[2] ينظرأحمد صدقي الدجاني:استلهام التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب لتعزيز العمران البشري في عالمنا.

[3] السيد سالم عبد العزيز:تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011، ص336.

والخراب وذلك بعد عزل عقبة بن نافع إلا أنه أعيد بناؤه على يد عتبة بن غزوان في عهد يزيد بن معاوية، ولم يمض على بنائه عشرون عاما حتى هدمه حسان بن نعمان الغساني حينما ضاق بالمصلين وأقام مكانه مسجدا جديدا أكبر منه وحمل إليه ساريتين من كنيسة كانت في الموضع المعروف اليوم بألفي سارية، وفي سنة 105هـ قام بشر بن صفوان بأمرمن الخليفة بتوسيع المسجد وبنى حديقة كبيرة في شماله كما أنشأ صهريجا في صحن المسجد وشيد صومعته فوق بئر موجودة في الحديقة كما تم تجديده مرة أخرى في عهد يزيد بن حاتم سنة 157هـ وفي سنة 221هـ عرف الجامع موجة أخرى من الترميمات[1].

"... ما غرب طالع جامع الأزهر بمصر وجامع القرويين بفاس وجامع علي بن يوسف اللمتوني بمراكش، لقد جرى على ألسنة الفحول الأمجاد الثناء على أفضلية المساجد كل على حسب ما راءاه لها من الفوائد، حتى قيل في جامع علي بن يوسف :" لولا جامع علي بن يوسف ما ذكر مراكش"[2].

فبمعاينة الأثار الباقية في قرطبة واشبيلية وغرناطة أوبمراجعة الكتب التي ألفها المسلمون الأندلسيون والمغاربة في كل باب من أبواب العلم ووجه من وجوه المعرفة "إن التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا وأقطار المغرب خصوصا وبينها وبين البلاد العربية عموما لمادة غزيرة وعنصر متنوع الأشكال مختلف الأحجام إلا أنه لا ينحصر في العلوم الدينية والفنون الأدبية"[3]

5-2-1-التأثيرات القرطبية في عمارة المغرب الأقصى

توثقت الصلات الفنية بين الأندلس وبلاد المغرب طوال العصر الإسلامي وعلى الأخص في عهد الحكم الربضي وازدادت هذه الصلات وثاقة منذ أواخر الخلافة الأموية

[1] مراد اليعقوبي القيروان التأسيس والتعمير.

[2] وحكي عن بعض السادات وهو سيدي سعيد بن عبد النعيم إنه قال عجبت لمن يقول مراكش لغير جامع علي بن يوسف وجاء رجل من أكابر أهل مدينة فاس لزيارة الشيخ سيدي أبي عمر فالتقى به في ملأ من الناس فاستحضر الزائر معه من الأدب ما يستحضر الأكياس، فسأله الشيخ عن البلد وسكانها، فقال له هذا الزائر المقيم من أقصى قلبه بالعقد الصميم على جهة التعجب والتعظيم (الله الله إن جامع القرويين يكاد ينبع العلم من حيطانه، فقال له الشيخ أعد الأخبار كيف أخبرت بها عن هذا المسجد المسرار، بذلك اللفظ المختار، فأعاد عليه اللفظة بمبانيها، فقال له الشيخ القسطالي بعد أن زادت على أنواره أنوار، كلام جاء من بساط حضرة القهار، (الله الله إن جامع علي بن يوسف يكاد السر ينبع من حيطانه)

[3] أحمد صدقي الدجاني:استلهام التراث الحضاري المشتركبين اسبانيا والمغرب لتعزيز العمران البشري في عالمنا.

بالأندلس وبدأت التأثيرات الأندلسية تتسلل من الأندلس إلى المغرب الأقصى واشتد تيارها عصر دولتي المرابطين والموحدين حتى شملت كل بلاد المغرب. [1]

سعى خلفاء قرطبة منذ عهدعبد الرحمان الناصر إلى مد نفوذهم السياسي إلى أرض المغرب مستهدفين من وراء ذلك محاربة النفوذ الفاطمي على التراث المغربي نفسه.

أمر عبد الرحمان الناصر ببناء صومعة جامع القرويين بفاس في شهر ربيع الأول سنة 345هـ من أخماس غنائم الروم" وجعل في أعلاها قبة صغيرة وضع في دورانها تفافيح مموهة بالذهب في زج من حديد" على نحو مافعله مهندسوه في مئذنة جامع قرطبة الجديدة التي أمر الناصر بانشائها في موضعها الحالي قبل بناء مئذنة القرويين بخمس سنوات، كماأمر الناصر بانشاء صومعة الأندلسيين بفاس في جمادى الأولى سنة 345هـ.

لكن تأثيرات الفنون القرطبية التي تطورت في عصر الطوائف إلى ما يعرف بالفنون الأندلسية، وبدأت تفد على المغرب منذ أن تأثر المرابطون برقة الحياة الأندلسية وانغمسوا في الترف الذي اتسمت به الأندلس. وأحذ أمراء المرابطين منذ أيام يوسف بن تاشفين يستقدمون من الأندلس رجال الفن والبناء ويشركونهم في الأعمال الفنية في المغرب، فقد ذكر الإدريسي أن علي بن يوسف بن تاشفين عندما عزم على بناء قنطرة على وادي تنسيفت استقدم من الأندلس الخبراء في بناء القناطر.

وتتجلى تأثيرات الفن القرطبي بصورة واضحة في زخارف قبة البارودتين، بمدينة مراكش ويذكر الأستاذ تراس أن قلعة تاسفيموت المغربية أقيمت سنة 1125م في عهد علي بن يوسف بتوجيهات رجل أندلسي هاجر إلى مراكش يقال له الفلكي.

يعتبر عصر الموحدين العصر الذي توثقت فيه العلاقات الفنية بين المغرب والأندلس وفيه انتقلت التأثيرات الأندلسية إلى المغرب الأقصى وظهرت الأبنية التي أقامها خلفاء الموحدين هناك مثل جامع حسان والقصبة بالرباط وجامع الكتيبة بمراكش.

ويذكر ابن سعيد المغربي "أن حضرة مراكش هي بغداد المغرب، وهي أعظم مافي بر

[1] السيد سالم عبد العزيز:قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، 1972، دار النهضة العربية، بيروت ص50.

العدوة، وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت في رمدة بني عبد المؤمن، وكانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم إلى الآن "[1].

وبالرغم ماآلت إليه قرطبة من تدهور بعد سقوط الخلافة الأموية ظلت تحتفظ بتفوقها الفني في الأندلس ولانشك في أن عددا من هؤلاء الصناع والمهندسين كانوا قرطبيي الأصل أو تلقوا أصول حرفتهم في قرطبة وقد برز مهندسان أندلسيان من مهندسي الموحدين لعبا دورا هاما في تطوير فن البناءالمغربي هما الحاج يعيش المالقي وأحمد بن باسة، أرسلهما الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي للإشراف على أعمال البناء بجبل الفتح (جبل طارق) كما أقام الحاج يعيش طاحونة هواء في أعلى الجبل وهو أيضا صاحب المقصورة المشهورة الملحقة بجامع مراكش (هي عمل فني ينم عن فن أصيل وحيل هندسية وبراعة أعجبت كل من شاهدها، فقد كانت المقصورة تدور بمحركات خفية وتهبط بعد ساعات الصلاة، ولا يرى منها إلا الجزء الأدنى من المحراب ولاتزال في أرضية الكتيبة بمراكش في الموضع الذي كان يفصل هذا الجزء عن باقي أجزاء المسجد أثار قطعتين من الخشب بينهما فراغ كاف عميق يتسع لجدران المقصورة حين تهبط فيه).

واشتد تيار التأثيرات الأندلسية في عمائر المغرب بعد انهزام الموحدين في موقعة العقاب سنة906هـ فعبر عدد كبير من أهل الأندلس إلى بر العدوة مهاجرين إلى المغرب، ولم يمض أربع وعشرون سنة حتى كانت قرطبة سقطت في أيدي القشتاليين وهاجر عدد من أهلها إلى بر العدوة وتتابعت الهجرات إلى المغرب بعد ذلك.

وفي هجرة أهل الأندلس إلى المغرب الاقصى يقول ابن غالب "ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العدوة مع بلاد افريقية فأما أهل البادية فمالوا إلى البوادي إلى مااعتادوه، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها، فاستنبطوا المياه وغرسوا الأشجار وأحدثوا الأرض الطاحنة بالماءوغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات... أما أهل الحواضرفمالوا إلى الحواضر واستوطنوها. وأما أهل الأدب فكان منهم

[1] المقري :نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج4، ص147.

الوزراء والكتاب والعمال وجباة الأموال والمستعملون في أمور المملكة."[1]

5-2-2-التأثيرات القرطبية في عمارة المغرب الأوسط:

أخذت التأثيرات المعمارية القرطبية تتدفق على المغرب الأوسط "الجزائر" منذ قيام يوسف بن تاشفين باستنزال ملوك الطوائف في الأندلس أعقاب موقعة الزلاقة، وتمثلت هذه التأثيرات القرطبية بوجه خاص في محراب المسجد الجامع بتلمسان الذي يشبه محراب قرطبة شبها كبيرا فاللوحتان الرخاميتان اللتان تكسوان ازار واجهة المحراب بقرطبة قلدتا تقليدا واضحا في محراب جامع تلمسان كما قلد أيضا طراز الكتابة التي تملأ طرز محراب قرطبة. أيضا جاء تخطيط جامع تلمسان مماثلا لتخطيط جامع قرطبة بجميع ما أضيف اليه من زيادات.

لم تتوقف التأثيرات الفنية الأندلسية عن التدفق على المغرب الأوسط في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي حتى منتصف القرن الرابع عشر. وكانت تربط ميناء وهران بميناء المريةروابط وثيقة ولقد طلب أبو حمو الأول(707-818) وابنه أبو تاشفين (818-837هـ) من السلطان أبي الوليد اسماعيل سلطان غرناطة (713-725) أن يبعث إليه عددا من صناع الأندلسيين وفنانيها لبناء القصور بحاضرة تلمسان وشرع هؤلاء في بناءهذه القصور في عهد أبي حمو، وتم بناؤها في عهد خلافه أبي تاشفين وأحيطت تلمسان وقتئذ بالقصور والدور والحدائق والجنات التي لم يبنى مثلها بعد ذلك. [2]

ويتجلى تأثير فن البناء الأندلسي في الفنون الجزائرية في عمارة المساجد، ويعد مسجد سيدي بلحسن الذي أقامه السلطان المريني أبو سعيد عثمان صورة مماثلة لمسجد قصر الحمراء، بل أن واجهة مسجد العباد بتلمسان تعبر أصدق تعبير عن عمق تأثير العمارة الأندلسية في أبنية الجزائر في عهد السلطان أبي الحسن المريني علي بن عثمان.

تحفل مدينة تلمسان بالعديد من المساجد التي مثلت منارات دينية وعلمية طوال العصرالإسلامي، وحسب ماتذكره المصادر التاريخية أن عدد مساجد تلمسان بلغ حوالي ستين

[1] السيد سالم عبد العزيز، قرطبة عاصمة الخلافة الأندلسية، ص54.

[2] ينظر: السيد عبد العزيز سالم:قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ص59-60.

مسجدا [1] ولكن لم يتبق إلا بعضها يرجع لعصور مختلفة منها الجامع الكبير، مسجد سيدي أبي الحسن، مسجد سيدي بومدين، مسجد سيدي الحلوي، ويعد الجامع الكبير من أقدمها.

"حاولت كل دولة من الدول التي تعاقبت على حكم تلمسان طوال العصر التلمساني أن تطبع العمائر الدينية بهذه المدينة بطابعها وذوقها المعماري والفني وكان بناء المسجد من أهم ما كانت تعنى به تلك الدول، لذلك ظل الطابع الديني مسيطرا على هذه المدينة طوال عصورها، وأكسب المدينة إرثا فنيا معماريا يحمل طابع العمارة المغربية الأندلسية التي أثرت وتأثرت بعمارة وفنون مدن الشرق الإسلامي"[2].

"تأثرت العمارة الدينية بتلمسان خلال العصر الإسلامي بفنون العمارة الأندلسيبة إلى جانب التأثيرات المشرقية، وبدأ هذا التأثير مع ظهور المرابطين وضمهم الأندلس إلى المغرب حيث إقترن فن العمارة المرابطي بالفن الأندلسي المتميز، وأنتج فنا خليطا بين الطابع المغربي والأندلسي العربي، وقد ظهر هذا المزج في العمائر الدينية على وجه الخصوص أين فتح المرابطون أبواب المغرب على مصرعيه أمام الحضارة الأندلسية وتدفقت التأثيرات الأندلسية إليه وبدت مظاهرها في المدن المغربية ومن بينها تلمسان، لذلك يمكن إعتبار عصر المرابطين عصر الفن المغربي الأندلسي ويظهر بصورة واضحة في زخرفة المساجد وخاصة محاريبها"[3].

أما الضريح الذي أمر ببنائه أبو حمو الثاني فإنه يمتاز بزخارف جميلة ذات الرسوم الهندسية الملونة. ومن المؤسف أن تكون المدرسة قد اندثرت، ولم يصل لنا إلاّ وصفها، كما اندثرت قصور بني عبد الواد، وما بنوه من منتزهات في ضواحي عاصمتهم، وكما تبعثرت خزانة الكتب التي أسسها أبو حمو وأودع فيها نفائس المخطوطات. غير أن آثار أبي حمو الأدلية لم تلق نفس المصير إذ حفظ المؤرخون كثيرا من شعره، كما عرف كتابه واسطه السلوك في سياسة الملوك.

كمابنيت خمس مدارس هي معاهد عليا للتعليم في العلوم المتعارف عليها في هذه الحقبة

[1] أبو زكريا يحي بن خلدون : بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، 1981، ج1، ص 130.

[2] ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، ج1، ص254. (تلمسان الإسلامية ج2 ص218)

[3] ينظر، ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص 221.

التاريخية، وأول مدرسة بناها أبو حمو موسى الأول، أنشئت مدرسة ابن الامام التي أسسها أبو حمو الأول (707 . 718 هـ) والمدرسة التاشفينية التي أنشأها أبو تاشفين الأول (718 . 738 هـ) قرب الجامع الأعظم وبقيت تؤدي دورها إلى أن هدمها الفرنسيون وبنوا مكانها مقر البلدية وقد حضر تدشينها أبو موسى عمران المشذالي البجائي. والمدرسة اليعقوبية التي أنشأها أبو حمو الثاني للعلامة أبي عبد الله الشريف. وتم نباؤه في 5 صفر من سنة 765 هـ وغيرها من المدارس التي تفننوا في زخرفتها وتمجيدها وبذلوا أموالا طائلة في تحسينها وتكثير سواد صلابها. [1]

اشتهرت عدة مدارس بها بقرية العباد سنة 748هـ وأنشأوا بعد ذلك مدرسة ثانية قرب مسجد الولي الصالح أبي عبد الله الشوذى سنة 754هـ، وبنى المدرسة الخامسة العبقرية أبو حمو موسى الثاني سنة 765هـ، ولم تبق من هذه المدارس سوى مدرسة العباد. ومدرسة جليلة إزاء الجامع الأعظم، ومن ما آثاره أيضا إحاطة الجزائر بسور عظيم، وإنشاء قصبة سيدي رمضان جوار جامع سيدي رمضان وتوسيع الجامع الأعظم، وبناء منارته في 17 ذي القعدة سنة 722 هـ[2] وكذلك فعل من أتى بعدهما من السلاطين وخصوصا أبا حمو موسى الثاني.

المدرسة بتلمسان إزاء الضريح أهم مبنى في عهد أبي حمو الثاني وقدأشاد المؤرخون بجمالها[3] وجاء وصفها في زهر البستان فقال مؤلف هذا الكتاب " فأقمت مدرسة مليحة البناء، واسعة الفنا، بنيت بضروب من الصناعات، ووضعت في أبدع الموضوعات، سمكها بالأصبغة مرقوم، وبساط أرضها بالزليج مرسوم... غرس بازائها بساتين يكتنانها... وضع فيها صهريجا مستطيلا، وعلى طرفيه من الرخام خصتان يطردان مسيلا، فيالها من بنية ما أبهجها..."[4].

زخارف التوريقات والزخارف الهندسية التي تكسو الجدران جميعاوالموزعة في تقسيمات رائعة، مماثلة لزخارف قصر الحمراء بغرناطة، كذلك يمكننا مقارنة مئذنة المنصورة المجاورة لتلمسان بمئذنة جامع اشبيلية لتشابه تقاسيمهما الزخرفية، وتفاصيلهما المعمارية وتشبيكاتهما

[1] رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، ط3ص 288.

[2] محمد مبارك الميلي :تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ط خ، وزارة المجاهدين، ص 486.

[3] وقد أورد يحي بن خلدون، أنّ بناءها دام سنة ونصف سنة، وأن تدشينها كان في (5 صفر765هـ)

[4] أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره ص 182 ,[بغية الرواد ج 2. 136. زهر البنيان 84.]

القائمة على تقاطع العقود.

وتمكن الدارسون أيضا من معرفة أنماط الزخارف المتميزة لدى كل دولة من الدول السائدة في المغرب الإسلامي والأندلس وهذه الأخيرة كان لها طابع خاص، يتميز عن باقي المدن المغربية بل إنّ تلك المدن غرفت من منابع الزخارف الأندلسية فكانت عناصر زخارف مسجد قرطبة ومدينة الزهراء مصدرا أساسيا اقتبس منها فنانو الدولة المرابطية، فطبقوها في مختلف آثارهم. فهذا منبر الجامع الكبير بالعاصمة الذي صنع سنة(490 هـ / 1096 م) يعد من أقدم المنابر في العالم الإسلامي.

كما أن هناك بعض أوجه التشابه بين زخارف المسجد الكبير بتلمسان والزخارف القرطبية بصفة عامة، فالمراوح الموخزة المشقوقة الفصوص والملكة بشكلها الطبيعي غير المجردة هي السمة المشتركة بين الزخرفة المرابطية [1] والقرطبية على أنّ هذه الحلقة المشتركة بين الدولتين المذكورتين لم تدم طويلا، بسبب ظهور قوة جديدة على المسرح السياسي بالمنطقة، مما أدى إلى ظهور نمط جديد من الزخرفة المجردة بمثابة القالب العام للفن الإسلامي قاطبه وإن كان قد تميز ببطئه من حيث الانتشار والاتساع، كما لم يعرف تعبيرا كبيرا إلاّ في بعض الجزئيات التي لا يدركها غير العارف المتتبع لروح الفن الإسلامي. [2]

شغلت هذه الزخرفة عدة أماكن من العمائر الموحدية شأنها في[3] ذلك شأن العمائر الإسلامية سواء منها العائد إلى ما قبلها أو التي جاءت بعدها على الخصوص كرشات عقود المحاريب وعقود الأبواب.

وفي بقية الفنون سواء منها الخزفية أو المعدنية أو الخشبية وإنّ هذه الشمولية لمثل هذه الزخرفة على كل هذه المواد لدليل ساطع على اتجاه الموحدين إلى عالم الفن الزخرفي في عمائرهم المختلفة التي لم يألوا جهدا لأن يجعلوها تنبض بالحياة وتشع منها الروح الجمالية والرواء الفني الرائق، مما أضفى عليها طابعا خاصا، دفعهم إلى ذلك مرونة الدين الإسلامي وعدم التحجر

[1] محمد الزيادي، محمد بغدادي:عنوان مجهول، 1962، ص 20.

[2] المرجع نفسه، ص24 .

[3] المرجع نفسه، ص37 .

فيه أو التقييد الجامد فيه، فكانت عبارة عن وحدات متكررة في تسلسل دقيق ومتزن كأنها ملازم موسيقية تنطلق بوحدات رتيبة متناغمة في استرسال حالم، أوكأنها أبيات شعر موزونة، حرص شاعرها على موسيقاها الشاعرية.

هذه الميزة التي تميزت بها الزخرفة الإسلامية قاطبة هي سر شهرتها كما أنها هي طرف الخيط للوحدة الزخرفية الشاملة، المتكررة بشكل يثير في النفس الارتياح والغبطة، فتجعل عين الإنسان لا تكل من النظر إليها ولا ترغب في الابتعاد عنها، خاصة إذا كانت تلك الزخرفة قد أنجزت على مهاد من الأغصان الملتوية كأنها أشرطة جدائية ملتوية، حيث تضفي هي الأخرى على المساحة نوعا من التكرار الرتيب[1].

5-3-مآثر المرابطين والموحدين المعمارية والثقافية.

شيد المرابطون منشآت إسلامية عظيمة منها المساجد والمدن والقلاع فبسطت وازدهرت الحياة الثقافية فحكمت هذه الأسرة البربرية المغرب العربي والأندلس مدة قرن كامل حكما مضى جهادا في سبيل الدفاع عن حمى البلاد الاسلامية.

كان اهتمام ولاة الأمر من المرابطين والموحدين ببناء المساجد وتعميرها باعتبارها مركز الإشعاع الفكري للدعوة المرابطية والموحدية. [2] فأمر منصور الموحدي سنة 591هـ ببناء مئذنة كبيرة لمسجد الكتبين وجعل طولها مائة ذراع وعشرة أذرع بالصنع الأنيق وبجانب بناء منارة ضخمة لمسجد الكتبين فإنه أمر ببناء مسجد كبير بالضاحية الجديدة التي جعلها إمتدادا لمدينة مراكش وكان ذلك سنة 591هـ كما بلغ إهتمام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ببناء المساجد بمدينة فاس حتى أنه أمر سكان كل شارع ببناء مسجد وحين ضاق جامع القرويين بالمصلين طلب الفقهاء من أمير المؤمنين توسعته وقد بلغت مساحته خمسين وثمانمئة وألف متر مربع وتوالى اهتمام ولاة الأمر بمسجد القرويين فصنع له منبر جديد تكلف ثلاثة ألاف دينار وثمانمائة دينار وسبعة أعشار دينار فضة وكان ذلك سنة 538هـ. كما لقي جامع الأندلسيين اهتماما خاصا من الناصر الموحدي حيث أمر بادخال عدة تحسينات عليه ومنها بناء باب

[1] محمد الزيادي، محمد بغدادي:عنوان مجهول، 1962، ص39 .

[2] نظام المدن، ص 396.

جديد له كما أمر ببناء سقاية للوضوء وبيت لصلاة النساء وكان ذلك سنة 604هـ أما المسجد الكبير بسبتة فقد بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين.

وفي عهدالدولة المرينية (668 . 967 هـ) عرف عن أبي عنان المريني سلطان المغرب، بالإضافة إلى علمه وحلمه وتقواه وشجاعته اهتمامه بالعمارة (ومن أعظم حسناته عمارة المسجد الجديد بالمدينة البيضاء دار ملكه العلي وهو الذي امتاز بالحسن وإتقان البناء وإشراق النور وبديع الترتيب، وعمارة المدرسة الكبرى بالموضع المعروف بالقصر مما يجاور قصبة فاس لا نظير لها في المعمورة اتساعا وحسنا وإبداعا وكثرة ماء وحسن وضع. [1]

وقال روجيه لوتورنو في قصرالسلطان المريني إنه كان (مكوّنا من مبان للإدارة يجتمع فيها الوزراء وأعيانهم للمشاورة ومن المباني المخصصة لسكنى صاحب الأمر وأسرته وحاشيته).

وكانت زخارف القصر تتألف من الرخام والفسيفساء الملونة والجبس الأنيق الشغل والسقوف الخشبية المدهونة والثريات النحاسية الضخمة التي كانت تحمل السرج الموقد بالزيت. وكان الأثاث من الفرش تكسوها الأقمشة الثقيلة والبسط السميكة من صنع البربر وقطع قليلة من الأثاث مصنوع من الخشب المحفور.

وكانت غرف الاستقبال تنفتح على عرصات تحيط بها الجدران من كل جهة. وكانت أرض هذه العرصات مغطاة بالقيشاني الملّون، وتتظل ذلك أحواض الزهور والأشجار المثمرة، وقد تقوم في بعضها نافورة يهبط ماؤها بعد ارتفاع في بركة وضعت في قلب العرصة. وإلى جانب القصر كانت تقوم دار الضرب. [2]

بالإجمال نشطت حركة تشيد المساجد في عهد الموحدين والمرنيين في المغرب ولعل من أبرز المساجد التي شيدها المرنيّون الجامع الكبير بفاس الجديدة ومسجد أبو مدين في مدينة العباد، ومسجد المنصورة بتلمسان، ومسجد سيدي أبي صالح بمراكش (ويعتبر جامع القرويين سجلا حافلا لتأريخ المغرب حيث اشتركت في ترميمه وبنائه جميع الدول التي تعاقبت على

[1] ينظر:ابن بطوطة، الرحلة، ص 672.

[2] خالد ابراهيم يوسف: الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003. ص79. مقتطف من كتاب فاس في عصر بن مرين، ص 36.

حكم المغرب وهو بمكانته الدينية الرفيعة يقف على قدم المساواة مع جامع الأزهر، ومسجد قرطبة الجامع، وجامع القيروان في تونس، والجامع الأموي في دمشق.)[1]

"فكان أوّل ما صرف إليه همته أن شرع في إصلاح مساجد الجمعة فزاد في جامع السّوق الصفين المقدمين، ثمّ نقض الجامع العتيق[2]وأعاد بناءه وزاد فيه أكثره، وأجرى إليه الماء، وجعل إزاءه ميضاتا مسا للوضوء والحاجة، وأبدل منبره، ثمّ شرع في بناء مسجده[3]العظيم الذي لم يبن أمير مثله إتقانا وحسنا"

فجاء "كما تراه العين من المباني الرّائقة، والآثار الفائقة، مكتنفا بالمدرسة التي كاد العلم أن يتفجّر من جوانبها، وحبس عليه خزانة كتب هي في البيت التي بناها لأجلها خارج بعض زواياه بابها فيه، وجعل شرقيه مقبرة محوزة بالبناء الوثيق يدفن فيها الشهداء ومن مات من قرابته وأولاده، وفي "إحدى زواياه قبة عالية رائقة وفي وسط المقبرة بئر عذب ماؤها، كما حبس عليه الحمام العظيم الرّائق بناء وشكلّا الذي بناه قربه، وهو من أعزّ مبانيه، والدار الملاصقة لميضاته البديعة المحتوية على نحو الست عشرة مطهرة، وأتاه بماء كثير اشتراه من أربابه، واشترى ما كان مملوكا من المواطن التي حفر له فيها، وجعل من هذا الماء سقايات للسبيل ومنه جعل الحمام المقدّم الذكر، وباقيه في الميضات وصحن المسجد، فروى به أهل تلك الناحية بعد الظّمأ الملازم والتّعب، وحيي مواتهم، وتباشر بينهم وبناتهم، واشترى له حدائق ودورا، وحوانيت حبسها عليه، وبنى له فرنا وغير ذلك بحيث تكفي غلات أحباسه جميع وظائفه ولوازمه، وتفضل منها فضلة تدخر له. "وقد فرغ من جميع تعلقاته من تنميق وغيره سنة ست وتسعين ومائة وألف، وقد كنت قلت فيه قصيدة أثبتهاهنا وإن كانت قاصرة عن الإحسان لأنّي قلتها زمان كنت لا أجيد من النّظام إلاّ ما يوافق الصغر من الأبيات القليلة وهي :

فأعاد لهما الشّباب بعد التعنيس وأبدى للعيون منظرهما النّفي

[1] المرجع السابق ,رؤوف الأنصاري. عمارة المساجد ص 96.

[2] الجامع العتيق : هو الأعظم الحالي ويرجع عهده إلى (بني مرين) حيث وجد الأثريون قطعة من منبره وضعت في متحف فاس في عهد الاحتلال الفرنسي.

[3] جامع المبايعة : المعروف بجامع حسن وكانت بقربه المدرسة المحمدية وخزانة الكتب، وقد تبارى الشعراء في وصفها.

الفصل الثاني:

الصورة الماوية للعمارة في غرض الوصف

نبذة عن الحركة الشعرية بالمغرب العربي القديم

1 -وصف الحواضر ومعالمها

*وصف مدن المغرب العربي

*مدينة تونس

*مدينة مراكش

*مدينتا فاس وسبة

2 -وصف القصور

*قصور قلعة بني حماد

*قصر المنصور بالقيروان

*قصر الربيع

*قصر البديع بمراكش

3-وصف الدور

4-وصف المقصورات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نبذة عن الحركة الشعرية بالمغرب العربي القديم

تعددت وجوه استعمال لفظة الشعر الذي جمعه أشعارفي اللغة ومن ذلك أنه العلم والفطنة والادراك والاطلاع والاعلام والدراية وقائله شاعر لأنه "يشعر مالا يشعرغيره أي يعلم"وسمي شاعر لأنه يفطن مالا يفطن له غيره .قالوا والدليل على ذلك قول عنترة.

هل غادر الشعراء من متردم وهل عرفت الدار بعد توهم[1]

يقول أن الشعراء لم يغادروا شيئا إلا فطنوه وبتعددهذه المعاني وتقاربها في اللغة تعدد مدلول الشعر في الاستعمال الاصطلاحي واتخذ مفاهيم مختلفة عبر العصور الأدبية .

فالشعر عند علماء اللغة والأدب "كلام موزون مقفى يدل على معنى"ويعرفه الشريف الجرجاني"كلام موزون مقفى موزون على سبيل القصد" بينما ربط الجاحظ الشعر بفن الصوير بقوله "فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" .

وعرفه ابن خلدون بأنه:"الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف والمفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله"[2]

الحديث عن الحركة الفكرية والثقافية في بلاد المغرب العربي تشبه إلى حد كبير الحركة الفكرية والثقافية في بلاد المشرق العربي، كما هي جد شبيهة بالحركة الثقافية التي نشأت في الأندلس ذلك أن المغرب العربي على إتساع رقعته مشرقا ومغربا متشابه في عاداته وتقاليده وفي طرق تفكيره لذلك كانت حياته الثقافية على إختلاف ربوعه متشابهة، وبذلك أصبحت ثقافة المغرب العربي وافريقيا جزءا من الثقافة العربية الإسلامية.

هذه الثقافة التي خضعت بالدرجة الأولى لطبيعة البيئة الثقافية ثم إلى الإستعداد الذاتي للإنسان البربري في تقبل الثقافة الوافدة ليحصل بعد ذلك تمازج ثقافي ولد ثقافة جديدة تحمل مزايا الثقافات المتعددة فكان المزاج الفكري والمستوى العقلي للانسان البربري عاملان شكلا الحلقة المركزية للثقافة العربية الإسلامية في هذه البقعة على مسار تطورها.

[1] ابن منظور: لسان العرب مادة (ش ع ر)

[2] ابن خلدون:المقدمة ص

وهذا مايشير إليه الباحث حسن اسماعيل في كتابه "الدلالات الحضارية في لغة المقدمة "فاذا لم تتوفرهذه البيئة الحاضنة وهذا الإنسان الذي يحمل في ذاته استعدادا للتفاعل مع الثقافات الأخرى بقيت الثقافة الوافدة غريبة لا تلبث أن تضمحل وتزول "[1]

رافق الفتح الإسلامي لبلاد المغرب انبثاق الحركة العلمية والأدبية بالمغرب على يد العرب ومن أتى بعدهم من الوافدين على القيروان وغيرها من المدن، ولا شك أن البعثة العلمية التي أرسلها عمر بن عبد العزيز (99. 101 ه) كانت هي الشرارة الأولى في بعث تيار ثقافة عربية[2] بالمنطقة.

في أوائل العصرلم يستطع المغاربة أن ينبغوا في الشعر والنثر لأنهم في طور التلمذة وما إن توسط القرن الثاني حتى أخذوا في المساهمة والانتاج فكان الشعر عصر النشوء بالقيروان و تيهرت وطبنة وفاس أو غيرها من المراكز الثقافية وليد النشاط الديني، وّإن حاكت أنماطه البيانية الشعر الجاهلي والأموي[3]. فطرق شعراء هذه الفترة من أفارقة أو وافدين عليها طيلة مايقارب قرن موضوعات الشعر المعروفة **كالفخر والحماسة والوعيد والعتاب والحنين** وغيرها، إلا أنهم لم يتوسعوا فيها، ولم ينتحلوا الشعر كمهنة ارتزاق أو وسيلة ازدلاف لبلاط الأمراء، وإنما كانوا يتعاطون الشعر ليعبرعن خوالجهم النفسية، وأغراضهم الشخصية في فترات مختلفة .

هناك تصور يربط بين التطور الحضاري والمذاهب الفنية وهو ماأخذ به عبد العزيز الأهواني حيث يقسم مذاهب الشعر العربي إلى أربع تيارات:مرحلة البداوة أو الشعر القبلي وهو الشعر الذي أنتجه الجاهليون ويمتد إلى العصر الأموي يتصل بحياة العرب بجزيرتهم وقد رسم شكل القصيدة العربية وأوزانها ونظام قوافيها ووحدة البيت والمعاني العامة في القصيدة.

شعر مرحلة الحضارة والمدن وهو المرحلة الثانية في تاريخ الشعر العربي,ويمثلها الشعراء المحدثون الذين ظهروا في بغداد في العصر العباسي الأول أمثال ابن برد وأبو نواس فعلى يد هؤلاء انتقل الشعر من طور البداوة إلى طور الحضارة,بمعنى أن الشعر البدوي تحول تحولا يتفق

[1] حسن اسماعيل: الدلالات الحضارية في لغة المقدمة، ص12.

[2] ينظر: رابح بونار:المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، ط3، ص 36.

[3] المرجع نفسه، ص42.

مع طبيعة سكان المدن ويتلاءم مع مافيها من ترف ولهو ووصف للمدينة ومافيها من حدائق وقصور ومجالس.

فاننا بالمقابل نجد شعراء المغرب العربي انطلقوا احساساباالإنتماءالعربي شأن سائر الأمصار فأصبحت الموضوعات تراثا مشتركا بين الأقطار الإسلامية, كما عرف الشعر المغربي المذهب القبلي وأما الأشعار التي تتفق ومرحلة الحضارة والمدينة في موضوعاتها من مثل الإخوانيات والإعتذارات القصيرة والشعر الفكاهي.[1]

في حين نجد رابح بونار تتبع الحركة الأدبية بالمغرب العربي وقسمها إلى أربعة عصور معتبراقرن هذه العصور بسقوط دولة محددة أمر غير سديد ويقول في ذلك:"وأما تحديد العصور الأدبية بفترات زمنية مقترنةبقيام دولة وسقوطهافهو غير سديد وقد قسمت عصور الأدب إلى هذه العصور"[2]

عصر النشوء الثقافي(50- 184 هـ):ويبتدئ بعد الفتح الإسلامي بقليل أي بعد50هـ بتأسيس جامع القيروان وينتهي بقيام الدولة الأغلبية

عصر النهضة الأدبية الثقافية (184-296هـ): ويبتدئ بقيام الدولة الأغلبية وينتهي بسقوطهافي أخر القرن.

عصرالإزدهارالأدبي الثقافي (296-547هـ):ويبتدئ بقيام الدولة الفاطمية وينتهي بسقوط دولة بني حماد على يد الموحدين.

عصر النضج الأدبي الثقافي:يبتدئ بدولة الموحدين والدول البربرية التي تفرعت عنهاكبني زيان بالجزائر 627-958هـ) والمرنيين والوطاسين بالمغرب الأقصى(610-869هـ) والحفصيين بتونس(626-981هـ).

عصر الإنحطاط الأدبي الثقافي:ويبدأ بدولة الأتراك بالجزائر وتونس وينتهي بالإنبعاث الأدبي الحديث في أول القرن العشرين بالجزائر(915- 1320 هـ).

[1] ينظر عبد العزيز بدوي:محاضرات في الشعر المغربي القديم,ديوان المطبوعات الجامعية,الجزائر 1983ص 109.

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، ط3، ص 38.

مر النصف الأول من القرن الثاني ولم يترك أثرا علميا بطبنة وغيرها من مدن الجزائر يستحق التسجيل، وتأخرت حركتها الثقافية عن التأثر بالقيروان[1]، ولما أقبل النصف الثاني من القرن الثاني أخذت مدن الجزائر تقلد القيروان في التعليم ودراسة العلوم والآداب فنشطت طبنة التي جدد بناؤها عمر بن قبيصة المهلبي (161م/154هـ) وجعلها قاعدة الجزائر الشرقية في الحركة العلمية والأدبية".

وظهرت فكرة التشيع بقيام الدولة الفاطمية بشمال إفريقية (292 . 362) واستغلال الأدب لنصرته وتشجيع المناظرات والأبحاث اللغوية في الأدب من نثر وشعر.[2] وكان من الآثار المعمارية لهذه الدولة بالجزائر مدينة المسيلة وأشير وبونة الحديثة (360 هـ . 961 م) ودار الهجرة المندرسة الآن، وهي ذات حضارة ومدينة عجيبة.

لم تكن أشير الصنهاجية في المغرب الأوسط بأقل من جارتها المسيلة ولعل ذلك يرجع إلى شدة التنافس بين أمراء المدينتين أما المغرب الأقصى فإنه في ظل الأدارسة قد تمتع بحرية أكبر على الرغم من عدم الاستقرار السياسي وذلك بفضل حرية المذهب فازدهر الأدب والشعر وأقيمت المجالس الأدبية.

و "على الرغم من رحيل العبدين إلى مصر فقد واصلت حركة الإبداع الثقافي زمن الامارة الزيرية تطورها بفضل عدد من المبدعين في مجالات الفكر والأدب والفن والعلوم الدينية فظهر عبد الكريم النهشلي، والقزار النحوي القيرواني، وابن رشيق، والحصري.... "[3]

ويحدثنا ابن خلدون عن العمران والحضارة بالقلعة فيقول :"وتم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة "وشيد حماد من بنيانها وأسوارها واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت العمارة

[1] نافست تيهرت مدينة القيروان في احتضان الحركات العلمية والفكرية، وأرادت أن تتفوق عليها في افساح المجال لمختلف المذاهب والعقائد، وتعزيز الحرية الفردية والجماعية لمختلف الطبقات وقامت الحاضرتان معا بدور جليل في نشر الثقافة الدينية والأدبية ولكن الفترة القصيرة التي مرتا بها وهي نحو خمسين سنة، كانت فترة مخاض تمثل لتراث فكري يتطلب وقتا كافيا لنهوضه والانتاج فيه، ورغم هذا فإننا نجد نبوغا مبكرا لجماعة من الأعلام في الفقه والعقائد والأدب

[2] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، ط3 ، ص174.

[3] بشير رمضان التليسي :الإتجاهات الثقافية في بلاد المغرب ص 536

واتسعت في التمدن. [1]

ويكفينا في تصور مبلغ المستوى الثقافي وانشار العلم والأدب يومئذ، اجتماع مئة شاعر على باب المعز بن باديس ونبوغ أمثال ابن عمرون الوهراني، وابن رشيق المسيلي والداودي التلمساني ومن هولاء الشعراء المائة الذين كانوا يترددون على القصر الشاعر المؤرخ أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالرقيق كاتب الدولة يومئذ المتوفي سنة (417 ه) [2]

وفي هذه الفترة المبكرة لم ينبغ من الشعراء الأفارقة سوى عبد الرحمان بن زياد القاضي القيرواني(74ه-161ه) ويعد أول مولود في الاسلام بالمغرب العربي ولم يصلنا من شعره الا مقطوعة في الحنين إلى وطنه.

«وعلى الرغم من أن القيروان كانت تعتبر خلال القرن الرابع الهجري منطقة جذب للعلماء فإن مدنا أخرى شاركتها شهرتها فقد كانت المسيلة حاضرة الزاب من المدن التي ارتادها الشعراء أمثال ابن هانئ الذي التحق بأميرها جعفر بن علي الأندلسي وأخيه يحي قبل أن يلتحق ببلاط الخليفة المعز لدين الله وله في مدحهما قصائد رائعة »[3]

[1] عبد الرحمان الجلالي، تاريخ الجزائر العام، ص 342.

[2] ينظر عبد الرحمان الجلالي، تاريخ الجزائر العام ص 346.

[3] المرجع نفسه ص 537.

1-وصف الحواضر ومعالمها

الوصف من أبرز التقنيات اللغوية التي تؤدي دورا بارزا في الشعر العربي عامة حتى لايكاد يكون التقنية اللغوية المهيمنة يقول ابن رشيق عن الشعر"إلا أقله راجع إلى باب الوصف"[1] وهوأحد الأساليب التي تسهم في تقريب المكان من المتلقي وتكشف عن الكثير من العلاقات الفنية إلى جانب دوره في تجسيد المكان واستنطاق أفكاره. كمايمثل الوصف بنية تصويرية، وأحد الأساليب التي يتبعها المبدع في تقديم المكان، فهو إجراء فني لاغنى للأديب عنه في إنتاج أثر فني ناجح ينقل الأشياء والصور مفعمة بالحياة متدفقة بالحيوية والحركة فوصف الأمكنة يسمح للقارئ من أن "يقف على الصورة الطوبوغرافية للمكان والتي تخبرنا عن مظهره الخارجي". [2]

فإذا كان المكان الحضري هو المكان الذي صنعه الإنسان وأوجده الفكر البشري الذي يعكس مدى الثراء والترف المادي والسلطة والسيادة، ويتمثل هذاالمكان في القصور والدور ومايتبعها من عمارة مدنية ودينية وعسكرية.[2]

المكان الحضري في بلاد المغرب العربي امتداد لما شهدته الأندلس من حضارة مادية على فترات متفاوتة وكل هذا كان نتاجه إلهاب قرائح الشعراء الذين أعجبوا بتلك الأماكن فراحو يصفون مافيها من علو وجمال وشموخ مما أسهم في نضوج فن الوصف. وعلى غرارهم برز شعراء في المغرب العربي فكانت حواضر المغرب ومعالمها ومبانيها وأثارها تحت مرمى بصر شعراء العصر، وقد تنقلوا في أرجائها ووصفوا معالمهامعملين الخيال في إنطا ق صورها، فكانت لنا جملة من الصورمنها الناضر ومنها الشاحب، وفي كل بصمةمتميزة، ووصف يستفاد بعضها في قصائد وبعضها في مقطعات وبعضها الأخر وردعفو الخاطر.

يعمل الوصف على بناء الأمكنة، وإعادة بنائها بالكلمات وهذا الصوغ محكما مترابطا فقد وصفت وصفا طوبوغرافيا هناك مدن أثارت اهتمام الشاعر المغربي، وحركت وجدانه وقريحته، إما إعجابا بطبيعتها وجمالها أو تحسرا على أوضاعها وظروفها أو ما إلى ذلك من ألوان

[1] ابن رشيق :العمدة ج2. ص294.

[2] ينظر المكان في الشعر الأندلسي ص 72.

العواطف البشرية المتباينة **للمدن العربية** والإسلامية.

***وصف مدن المغرب العربي**

على اتساع الحيز المكاني للمغرب العربي يأخذنا الشاعر أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني في جولة سياحية عبر ربوع وحواضر المغرب العربي من الجزائر إلى المغرب الأقصى من ميلة شرقاإلى وهران وفاس وسلا غربا فيقول:

لقد رمت العيون سهام غنج وليس سوى فؤادي من رمي
فحسبك نار قلبي من سعير وحسبك دمع عيني من أتي
وكنت أظن أنّ النّاس طرا سوى زيد وعمر وغير شيء
فلما جئت " ميلة " خير دار أمالتني بكل رشا أديبّ[1]
فكم أوردت ظباء بني ورار أوار الشوق بالريق الشهيّ
وجئت بجاية فجلت بدورا يضيق بوصفها حرف الرويّ
وفي أرض الجزائر هام قلبي بمعسول المراشف كوثري
وفي مليانة قد ذبت شوقا بلين العطف والقلب القسي
وفي (تنس) نسيت جميل صبري وهمت بكل ذي وجه وضيّ
وفي "مازونة" مازلت صبا بوسنان المحاجر بوذعي
وفي "وهران" قد أمسيت رهنا لظامي الخصو ذي ردف روي
وأبدت لي "تلمسان" قدودا حلبن الشوق للقلب الخلي
ولما جئت " وجدة " همت وجدا بمنخنث المعاطف معنوي
وحلّ رشا الرباط رشا رباطي وتيمنى بطرف بابلي
وأطلع قطر " فاس " لي شموسا مغاربهن في قلب الشجى
وما " مكناسة " إلاّ كناس لأحوى الطرف ذي حسن سنيّ

[1] أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني :عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السابعة ببجاية، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص 283-286.

وإن تسأل عن أرض "سلا" ففيها ظباء صائدات للكميّ
وفي مراكش ياو يح قلبي أتى الوادي فطمّ على القريّ
بدور بل شموس بل صباح بهي في بهي في بهي
أنحن مصارع العشّاق لما سعين به فكم ميت وحيّ ؟[1]

اكتفى الشاعر من كل هذه المدن التي عبر عنها بموضوع واحد سيطر على فكره هو الغزل غافلا عن الخصوصيات الثقافية والعمرانية والحضارية لكل مدينة من المدن المذكورة وقدم وصفا فوتوغرافيا فضفاضا متتبعا مفردات المكان وهناك من الشعراء من حاول تقديم وصف تفصيلي للمكان، وتقصى حقيقته واقترب من واقعه بأدق تفاصيله مستجليا دقائقها وتفاصيلها من بيوت وغرف وشوارع هذا الوصف الشمولي هو وصف عام للمكان الذي تتواجد به العمارة كالمدينة أو لبعض الأماكن الأخرى كالبحرويتعلق هذا التقديم الظاهري البانورامي باتساع الحيز المكاني وانتشاره على غرار الحيز الزماني وإنتشاره.[2]

وصفت بعض المدن وصفا طوبوغرافيا ركز فيه الشاعر على موقعها الطبيعي وعلى أهم معالمها وعوامل حصانتها كالأبواب نظرا لأهميتها ودورها الحضاري والسياسي وها هو الشاعر أبو علي حسن بن الفكون (القسنطيني)يتغنى بمدينة الناصرية (بجاية) لما زارها، ورحب به أمراؤها وقد أعطانا في أبياته صورة خلابةعن جمال المدينة، وسحر مناظرها المتنوعة التي تحيط بها فيقول:

أين العراق وبغداد وشامهما فالنّاصرية ما إن مثلها بلد
بر وبحر وموج للعيون به مسارح بان عنها الهم والنّكد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيش
والنهر كالصّلّ والجنات مشرفة والنهر والبحر كالمرآة وهو يد
فحيثما نظرت راقت وكل نوا حي الدار للفكر للأبصار تتقد
إن تنظر البر فالأزهار يانعة أو تنظو البحر فالأمواج تطرد

[1] الغبريني: عنوان الدراية قيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح رابح بونار، ص 286.
[2] ينظر : نجيب العوفي : مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية ص 150.

يا طالبا وصفها إن كنت ذا نصف قل جنة الخلد فيها الأهل والولد[1]

بلغ إعجاب الشاعربناصرية منتهاه فقال فيها انها لانظير لها، بل هي جنة الخلد فيها الأهل والولد.

***مدينة تونس**

جاء على لسان الرحالة " أبو عبد الله محمد العبدري" مدينة تونس[2] وهذه المدينة كلاها الله من المدن العجيبة الغريبة، وهي في غاية الإتساع ونهاية الإتقان والرخام بها كثير وأكثر أبواب ديارها معمول بها عضائد وعتب، وجل مبانيها من حجرمنحوت محكم العمل، ولها أبواب عديدة وعند كل باب منها ربض متسع على قدر البلد المستقل، ولو اتفق ان كان بها ماء جار ماءها قليل وفي ديارها لكانت معدومة النظير شرقا وغربا"هذه المدينة التي تعتبر معبرا نحو الديار المقدسة وهي إحدى المحطات في طريق الحجيج المغاربة نحو مهبط الوحي.[3]

"ثم وصلنا إلى مدينة تونس مطمح الأمال ومصب كل برق. ومحط الرحال من الغرب والشرق وملتقى الركاب والفلك وناظمة فضائل البرين في سلك. فان شئت أصحرت في موكب. وإن شئت أبحرت في مركب. كأنها ملك والأرباض لها اكليل. وأرجاؤها روضة باكرتها ريح بليل.... فاقت بحسن معانيها واتقان مغانيها وغيرها من المدن وطالت. وسطت بنخوتها وانتحت بسطوتها على قواعد الشرق والغرب وصالت. وترجم حسنها البهيج، وعرفها الأريج. عن معناها ولو نطقت لقالت:

أنا الغادة الحسناء فاق جمالها فقالت يمنيالا خطبت على زوج

إذا الغانيات ارتدن وصل بعولة فما بي ولا فخر إلى الزوج من حوج

أعادي إذا ما شئت ظبيا بقفره وأطرق نون اليم في ظلم الموح

وفي لمكدود الحجيج استراحة فهم يردوني الدهر فوخا على فوح

[1] أبو العباس أحمد بن أحمد الغبرني : عنوان الدراية ضمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، رابح بونار، الشركة الوطنية النشر والتوزيع، الجزائر، 1970 ص 281.

[2] نقولا زيادة :الجغرافية والرحلات عند العرب ص173

[3] عبد الجواد السقاط :تجليات المدينة في الشعر العربي:ص 86

واني إلى البيت العتيق كسلم به يرتقى من في الحصص إلى الأوج[1]

***مدينة مراكش**

عرفت مدينة مراكش بالحمراءوقد وصفها أكثر من شاعر بهذا الوصف فيقول فيها الشاعر**محمد بن عبد الملك المراكشي**:

لله مراكش الحمراء من بلد وجند أهلها السادات من سكن

إن حلّها نازح الأوطان مغترب أسلوه بالأنس عن أهل دعن وطن[2]

وهذا سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني في مدح القاضي عياض (ت 544 هـ) فيقول:

على ساكن الحمراء مني تحية تروم ضريح العلم ما لاح طارق[3]

بينما تسجل أبياتا لمحمد بن الكنسوس[4] منوها فيها بالجانب العمراني لمدينة مراكش، وما تعرفه من بنايات شامخة في معظم أحيائها وجهاتها فيقول :

مبان كما شاء الجمال تكونت تحار بمرآها الأنيق النواظر

قباب على سمت السعادة شيدت تحف بها الأدواج وهي نواضر

فمنها التي في السيل تلعب حولها ظباء تجاريها المها والجآذر

وفي مدخل الرضوان أخرى تصونت قد ابتهجت من جانيها المساور

وأخرى على أرض المصلى مطلة قد اعتدلت أهواؤها والعناصر

وفي وسط الزهراء ذات مجالس مفتحة تفتر فيها الأزاهر

ودار الهنا حول الخليج مقاعد تلذ بها للسامعين المزاهر

وفي ابن عقيل للمقيل مسارع يردد فيها الطرف والطرف حائر

كذلك أكدال الصغير الذي له منارة عز ترتضيها المنابر

[1] العبدري :الرحالة العرب، ص 117-118

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص 332.

[3] السملالي :الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ج 9. ص 338.

[4] من (مؤرخي العصر العلوي وأدبائه ت 1294 هـ)

إذا انفجرت تلك المناهل أوجدت فليس تضاهيها البحار الزواخر[1]

ومن نظم ابن الخطيب قوله لما أشرف على الحضرة المراكشية:

ماذا أحدث عن بحر سبحت به من البحار فلا اثم ولا حرج
دحاه مبتدع الأشياء مستويا ما إن به درك كلا ولا درج
حتى إذا ما المنار الفرد لاح لنا صحت يترى يا مطايا جاءك الفرح
قربت من عامر دارا ومنزلة والشاهد العدل هذا الطيب والأرج

وتغتبر"حضرة مراكش هي بغداد المغرب وهي أعظم ما في بر العدوة وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها إنما ظهرت في مدد بني عبد المومن وكانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم وذلك مشهور معلوم إلى الآن، ومدينة تونس قد انتقلت إليها السعادة التي كانت في مراكش بسلطان إفريقيا أبي زكرياء"[2]. كما يشيد العباس بن إبراهيم المتقدم، بمساجد المدينة وأسوارها العتيدة :

كل الفضائل في بطحائها اجتمعت مما يعين على الخيرات و الدين
شافتني الغادة الغراء إذ سكني فيها وإذ جلت في تلك البساتين
أسوارها كالحديد في حصانتها أبراجها قد غدت مثل الأواوين
لها مساجد لا تنفك عامرة الذكر والعلم في نشر وتلقين[3]

كماحازت بعض العناصر المعمارية نصيب من اهتمام الشاعرمن بينها الفوارات والمنارات في منارة الكتيبة بمراكش يقول الشاعر أحمد بوستة قصيدة على لسان منارة الكتيبة التي شيدها يعقوب المنصور الموحدي بمراكش نقتطف منها هذا المقطع:

وأنا المنارة بنتها البكر التي صالت بشهرتها على الأقران

[1] السملالي :الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، ج 7، ص14.
[2] المرجع نفسه، ص68.
[3] عبد الجواد السقاط:تجليات المدينة في الشعر المغربي , ص120.

مثلت بالحمراء ما قد شاده في أرض أندلس بنومروان
وبلغت أسباب السماء ولم أقف حتى لمست عنانها بعناني[1]

ومما قال لسان الدين بن الخطيب :.

يا حسنها من أربع وديار أضحت لباغي الأمن دار قرار
وجبال عز لا تذل أنوفها إلاّ لعز الواحد القهار
ومقر توحيد وأسّ خلافة لآثارها تنبي عن الأخبار
عمرت بحلة عامر وأعزّها عبد العزيز بمرهف بنار[2]

يقول أيضا– لسان الدين بن الخطيب – من جملة قصيدة من نمط ما تقدم لم أستحضر أولها.

سلبت تماثلها الحجا لما اغتدت تزهو بحسن طرازها تفهيبا
ولقد تشامخ في العلو سماكها فجرى على الفلك المنير جنيبا
وسما إلى الشهب الزواهر فاغتذى الـ إكليل منها تاجها المعصوبا
هذا البديع يعزّ شبه بدائع أبدعتهنّ به فجاء غريبا
أضنى الغزالة حسنه حسدا لذا أبدى عليها للأصيل شحوبا
وانقضّت الزهر المتيتو إذ رأت زهر الرياض بهي نور عجيبا
شيدتهنّ مصانعا وصنائعا أنجزن وعدك للعلا المرقوبا
وجربت في كل الفخار لغاية أدركتها أو ما مسست لغوبا
فانعم يملكك فيه دام مؤبدا تجني به فنن التعيم رطيبا
واليكها عذراء فكر أهديت وجعلت مدحك مهرها الموهوبا[3]
ونظمت من درر البلاغة عقدها فغدا يروق بجيدها ترتيبا
ورفعتها لمقامكم تمشي على انسـ تحيا قيزعجها الولا ترغيبا

[1] مراكش في الشعر العربي، ص 71 .
[2] المقري :نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج8، ص350.
[3] المرجع نفسه، ج8، ص 190

فأتت على شرف لكم فتوقفت لما رأت ذاك الجلال مهيبا
شفعت إليك بحبّ جدّك أحمد لتنبلها منك الرضا المرغوبا
دامت بك الدنيا يروق حمالها وإلى القيامة أمركم مرهوبا
وكلاكم الله العظيم كلاءة يرعى بها خلفا اكم وعقيبا

***مدينتا فاس وسبتة**

من أكثر المدن شهرة خلال القرن الرابع الهجري مدينة فاس وسبتة فقد شهدت أولهما وجود جامعة القرويين المنبر الثقافي في هذه الربوع وشهدت أخراهما التقاء ثقافة المغرب والأندلس، حيث كانت سبتة بوابة المغرب صوب الأندلس، كما كانت بوابة الأندلس وخط دفاعها السياسي والثقافي في العدوة الغربية. وقد وصفها الشاعر يوسف بن النحوي البسكري:

يافاس منك جميع الحسن مسترق والساكنون أهينهم لقد رزقوا
هذا نسيمك أم راح لراحتنا وماؤك السلسبيل الصافي أم ورق
أرض تخللها الأنهار داخلها حتى المجالس و الأسواق والطرق[1]

وفي وصف سبتة يقول لسان الدين بن الخطيب في مقامة وصف البلدان:"قلت : فمدينة سبتة؟ قال: تلك عروس المجلى، وثنية الصباح الأجلى؛ تبرجت تبرج العقيلة، ونظرت وجهها من البحر في المرآة الصقلية، واختص ميزان حسناتها بالأعمال الثقيلة؛ وإذا قامت بيض أسوارها، كان جبل بليونش شمامة أزهارها، والمنارة منارة أخوارها؛ فكيف لا ترغب النفوس في جوارها، وتهيم الخواطر بين أنجادها وأغوارها ؛ إلى الميناء الفلكية، والمراقي الملكية. والركية الزكية، غير المنزورة ولا البكية، ذات الوقود الجزل، المعد للأزل، والقصور المقصورة على الجد والهزل ؛ والوجوه الزهر السحن، ... " وكفاها السكن ببليونش في فصول الأزمان، ووجوه المساكن النبيهة بأرخص الأثمان، والمدفن المرحوم غير المزحوم، وخزانة كتب العلوم، والآثار المنبة عن أصالة الحلوم ؛ إلاّ أنها فاغدة الأفواه للجنوب"[2].

[1] ابن أبي زرع :الأنيس المطرب القرطاس ص 16.
[2] أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج 1. ص29.

إنّه لما سبق القضاء وجدت الأقدار، بارتحالي عن الوطن المحبوب والقرار بعد أن شممت عرارة النجدى ولا أشجان ولا أكدار، في عشية لم يكن من عرار، ونزحت عن بلد، به الوالد وما ولد ؛ محل قطع التمائم، وفتح الكمائم، سقي الله عهاده صوب الغمام. وكان ذلك وغصن الشاط يانع، وبرد الشباب قشيب، وشمل النفس مجتمع دون مانع، وكأس الأنس مزج بتستيم القرب ويشب ؛ وفود الرأس غير خاضع ولا خانع، إذ لم تطرق بباحته ولم تجس خلاله جيوش المشيب، حللت الخضرة الفاسية . حاطها الله . حيث المجالس غاصة، بالعامة والخاصة والمساجد آهلة معمورة، والمشاهد بالزوار معمورة؛ وحلل المعارف فضفاضة، والعوارف الجليلة مفاضة، حضرة ديباجها ربيعي، وامتزاجها بالنفوس طبيعي، ولم لا، وقد نطمت المفاخر ونسقتها، وجمعت المآثر ووسقتها، جادتها غر السحب وسقتها :

وبا تخاذ مدينة سبتة نموذجا لمدن بلاد المغرب الأقصى يتبين مدى ما وصلت إليه الثقافة في تلك الربوع، فقد اشهرت في سبتة أسر علمية بكاملها (كبني عجوز، وبن حاج...) كما اشهرت مدينة سبتة بجامعها الكبير ومكتباتها العامرة. على أنه نتيجة الظروف السياسية الصعبة التي مرت بها إمارة الأدارسة فقد بنوا مدنا حربية محصنة يلتجأون إليها عند الحاجة مثل أصيلا، وحجز النسر[1]. وقد زحرت مدينة فاس بمجالسها العلمية وبأمرائها الشعراء من بني ادريس كما شهد القرن الرابع الهجري تطور وازدهار جامعة القرويين التي بدأ دورها العلمي يؤتي أكله كثرة من تخرج منها من العلماء. أما العلوم التطبيقية كالهندسة فقد أمكن الاهتداء إلى مدى تقدمها بفضل تلك النهضة المعمارية المتمثلة في بناء وهندسة المدن والقصور والمساجد وغيرها من التحف الفنية التي تبين مهارة الصانع المغاربي من خلال القرن الرابع الهجري. [2]

بينما يعرب الشاعر مالك بن المرحل [3]، عن افتتانه بمدينة سبتة فيقول موجزا :

اخطر إلى سبتة وانظر إلى جمالها تصب إلى حسنه

كأنها عود غناء وقد ألقي في البعد على بطنه[4]

[1] بشير رمضان التليسي: الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري, ص 637. .

[2] بشير رمضان التليسي: الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري ، ص537-540.

[3] مالك بن المرحل من شعراء العصر المريني (ت 699 هـ).

[4] عبد الجواد السقاط :تجليات المدينة في الشعر المغربي,ط1،مكتبة دار الأمان الرباط,2000 ,ص 106 .

تمثل لسان الدين رحمه الله في مدينة فاس قول القائل:

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه ريش جناحه لطاوس

فكأنما الأزهار فيه مدامة وكأن ساحات الديار كؤوس[1]

وعن مدينة الدار البيضاء، نسجل للشاعر محمد بوجندار أبياتا يثني فيها على ما تعرفه هذه المدينة من حضارة راقية زاخرة، ومعاملات تجارية وافرة، إلى غير ذلك من مجالات الحياة ومتطلبات التقدم فيقول:

صدق الذي سمّاك بالبيضاء من أجل مالك من يد بيضاء

إنّ البياض لنصف حسن ذوي البها وبياض حسنك حاز كل بهاء

فبياض غرتك المضيئة في أخضر لرباك تحت القبة الزرقاء

قد جاء فيه من التناسب ماغدت ترنو إليه مقله الخمراء

إلى أن يقول :

لاغرو أنت جميلة **المدن** التي في غربا جلّت عن النظراء

ذات **الحضارة** والنضارة والتجا رة و**العمارة** من بني حواء

ذات المعاني والمغاني والغوا ني والأغاني من لذيذ [2]

قال ابن جزي : في بلدة صفاقس يقول على بن حبيب التنوخي :

سقيا لأرض صفاقس ذات المصانع والمصلى !

2-وصف القصور:

نجح الشعراء في تصوير القصور وأبدعوا في ذلك نتيجة شغفهم بها وإن كان دافعهم في بعض الأحيان مدح أصحابها كمابهرتهم الحدائق والرياض والبساتين والأنهار والبرك والأسوار والنافورات والتماثيل فخلعوا على ملحقات القصر أوصافا متباينة. ومن القصور التي اعتنى

[1] المقري: نفح الطيب. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج8 ص 264

[2] عبد الجواد السقاط :تجليات المدينةفي الشعر المغربي ص121. / الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج1، ص 67.

الشعراء بوصفها في بلاد المغرب العربي:

***قصور قلعة بني حماد**

بعدما زادعمران المدينة، أصبحت تشتمل بالإضافة إلى بيوت السكان على الكثير من المباني العظيمة والقصور التي شيدت باتقان لدرجة أنها لفتت أنظار الرحالة والجغرافيين الذين وصفوا بعضها باعجاب، ويذكر ابن خلدون أن القادة الحماديين خاصة الناصر وابنه المنصور يعود اليهما الفضل في تشييد قصور القلعة فقد كانا مولعين بالعمارة، فالمنصور :"تأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين. فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام وفي بجاية قصر اللؤلؤة وقصر أميمون". [1]

وقدوصفها صاحب "الاستبصار" بقوله: "لبني حماد بالقلعة، مبان عظيمة وقصور مشيعة متقنة البناء عالية البناء منها قصر يسمى بدار البحر[2]... وهذا القصر مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف وفيه قصور غير هذا ومبان عجيبة، وفيها آثار للأوائل عصية "

يقول ابن خلدون عند حديثه عن المنصور : "إنّه هو الذي حضّر ملك بني حماد وصير بجاية دار مملكته، وجدد قصورها وشيّد جامعها، وتأنق في اختطاط المباني، وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين فبنى في القلعة قصر المنار والملك والكوكب[3] وقصر السلام، وقصر اللؤلؤة وقصر أميمون".

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج6، ص232.

[2] **قصر دار البحر** أحيط هذا القصر بمجموعة من الحدائق، كما احتوى على العديد من القاعات والصهاريج والأحواض للتزودبالمياه، وغيرها من المرافق التي تناسب أناقة قصور الحكام، هذه القصور التي تعبر وتناسب درجة الرقي الذي وصلته قبيلة صنهاجة يقول صاحب كتاب الاستبصار في وصف قصر البحر :"هذا قصر مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسواري مايقصر عنه الوصف، وفيه قصور غير هذا، ومبان عجيبة"[2]

[3] **قصر الكوكب**قصر بناه المنصور بن الناصر بن علناس، ويوجد هذا القصر بين قصر السلام وقصر البحر[3]. بالإضافة إلى هذه القصوربنيت قصور أخرى بالقلعة مثل قصر بلارة نسبة إلى ابنه تميم بن المعز وهي التي تزوجها الناصربن علناس سنة 470هـ، وكان هذا القصرقد نسب إليها". بالإضافة إلى قصري العروسين الذين رثاهمابن حماد الصنهاجي في قصيدة. **قصر السلام**:يقع هذا القصر حسب حفريات قولفان عام 1952بجوار باب الجنان، وقد كان مزودا بالكثير من المخازن والمطامير.

وكذلك قصر الأمير، كان منزل الأمراء ودارسكانهم، آية من آيات الفن المعماري، ومثل ذلك صرح المنار الذي بناه بونياش المسيحي، وهو صرح عجيب، إذ كان يشتمل على مرايا لإرسال العلائم في النهار، وتوقد النيران بأعلاها ليلا لإرسال إشارات الحراسة من منارته إلى منائر أخرى على الجبال المقابلة، وكانت هذه الطريقة معروفة منذ عهد الرومان وأخذها عنهم المسلمون وحسّنوها على توالي العصور ونجد صداها الحضاري مسجلا في شعرمحمد بن حماد[1] وابن حمديس الصقلي[2] وهذا الأخير يقول في وصف أحد قصور المنصور

أعْمر بقصر الملك ناديك الذي أضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو أنك قد كحلت بنوره أعمى لعاد إلى المقام بصيرا
واشتق من معنى الحياة نسيمه فيكاد يحدث للعظام نشورا[3].

كان قصر النجم يقوم على التلال وهذاالقصر لم يبق أي أثر له إذا استثينا الأثار الأدبيةالتي منها قصيدة ابن حمديس الصقلي التي يقول فيها:

أعليت بين النجم والدبران قصرا بناه من السعادة بان
فضح الخورنق والسدير بحسنه وسما بقمته على الايوان
فاذا نظرت إلى مراتب ملكه وبدت إليك شواهد البرهان
أوجبت للمنصور سابقة العلى وعدلت عن كسرى أنو شروان
قصر يقصر وهو غير مقصر عن وصفه في الحسن والإحسان
وكأنه من درة شفافة تغشى العيون من شدة اللمعان

[1] شخصية أدبية جزائرية هو أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي برز في أواسط القرن 7 هـ نشأ ببرج حمزة من حوز قلعة بني حماد,قرأ بالقلعة وكانت حاضرة علم ,انتقل إلى بجاية وأخذ عن شيوخها (الاشبيلي,أبو مدين,عبد الحق الأزدي) تجول كثيرا بالجزائر وتلمسان كما انتقل 'لى عواصم المغرب ,اشتهر بالتضلع في اللغة والاجادة في الشعر والفقه والحديث والتاريخ توفي سنة 628هـ,له تأليف كثيرة الاعلام بفوائد الأحكام لعبد الحق الاشيلي وشرح مقصورة ابن دريد والنبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية وصنهاجة كان مستندا وثيقا لابن خلدون كما انتفع به كثير من المستشرقين.

[2] هو أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الأزدي,ولد في سرقوسة بجزيرة صقليةسنة 447/1055,ثم سافر إلى الأندلس سنة 471، واتصل بالمعتمد بن عباد ومدحه ثم استقر ببجاية حيث أصبح شاعر المنصوربن الناصرله ديوان شعر يشمل مواضيع مختلفة منها قصيدتين يصف فيهما قصرين ببجاية.

[3] ابن حمديس :الديوان ص545.

لايرتقـــي الراقـــي إلى شـــرفاته إلا بمعـــراج مـــن اللحظـــات
عـــرج بـــأرض الناصـــرية كـــي تـــرى شـــرف المكـــان وقـــدرة الإمكـــان
في جنـــة غنـــاء فردوســـية محفوفـــة بـــالروح والريحـــان
وتوقـــدت بـــالجمر مـــن نارنجهـــا فكأنمـــا خلقـــت مـــن النـــيران
وكـــأنهن كـــرات تـــبر أحمـــر جعلـــت صـــوالجها مـــن القضـــبان
إن فـــاخر الأتـــرج قـــال لـــه :ازدجـــر حـــتى تحـــوز طبـــائع الإيمـــان
لي نفحـــة المحبـــوب حـــين يمشـــي طيبـــا ولـــون الصـــب حـــين يـــراني
مـــني المصـــبع حـــين يبســـط كفـــه فبنـــان كـــل خريـــدة كبناني
والمـــاء منـــه ســـبائك فضـــية ذابـــت علـــى درجـــات شـــاذوران
وكأنمـــا ســـيف هنـــاك مشـــطب ألقتـــه يـــوم الحـــرب كـــف جبـــان
كـــم شـــاخص فيـــه يطـــل تعجـــب مـــن دوحـــة نبتـــت مـــن العقيـــان
عجـــب لهـــا تســـقي الريـــاض ينابعـــا نبعـــت مـــن الثمـــرات والأغصـــان
حطـــت بطـــارة علـــى فـــنن لهـــا حســـنت فـــأفرد حســـنها مـــن ثـــان
قُـــس الطيـــور الخاشـــعات بلاغـــة وفصـــاحة مـــن منطـــق وبيـــان
فـــإذا أتـــيح لهـــا الكـــلام تكلمـــت بخريـــر مـــاء دائـــم الهمـــلان
وكـــأن صـــانعها اســـتبد بصـــنعه فخـــرّ الجمـــاد بهـــا علـــى الحيـــوان
أوفـــت علـــى حـــوض لهـــا فكأنهـــا منهـــا إلى العجـــب العجـــاب رواني
فكأنهـــا ظنـــت حـــلاوة مائهـــا شـــهدا فذاقتـــه بكـــل لســـان
وزرافـــة في الجـــوف مـــن أنبوبهـــا مـــاء يريـــك الجـــري في الطـــيران
مركـــوزة كـــالرمح حيـــث تـــرى لـــه مـــن طعنـــه الحلـــق انعطـــاف ســـنان
وكأنهـــا ترمـــي الســـماء ببنـــدق مســـتنبط مـــن لؤلـــؤ وجمـــان
لـــو عـــاد ذاك المـــاء نفطـــا أحرقـــت في الجـــو منـــه قمـــيص كـــل عنـــان[1]

[1] ابن حمديس :الديوان ص494-496.

ويمضي في وصف قصر النجم فيقول :

في بركـــة قامـــت علـــى حافاتهـــا أســـد تـــذل لعـــزة الســـلطان
نزعـــت إلى ظلـــم النفـــوس نفوســـها فلـــذلك انتزعـــت مـــن الأبـــدان
وكـــأن بـــرد المـــاء منهـــا مطفـــئ نـــارا مضـــرمة مـــن العـــدوان
وكـــأن الحيـــاة مـــن أفواههـــا يطرحنـــا أنفســـهن في الغـــدران
وكأنمـــا الحيتـــان إذا لم تخشـــها أخـــذت مـــن المنصـــور عقـــد أمـــان[1]

ويختم فيقول :

كـــم مجلـــس يجـــري الســـرور مســـابقا منـــه خيـــول اللهـــو في ميـــدان
يجلـــو دمـــاه علـــى الخـــدود ملاحـــة فكأنـــه المحـــراب مـــن غمـــدان
فســـماؤه في سمكهـــا علويـــة وقبابـــه فلكيـــة البنيـــان[2]

قصر الؤلؤة

واعمـــر بقصـــر الملـــك ناديـــك الـــذي أضـــحى بمجـــدك بيتـــه مغمـــورا
قصـــر لـــو أنـــك كحلـــت بنـــوره أعمـــى لعـــاد إلى المقـــام بصـــيرا
واشـــتق مـــن معـــنى الحيـــاة نســـيمه فيكـــاد يحـــدث بالعظـــام نشـــورا
نســـي الصـــبيح مـــن الفصـــيح بـــذكره وسمـــا ففـــاق خورنقـــا وســـديرا
لـــو أن بـــالايوان قوبـــل حســـنه مـــا كـــان شـــيئا عنـــده مـــذكورا
أعيـــت مصـــانعه علـــى الفـــرس الأولى رفعـــوا البنـــاء وأحكمـــوا التـــدبيرا
ومضـــت علـــى الـــروم الـــدهور ومـــابنوا لملـــوكهم شـــبها لـــه ونظـــيرا.
أذكرتنـــا الفـــردوس حـــين أريتنـــا غرفـــا رفعـــت بناءهـــا وقصـــورا

[1] المصدر نفسه، ص496.
[2] ابن حمديس :الديوان ص497.

فالمحسنون تزيدوا أعمالهم ورجوا بذلك جنة وحريرا
والمذنبون هدوا الصراط وكفرت حسناتهم لذنوبهم تكفيرا
فلك من الأفلاك إلا أنه حقر البدور فأطلع المنصور
أبصرته فرأيت أبدع منظر ثم انثنيت بناظري محسورا
وظننت أني حالم في جنة لما رأيت الملك فيه كبيرا
وإذا الولائد فتحت أبوابه جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم فغرت بها أفواهها تكشيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها من لم يكن بدخوله مأمورا
تجري الخواطرمطلقات أعنة فيه فتكبو عن مداه قصورا
بمرخم الساحات تحسب أنه فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصب بالدر تحسب تربه مسكا تصوغ نشره وعبيرا
وضراغم سكنت عرين رياسة تركت خرير الماءفيه زئيرا
فكأنما غشى لنظار جسومها وأذاب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما أقعيت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلولونها نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه درعا فقدر سردها تقديرا
وكأنما في كل غصن فضة لانت فأرسل خيطها مجرورا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت إلى سحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد صولجت أغصانها فكأنّما قنصت لهن من الفضائل طيورا
وكأنما تأبى لواقع طيرها أن تستقل بنهرها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها ماء كسلسال اللجين نميرا

خـــرسٌ تعـــد مـــن الفصـــاح فانشـــدت جعلـــت تغـــرد بالميـــاء صـــفيرا
وتريـــك في الصـــهريج موقـــع قطرهـــا فـــوق الزبرجـــد لؤلـــؤا منثـــورا
ضـــحكت محاســـنه إليـــك كأنمـــا جعلـــت لهـــا زهـــر النجـــوم ثغـــورا
ومصـــفح الأبـــواب تـــبرا نظـــروا بـــالنقش بـــين شـــكوله تنظـــيرا
تبـــدو مساميرالنضـــار كمـــا علـــت فلـــك النهـــود مـــن الحســـان صـــدورا
خلعـــت عليـــه غلائـــلا ورســـية شمـــس تـــرد الطـــرف عنـــه حســـيرا
وإذا نظـــرت إلى غرائـــب ســـقفه أبصـــرت روضـــا في الســـماء نظـــيرا
وعجبـــت مـــن خطـــاف عســـجده الـــتي حامـــت لتبـــنى في ذراه وكـــورا
وضـــعت بـــه صـــناعة أقلامهـــا فأرتـــك كـــل طريـــدة تصـــويرا
وكأنمـــا للشـــمس فيـــه ليقـــة مشـــقوا بهـــا التزويـــق والتشـــجيرا
وكأنمـــا للـــزورد مخـــرم بـــالخط في ورق الســـماء ســـطورا
وكأنمـــا وشـــوا عليـــه مـــلاءة تركـــوا مكـــان وشـــاحها مقوصـــرا
يامالـــك الأرض الـــذي أضـــحى لـــه ملـــك الســـماء علـــى العـــداة نصـــير
كـــم مـــن قصـــور للملـــوك تقـــدمت واســـتوجبت لقصـــورك التـــأخير
فغمرتهـــا وملكـــت كـــل رئاســـة منهـــا ودمـــرت العـــدا تـــدميرا[1]

وفي معرض الحديث عن قصر اللؤلؤة قال ابن خلدون إن هذا القصر أعجب قصور الدنيا[2] وقد ذكر صاحب الإستبصار قصر الؤلؤ فقال: إنها مجموعة من القصور"لم ير الراؤون أحسن منها ولا أنزه موضعا فيها طاقات مشرقةعلى البحر عليها شبابك الحرير والأبواب المحرمة المحلية والمجالس الرحبة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها قد نقشت أحسن نقش وزينت بالذهب واللازورد. وقد كتبت فيها الكتابات الحسنة وصورت فيها الصور الحسنة فجاءت من أحسن الصور وأتمها متنزها وجمالا"[3]

[1] ابن حمديس :الديوان ص545-549.

[2] ابن خلدون :العبر,ج6، ص174 ويقدر بعض الباحثين أن قصر الؤلؤ أن المنصور بن الناصر أتم بناءقصر الؤلؤ الذي وضع خططه أبوه سنة 494 هـ، ثم جعل هذا القصر مسجداكانت تعلوه منارة عالية قد هدمت أيام الإحتلال الإسباني

[3] ينظر اسماعيل العربي:عواصم بني زيري,دار الرائد العربي ,لبنان,ط1, 1984, ص 16.عن الاسبصارص52.

قال ابن حمديس يصف دارا بناها المنصور بن الناصر بن علناس ببجاية [1], ويرجح بعضهم أن بعض القرائن تدل على هذه القصيدة تتناول قصر اللؤلؤ:

خصص ابن حمديس الصقلي قصيدتين لوصف قصر المنصور فعبر الشاعر في أول الأمر عن جمال هذا القصر وقارنه بالمباني المشهورة التي شيدها العرب والفرس والروم كما أشار إلى لمعان القصر وارتفاعه:

قصر لو أنك قد كحلت بنوره أعمى لعاد إلى المقام بصيرا
نسي الصحيح من المليح بذكره وسما فقاق خورنقا وسديرا
ولو أن بالايوان قوبل حسنه ما كان شيئا عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الأولى رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا لملوكهم شبها له ونظيرا
وكأنه من درة شفافة تغشى العيون بشدة اللمعان
لا يرتقي الراقي إلى شرفاته إلا بمعراج من اللحظات
عرّج بالناصرية كي ترى شرف المكان وقدرة الإمكان[2]

ومن عجائب هذا القصر نذكر أبوابه الخارجية والداخلية وساحاته المفرشة بالرخام وسقفه المزين بصور الحيوانات وبساتينه فقال ابن حمد يس وهو يصف الأبواب الخارجية المزينة بالأسد وقال في الأبواب الداخلية المصفحة بالتبر:

عضت على حلقاتهن ضراغم فغرت بها أفواهها تكسيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها من لم يكن بدخوله مأمورا
مصفح الأبواب تبرا نطروا بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النظار كما علت تلك النهود من الحسان صدورا[3]

[1] ابن حمديس: الديوان ص545-549
[2] ابن حمديس: الديوان، ص495/ رشيد بورويبة : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ص 246.
[3] ابن حمديس: الديوان، ص594.

أما عن الساحات المفرشة بالرخام فيقول :

بمرخم الساحات تحسب أنه فرش المها وتوشع الكافورا

ومحصب بالدر تحسب تربة مسكا تضوع نشره وعبيرا[1]

وقال في سقف القصر المزين بصور الحيوانات:

وإذا نظرت إلى غرائب سقفه أبصرت روضا في السماء نظيرا

وعجبت من خطاف عسجده التي حامت لتبنى في ذراه وكورا

ثم بين ابن حمد يس مهارة الفنانين الحماديين الذين قاموا بتنميق هذا السقف فقال :

وضعت به صناعة أقلامها فأرتك كل طريدة تصويرا

وكأنما للشمس فيه ليقة مشقوا بها التزويق والتشجيرا

وكأنما للزورد مخرم بالخط في ورق السماء سطورا

وكأنما وشوا عليه ملاءة تركوا مكان وشاحها مقصورا[2]

وللشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن زكريا القلعي الأصم في صفة فوّارة :

وحاكية بالماء لون اضطرابه قواما وحسنا حين يبدو ويوبص

قضيب لجين ألمع الصقل متنه وأخلصه في السبك من قبل مخلص

تسامى قليلا ثم عاد كأنّه جمان حواليها على الماء يرقص

تضايق أعنان السماء كأنها لها بين هاتيك النجوم تلصص

كأن نوالا من يمين "كرامة " يمدّ به إذ لا نرى الماء ينقص[3]

-قصر المنار: من أهم قصور القلعة، يشمل على عدة مباني متلاصقة بعضها في بعض

[1] ابن حمديس: الديوان، ص547.

[2] المصدر نفسه، ص547.

[3] .عماد الدين الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر,قسم المغرب,نح المرزوقي, المطوي,الجيلاني, الدار التونسية ص 162.

منها جنوبية ومنها شمالية[1]. وفي هذه المقطوعة يصف لنا الشاعرمحمد بن حماد قصر المنار الذي يعتبر آية من أيات الجمال تحف به المناظر الطبيعية الفتانة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي الجوى ما بين تلك الجداول
وهل اسمعن تلك الطيور عشية تجاوب في تلك الغصون البلايل
وهل أردن عين السلام على الصدى فابرد من حر الضلوع النواهل
وانظر طيقان المنار مطله على الواجنات الزاهرات الخمائل
كأن القباب المشرقات بأفقه نجوم تبدت في سعود المنازل
فإن ثنت الأيام عنها اعنتي وانزلنني في غير تلك المنازل
فصبر جميل غير أن صبابتي ستبقى بقاء الطالعات الأوافل[2]

و يخص الشاعر الطبيعة التي قام على ذراها المنار والذي يفضله على ايوان كسرى والخورنق والسدير:

على عين السلام سلام صب غذاه ماؤه العذب النمير
تأود أيكها وجدت صباها وشم لها كما فتق العبير
وأبرد ما يكون الجو فيها وأندى حين يحتدم الهجير
وما أدري أيجري فوق در أم ابتسمت بمنبعها الثغور
وقد قام المنار على ذراها كما قام العروس أو الأمير
بناء يزدري ايوان كسرى لديه والخورنق والسدير[3]

-رثاء قصور بلارة لمحمد بن حماد.

أين العروسان لارسم ولاطلل فانظر ترى ليس إلا السهل والجبل
وقصر "بلارة" أودى لزمان به فأين ما شاء منه السادة الأول

[1] شهد هذا القصر العديد من الحفريات التي قام بهاكل من القائد دوبالي، وقولفان ورشيد بورويبة وكشف تصميما لهذا القصر أنه بني بالحجارة المنحوتة. كما تمتع بنظام خاص للمياه لوجود الكثير من الأحواض والقنوات بجوارها

[2] محمد مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، طبعه خاصة بوزارة المجاهدين المرجع نفسه، ص 262.

[3] محمد مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني ص 263.

قصر الخلافة ابن القصر من خرب غير اللجين وفي أرحابها زحل
وليس يبهجني شيء أسر به من بعد أن نهجت بالمنهج السيل
وما ورا الكوكب العلوي معتصم وقد عرا لكوكب التغيير والندل
وقد عفا قصر حماد فليس له رسم ولا أثر باق ولا طلل
ومجلس القوم قد هب الزمان به بحادث قل فيه الحادث الجلل
وإن في القصر قصر الملك معتبرا لمن تغر به الأيام والدول
وما رسوم "المنار" الآن ماثلة لكنها نبذ يجري بها المثل
حتى المصلى محت آياتها وعفت إلاّ جدارا وما طلت به الطلل
ترجعك الطرف كانت كل آبرة فما تراه كذاك العمر والأجل[1]

تأثر الشاعر لزوال ملك بني حماد وراح يتحدث عن قصور أسلافه الدارسة ويندب معالمها ورسومها .

***قصر المنصور بالقيروان :**

بنى المنصور له قصرا آية في الروعة والأناقة ما يدل على ما وصلت إليه القيروان من رفاهية وتقدم معماري عظيم. منذ تأسست القيروان كان الولاة والعمال —من طرف الدولتين الأموية والعباسية–ينزلون "قصر الإمارة" الذي أنشأه عقبة بن نافع الفهري حذو المسجد الجامع من الناحية الجنوبية. [2]كما اختط ابراهيم بن الأغلب مدينة جديدة أطلق عليها اسم (العباسية) تخليدا لسادته الخلفاء من بني العباس، وعلى شرف ربوة قام بانشاء قصر لنفسه ولحشمه سماه (بالرصافة) اقتداء بما فعل أبو جعفر المنصور بمدينة السلام ببغداد. ثم ابتنى قصرا ثانيا سماه (الأبيض) سكنه أبناءه. "ولانعلم عن هندسة القصرين ولا عن مشتملاتهما شيئا يذكر سوى أنهما كانا يحتويان على سقائف طويلة عريضة، معقودة السقوف، وهناك كان يقف الخدم والبفتيان من الصقالبة ويجلس الزائرون، وهذه السقائف تتقدم قاعات الإستقبال

[1] محمد مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، ، ص 262.

[2] ينظر حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، القسم الأول، ط2، مكتبة المنار، ص353

والمخادع وغرف السكنى"[1] يعد الشاعر الايادي من كبار الوصافين في المغرب العربي وصاحب يد طولى في هذا الفن يقول في قصر للمنصور بالقيروان:

ولما استطال المجد واستولت العلا على النجم وامتد الرواق المروق
بنى قبه الملك في وسط جنة لها منظر يزهى به الطرف مونق
بممشوقة الساحات أما عراصها فخضر وأما طيرها فهي نطق
تحف بقصر ذي قصور كأنما ترى البحر في أرجائه يتدفق
له بركة للماء ملء فضائه تخب بقطريها العيون وتعنق
لها جدول ينصب فيها كأنه حسام جلاه القين بالأرض ملصق
لها مجلس قد قام في وسط مائها كما قام في فيض الفرات الخورنق
كأن صفاء الماء فيها وحسنه زجاج صفت أرجاؤه فهو أزرق
إذابت فيها الليل أشخاص نجمه رأيت وجوه الزيح بالنار تحرق
وأن صافحتها الشمس لاحتك أنها فرند على تاج المعز ورونق
كأن شرفات المناصر حولها عذارى عليهن الملاء المنطق
يذوب الجفاء الجعد عن وجه مائها كما ذاب آل الصحصحان المرقرق[2]

وقف شاعر الوصف الإيادي أمامه فانبهر به ووصفه وصفا دقيقا فأعجب ببنائه المستحكم، وألوانه المتناسقة، فهو شاهق الارتفاع، قوي البناء، وسط حديقة غناء فيحاء، تصدح من حوله الطيور بأعذب الألحان، وأمام القصر بركة عظيمة واسعة تصل المياه إليها في جداول طويلة تتدفق فيها تدفقا، ولشدة صفاء أمواهها صارت كالجين، يتوسط كل ذلك مجلس الخليفة في قصر عظيم شبه الخورنق، وقد انعكست السماء على المياه، فصارت وكأنها صفحة زرقاء أما في الليل فإنها تأخذ منظرا آخر غير منظر النهار، ولهذا القصر شرفات يظنهن الناظر عذارى جميلات قد تلفعن بالملاءات يطللن من القصر. وتدل هذه القصيدة على براعة فجاءت "ألفاظه قوية يغلب عليها الصخب ما يذكرنا بألفاظ ابن هانئ إضافة إلى روائع

[1] المرجع نفسه، ص354

[2] طه علي خليفة الحجازي، أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين، ص53 -54.

تشبيهاته وغريبها".

*وصف قصر الربيع

ومما نظمه **أبو علي حسن بن الفكون القسنطيني**[1] هذه القطعة الميمية من قصيدة نظمها في سادات بني عبد المؤمن ذكر فيها جمال قصر الربيع وهو قصر من القصور التي بناها الموحدون ببجاية ووصفه الشاعر لما زار بجاية ومدح واليها من بني عبد المؤمن.

عشونا إلى نار الربيع وإنما عشونا إلى نار النّدى والمحلّق
ركبنا بواديه جياد زوارق نزلنا إليها عن ضدامر سبّق
فخضنا حساه والأصيل كأنه بصفحته تبدي مروّق زنبق
ولما نزلنا ساحة القصر راعنا بكلّ جمال مبهج الطّرف مرتق
فما شئت من ظلّ وريف وجدول وروض متى تلمم به الزّيج يعبق
وشادي مغاني الحسن في تعماته يطرحه هدر الحمام المطوّق[2]
فيا حسن ذاك القصر لا زال آهلا ويا طيب ريّا نشره المتنشّق
رتعنا به في روضة الأنس بعدما هصرنا به غصن المسرة مورق
فنهر كالمجلجل قد تراءت على شطّيه جنّات النّعيم
يسرّ النّفس في نظر وشيم من المرأى الرسيم أو النّسيم
تشكّلت الكواكب فيه حتى جرت في قعره شهب الرّجوم
وأشكل منظرا علوا وسفلا من الفلك الأثير إلى التخوم
فما تحتاز أرض من سماء وحوت الماء من حوت النّجوم

[1] عاصر محمد بن حماد أصله من قسنطينة من كريم أروماتها انكب من صغره على الدرس وانقطع إلى الاطلاع على أسرار اللغة وكشف مكنونات البلاغة وكان يحب التجول رحل إلى مراكش واتصل بخليفة بني عبد المؤمن وامتدحه له تواشيح ظريفة له ديوان شعر غزيركان على قول الغبريني موجودا بين أيدي الناس ومحبوبا عندهم. لم يحفظ له مولدا ولا وفاة ولعل وفاته كانت أوائل القرن السابع الهجري. كماجاء في رحلة العبدري ص30.

[2] الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية, ص 281-283 محمد الطمار:تاريخ الأدب الجزائري، ص78.

قم فاجتل زمن الربيع المقبل تر ما يسر المجتني والمجتلي
وانشق نسيم الروض مطلولا وما أهداك من عرف وعرف فقيل
وانظر إلى زهر الرياض كأنه در على لبّات ربات الحلي
في دولة فاضت يداها بالندى وقضت بكل من لكل مؤمل

***قصر البديع بمراكش:**

اشتهر المنصور السعدي بتشيد المآثر العمرانية، ومما جاء في نفح الطيب: "اخترع المنصور من المصانع ثلاثة أشياء، فجاءت غريبة الشكل بديعة الحسن، وهي البديع والمسرة[1] والمشتهى، وفيها يقول المنصور موريا:

بستان حسنك أبدعت زهراته ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى
وقوام غصنك بالمسرة ينثني يا حسن زمان به للمشتهى[2]

وأهمها "قصر البديع" بمدينة مراكش ذي القباب الشهيرة والرياض الفسيحة والحدائق الممتدة والبرك الاصطناعية واستغرقت مدة البناء والتشييد أزيد من ست عشر سنة (986 هـ. 1002 هـ) إضافة إلى تشيد الصروح والحدائق والرياض والبرك في المحمدية، والأبراج والحصون في كثير المدن المغربية كفاس وتازا والعرائش وغيرهافان للعهد السعدي إنجازاته العمرانية ومبانيه الخاصة والعامة من قصور ودور وقبور، ومدارس ومشافي وعلى عادة أهل زماننا، كانت تقام في ذاك الزمان حفلات تدشين وافتتاح المنشآت والمباني، فتعمر الموائد والمقاصف، وتغص الساحات بالمهللين والمحتفين وتزهو المنابر بالخطباء والمنشدين والشعراء[3]. وقال المقري في "نفح الطيب" وهذا المنصور يفتخر بقصر البديع كثيرا وينوه بقدره، وفي ذلك يقول أبو فارس

[1] المسرة: ذكر صاحب البيان المغرب في أخبار المغرب: "إن أول ما أنشأه المسرة التي بظاهر جنان الصالحة عبد المؤمن بن علي كبير الموحدين، قال: "وهو بسان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها، فيه كل فاكهة تشتهى، وجلب إليه الماء من أغمات له عيونا كثيرة"

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة السعدية، ج5، تح تع: جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، 1955، ص142.

[3] ينظر: خالد ابراهيم يوسف: الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص 356-359.

الفشتالي.

هذا البديع يعز شبه بدائع أبدعتهن به فجاء غريبا
أضنى الغزالة حسنه حسدا له أبدى عليها للأصيل شحوبا
شيدتهن مصانعا وصنائعا أنجزن وعدك للعلى المرقوبا
وجريت في كل الفخار لغاية أدركتهن وما مسست لغوبا
فانعم بملكك فيه دام مؤبدا تجنى به فنن النعيم رطيبا[1]

"ولا شك أن هذا البديع من أحسن المباني وأعظم المصانع يقصر عنه شعب بوان وينسى ذكر غمدان ويبخس الزهراء والزاهرة، ويزرى بقباب الشام وأهرام القاهرة وفيه من الرخام المجزع والمرمر الأبيض المفضض والأسود وكل رخامة طلي رأسها بالذهب الذائب وموه بالنضار الصافي وفرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافي البشرة في أضعاف ذلك الزليج المتنوع التلوين حتى كأنه خمائل الزهر أو برد موشى، وأما سقوفه فتجسم فيها الذهب وطليت الجدرات به مع بريق النقش ورائق الرقم بخالص الجبس فتكاملت فيه المحاسن وأجرى في فنائه ماء غيرآسن وبالجملة فإن هذا البديع من المباني المتناهية البناء والإشراق المباهية لزوراء العراق ومن المصانع التي هي جنة الدنيا وفتنة المحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف"[2]

أولى الخليفة المنصور اهتماما خاصا بهذا القصر وبتشيده، فجلب له الصناع والمهندسين وأدوات البناء من زليج ورخام وخشب ومرمر من كل مكان من أوربا وإفريقيا، ومن بلاد الروم، فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن على ما قيل، وكان المنصور قد اتخذ معاصر للسكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما حسبما ذكره الفشتالي في مناهل الصفا (وأما جبسه وجيرة وباقي أنقاضه فإنها جمعت من كل ناحية حتى، وكان المنصور مع ذلك يحسن للأجراء غاية الإحسان، ويجزل صلة المعلمين العارفين بالبناء ويوسع عليهم في العطاء ويقوم بمئونة أولادهم كي لا تتشوف نفوسهم وتتعشب أنظارهم وهذا البديع دارمربعة الشكل وفي كل جهة منها قبة رائقة الهيأة، واحتف بها مصانع أخرى من قباب وقصور وديار، فعظم وجل هذا الفضائل حازتها

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص143.
[2] السملالي :الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ص 71.

الحضرة المراكشية بفضل الله.

وقال في مناهل الصفا كان السبب الحامل للمنصور على بناء البديع وإنفاقه فيه جلائل الأموال ونفائس الذخائر هو أنه أراد أن تكون لأهل البيت به مأثرة وشفوف على دولة البربر وغيرهم من المرابطين والموحدين ومن بعدهم من بني مرين، فان كلا من أهل تلك الدول ابتنى بناء يحي به ذكره، ولم يكن لأهل البيت في ذلك المعنى شيء تزداد به حظوتهم مع أنهم أحق الناس بالمجد الأصيل، والسؤدد الأثيل، فتصدى لبنائه بقصد تشريف أهل البيت، لأن البناء كما قيل في فوائده[1]:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبألسن البنيان

إن البناء إذا تعاظم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن[2]

ولما عزم على الشروع فيه أحضر أهل العلم ومن يتهم بالصلاح فتحينوا أوان الابتداء ووقت الشروع فيه، فكان ابتداء الشروع في تأسيسه في شوال خامس الأشهر من خلافته عام ستة وثمانين وتسعمئة، واتصل العمل فيه إلى عام اثنين وألف، ولم يتخلل ذلك فترة، وحشد له الصناع حتى من بلاد الأفرنجة، فكان يجتمع كل يوم من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم، حتى كان ببابه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهم ونفائس أعلاقهم وجلب له الرخام من بلاد الروم، فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن على ما قيل، وكان المنصور قد اتخذ معاصر للسكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما حسبما ذكره الفشتالي في مناهل الصفا، (وأما جبسه وجيرة وباقي أنقاضه فإنها جمعت من كل ناحية حتى أنه وجدت بطاقة فيها أن فلانا دفع صاعا من جيار حمله من تنبكت وظف عليه في غمار الناس، وكان المنصور مع ذلك يحسن للأجراء غاية الإحسان، ويجزل صلة المعلمين العارفين بالبناء ويوسع عليهم في العطاء ويقوم بمئون أولادهم كي لا تتشوف نفوسهم وتتعشب أنظارهم. [3]

"أكثر الشعر السعدي في الوصف الذي انصرفت إليه عناية الشعراء فخصوه بقصائد و

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص134.

[2] المرجع نفسه، ص134.

[3] السملالي :الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ص70.

مقطوعات كلها في وصف منشآت حضارية وعمرانية وفي تسجيل مهارة الصانع المغربي في ضروب البناء والنقش"و من المباني المتناهية البناء والإشراق المباهية لزوراء العراق، ومن المصانع التي هي جنة الدنيا، وفتنة المحيا، ومنتهى الوصف، وموقف السرور قصر " البديع " وفيه يقول الشاعر :

كل قصر بعد البديع يذم فيه طاب الجنى وفيه المشم
منظر رائق وماء نمير وثرى عاطر وقصر أشم
إنّ مراكشا به قد تناهت مفخرا، فهي للعلى الدهر تسمو[1]

وصف الشاعرالقصر وافتخر بمبناه وبعلو أعمدته وشموخها، وبزهو تماثيله وبحسنها وجمالها ومن ذلك قول الشاعر عبد العزيز الفشتالي:

سلبت تماثلها الحجى لما اغتد تزهو بحسن طرازها تذهيبا
ولقد تشامخ في العلو سماكها فجرى على الفلك المنير جنيبا
وسما إلى الشهب الزواهرفاغتدى الـ إكليل منها تاجها المعصوبا[2]

3-وصف الدور

وصف عبد الكريم النهشلي لدار البحر بالمنصورية خلال القرن الخامس الهجري فقال:

يارب فتيان صدق رحت بينهم والشمس كالدنف المعشوق في الأفق
مرضى أصائلها حسرى شمائلها تروح الغصن الممطور في الورق
مماطيا شمس ابريق إذا مزجت تقلدت عند مرجان من الترف
من ساحل طافح بالماء معتلج كأنما نفسه صيغت من الحدق
تضمه الريح أحيانا وتفرقه فالماء مابين محبوس ومنطلق
من أخضر ناض والطل يلحقه وأبيض تحت قبطي الضحى يقق

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص136/ نجاة المريني. الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي,مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص 142.

[2] أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفتشتالي: مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا،تح عبد الله كنون،المطبعة المهدية،1964،ص281.

تهزه الريح أحيانا فيمنحها للزجر خفق فؤاد العاشق القلق
كأن حافاته نطقن من زبد مناطقا رصمت من لؤلؤ نسق
كأن قبته من سندس نمط حسناء مجلوة اللبات والعنق
إذا تبلج فجر فوق زرقته حسبته فرسا دهماء في بلق
أولازورداجرى في متنه ذهب فلاح في شارق من مائه شرق
عشية كملت حسنا وساعدها ليل يمدد أطنابها على الأفق
تجلى بغرة وضاح الجبين له ماشئت من كرم واف ومن خلق[1]

وصف الشاعر التونسي[2] بناء:

بنى منظرا يسمى "العروسين" وقعة كأن الثريا غرست في قبابه
إذا الليل أخفاه بحلكة لونه بدا ضوؤه كالبدر تحت سحابه
ولو شاده عزم المغر ورأيه على قدره في ملكه ونصابه
لكان حصى الياقوت والتبر مفرغا على المسك من آجره وترابه
وكانت أعاليه سموا ورفعة تباشر ماء المزن قبل إسكابه[3]

وقال أيضا متشوقا إلى داره التي بناها بروضة بمراكش وقد

دار الرياض سقاك الرائح الغادي ولا أصابك كيد الخائن العادى
أهوى حماك وفي القلب الحتين له في كل حين ودمعي رائح غا
ما إن ذكرتك إلاّ هزني طرب شوقا لتلك القباب الشم في النادى

وقال وقد مررت بها يوما فقلت :

[1] الحصري: زهر الأداب، ج1، ص 191

[2] تأدب بجداوة، داخل المغرب، قدم إلى الحضرة سنة سبع وأربعمائة متعلقا بالخدمة، وكان شاعرا فحلا قويا وصاخا دربا [بالخبر والنسب] حيد الفكر والخاطر، بحسب بديهته رويته عميدي الترسل، يتحدر كلامه كالسيل، وكان حسن الخلق جميل العشرة.

[3] ابن رشيق :انموذج الزمان, ص 243.

اللقوة : أنثى العقاب

أهذه هالة للبدر أم دار ضاءت عليها من الأكوان أنوار
وألبستها يمين الصانعين حلى كأنها في سماء الحسن أقمار
انظر لها وهي في البستان واقفة وحولها فيه أشجار وأزهار
كغادة من بنات الروم قد ثملت وحولها نسوة سود وأحرار
والريح يثني لها الأغصان تحسبها مراويحا عند غيدهن أكوار
والماء يجري ولحن الطير يطربه كعاشق دمعه للبين مدرار
أكرم به منزل رقت محاسنه كأنما عنده للهم أسرار
لو خير البدر في دار يكون بها ما غيره كان ذاك البدر يختار
فوق جميع ديار الأرض دارته بساكن حلها كالليث زءار
قرم عظيم مطاع باسل بطل شهم أشم ونفاع وضرار
مغن مغيث منيل كل مكرمة معط ومرض ومطعم ونحار
لا يسأم البذل والأقوام تسمه كأنما كفه في الجود أنهار
الجود منها نشا والحلم فيها فشا والخير منها مسلسل وخرخار
رقى السماك وعز الملك يرفعه كأنه شاهن في الجو طيار
حتى غدت فوق الناس همته كأنما فلك الأفق دوار
وازداد بين جميع الأكملين سنا كأنه علم في رأسه نار
أما ترى الملك قد ضاءت جوانبه وما عتى مذ أتى في الغرب جبار
ذاك الجواد أمير الناس قاطبة محمد خير من قاموا ومن ساروا
لا زال يسطو ويعطى ثم يقطع من يسطو ويردع من عتوا ومن جاروا
إن شئت تعرف تاريخ البناء فقل أما ترى البدر يبد اليوم أو دار

البديع دار مربعة الشكل وفي كل جهة منها قبة رائقة الهيأة، واحتف بها مصانع أخرى من قباب وقصور وديار، أخذ الوصف إهتماما بين صفوف الشعراء وأخذ من دواوين إبداعهم مساحةلا يستهان بها ورود الوصف والمدح أو الفخر معا في قصيدة واحدة يصنع صورتين

جزئيتين متكاملتين عند التفاعل النقدي فيتولد عن ذلك الأغراض الشعرية ممايحدث تداخل بين الغرض والصورة يقول محمد حسن عبد الله "القصيدة الجيدة صورة والقصيدة الواحدة صورة تتشكل من صور جزئية لتكون صورة كلية". فعظم المدح االعمراني من قصيدة وصف قصر البديع للفشتالي[1].

كفاها من شرف ما فيها من عارف لله معتبر بالله منتصر
أحبهم وأحب كل معترف بفضلهم بغرام غير منحصر
تحصى النجوم ولا تحصر سادتها ناهيك من شرف فيها بمعتبر
بمسجد شاع في الأقطار رونقها تثنى عليها جميع ألسن البشر
عديمة المثل يحسب منارتها من حسن إتقانها مفروغة الصور
مقر سادتنا مأوى تعبدهم لاح عليها دموع الشوق والفكر
تبارك الله ما أحلى مديحهم وكل قول عليهم حل في العبر
أسماؤهم حلوة أذكارهم سلوة تنبيك أوجههم عن كل مستتر
ولو رأيت أمام الوقت خاتمهم لكنت تقسم بالأملاك والقمر
بأنه لا يرى مثل له أبدا ولا يرى بعده في البدو والحضر
رب وإن لم نكن أهلا لحضرته فهو أهل لكل خير مدخر
به توسلنا يا رب إليك عسى نفنى به فيه عن مصنوعة البشر
ثم الصلاة على خير الورى أبدا وءاله وعلى أصحابه الغر

وهذه أبيات أخرى لأبي عبد الله المغيلي في وصف جامع القرويين باعتباره معلمة عمرانية وحضارية إلى جانب كونه مقرا للتعبد والتعلم :

وبجامع القرويّ شرّف ذكره أنس تذكره يهيج تبلبلي
وبصحنه زمن المصيف محاسن فمع العشي الغرب فيه استقبل

[1] ينظر: أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ص135.

واجلس إزاء الخصة الحسنا به واكر عبها عنّي فدتيك واهل[1]

عبد الكريم النهشلي:

باب أتى كبراعة استهلال وكأنما القصر القصيد التالي

ولذلك سمّي بالبديع وجاء بال تجنيس والإغراق والإيغال

وأتى التمام فقلت في تاريخه بيتا بلا عقد ولا إشكال

صرح على تقوى من الله انبنى في طالع للسعد والإقبال[2]

يقول الثغري التلمساني:

وضريح تاج العارفين شعيبها زره هناك فعبذا ذاك الولي

فمزاره للدين والدنيا معا تمحو ذنوبك أو كروبك تنجلي

عبد العزيز الفشتالي:

ومسجد سكن السر حجارتها أهلا بمن عرفت بالسر في الحجر

ببقعة لقبت بعد إضافتها بمسجد من رياض الخلد منتشر

4-وصف المقصورات

أنشد ابن مجبر في وصف مقصورة قصيدته التي مطلعها أعلمتني ألقى عصا التسيار في بلدة ليست بدرا قراري وألم بذكر المقصورة فقال يصفها:

طورا تكون بما حوته محيطة فكأنها سور من الأسوار

وتكون طورا عنهمو مخوءة فكأنها سر من الأسرار

وكأنما علمت مقادير الورى فتصرفت لهم على مقدار

فاذا أحسنت بالامام يزورها في قومه قامت إلى الزوار

يبدو فتبدو ثم تخفى بعده كتكون الهالات للأقمار

[1] عبد الجواد السقاط :تجليات المدينة في الشعر المغربي ص 99. /الأنيس المطرب ص 34.

[2] نجاة المريني: الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي ,ص406.

انظر رعاك إله الخلق واعتبر لمسجد رائق قد لاح للبشر
متوج بالبها بالحسن مشتمل بالظرف مؤتزر باللطف مشتهر
سماحة مزجت بالأصل وامتزجت بالعلو والسفل والأركان والجدر
إن حله المرء حل الأنس مهجته وصار في الحين للأذكار ذا بطر
لو أخبر الله أن الخلد يبدو لنا حتى نشاهده في الأرض بالبصر
لقلت ذي جنة للخلد قد ظهرت يحظى بها عاملو الخيرات بالأجر
وانظر لمنبره المسود تحسبه ليلا وفيه نجوم العاج كالزهر
وانظر لمحرابه الأبهى وتشييده ترى بعينك ما يكفيك عن خبر
وانظر لقبته العلياء تحسبها عقيلة فوق كرسي من الحجر
أو هالة البدر بل أنوار بهجتها تفوق بهجة حسن الشمس والقمر
كأنها جعلت تاجا لمسجدها البـ ـا هي الجميل العلي الأحسن النظر
لكي يزاد بها حسنا فزيد بها كل الجمال مزيد العقد بالدرر
لأحمر الرقم في أثناء أخضره إلى السواد جمال غير مستتر[1]

وقدم بلادنا بعض أدباء (قرومة)[2]قرية بينها وبين (الجزائر) بجهة الشرق مرحلتان، وهو السيّد أحمد بن السيّد محمد بن علال، شهر بالمقري، فقال في هذا الجامع قصيدة غراء تؤنس في الليلة الغراء، وهي:

لما التقيت بوافد الحسن البهي يزجى المطايا مغربا في عسكر
خاطبته أين المسير فإنني أبصرت ما أدهى وأدهش منظري
فأجابني بلسان طلق ناطقا اسمع مقالي وعي دقائق مخبر
ألق العصا وأفك رحل ركائبي بالمسجد المنشى بأم العسكر
المحكم التشييد في شرفاته فتراه يخطف أعينا للنظر
لما رأت قمر السما خالعا على جبل ويعرف بالمكان المقمر

[1] محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 2 ص 336 -337.

[2] قرية بدائرة الأخضرية، كانت دار علم، واستوطنها أحد أفراد أسرة المقري التلمسانيّين، ومنهم مادح الباي هذا.

فكأنما اللبن المشيد بناءه حجر من البهت الجذيب الصور
لم يستطع شخص زوال نواظر من تلك لكن من بديع المبصر
قامت زوايا خطوطه في وضعها فحسنه شكل المربع مخبر
فتراه أصفر ناقعا في أحمر قان في أبيض ناصعا في أخضر
روضا تخلخل فضة من مائه متقنعا بقناع نور أزهر
نثر الغمام على مجامر نوره من طلّ وابله فتيت العنبر
ضرب النسيم أزهارا من فتحه فتراه بين مدرهم ومدنر
تحيي النفوس تنزها في شكله من حسن بهجته وذاك المنبر
فكأنه سوداء زنجية غدت وعليها حلى من نجوم زهر
وسط المساحة قبة مرفوعة من فوق أبهى قوائم من مرمر
خود تجلى على الغلائل سوقها مخصورة من غيد آل الأصفر
عجبا له من مسجد في الأرض قد حاكى السماء تطاولا في المفخر
لو لم يكن فلكا لما كانت به زنة الكواكب والثريا به المر
وترى المدرس قد علا كرسيه يلقي على العلماء حب الجوهر
تحويه مدرسة غدت آثارها تحييه بالعلم الشريف الأشعري
تمحي رسوم الجهل من ألواحه تحمي شمائله من الزور السري
مبنى الأمير محمد في الغرب قد لاحت رسومه كالصباح المسفر
هبت رياح النصر فوق جنوده ويهب للأعدا بريح صرصر
في جود هارون في عدالة ناصر في رأي كسرى في ضخامة قيصر
لم يرأ في نقع الوقائع طرفه بالطرف إلا بالسليل المسعر
سيف كلون الجمر بل كالبدر بل كالشمس بل كالبارق المتحدر
يشتد حرا للنجيع ضماؤه والشكل ينبينا بحسن الجوهر
ألقى عليه الرعب من جلبابه ما ينبئ الأعدا بموت أحمر

من نار أخرجه المجود صنعه كالماء يعشق أكل لحم المنحر
لم يجمع الضدين إلا سيفه عجبا لنشأة عنصر من عنصر
إن كان وصل الملك قوما يدعى فمحمد بوصله هو الحري
فخر الزمان بما يرى من فضله بين الأنام على زمان المنذر
وجذيمة مع عمرو والضحاك من أولاد جفنة من أساد حمير
إن كان فيهم بالزمان تقدم كم تنسب الآثار للمتأخر
خذها أكهف اللائذين فإنها عذراء لم يطمثها غير تفكر
وابقي سعيدا خاتم العلياء قد كملت خصالك فافتخر ثم افخر

وفيه قال مؤرّخا بسنة خمس وتسعين :

تأمل يا ذكي الطبع وانظر لأمر محمد الباي المؤيد
بأمر الله سبحانه وتعالى بهذا المسجد المنشى المشيد
رجاء ثوابه يوم التنادي فصوب فيه طرفك ثم صعد
بعون الله تاريخه لمبنى على تقواه مسجده محمد

من شعرعبد الله بن محمد الجداوي في قبة الشاذوران

قد كللت درا أفاريز لها فتبرحت فيها بكل طريق
وكأنما القصر المعظم عاشق قد حار وهي لديه كالمعشوق
يرنو إليها باهتا شرفاته نظر الحمام للقوة في نيق
وكأنما النهر الذي قدامها جريا سيل على رقاب النوق

يقول ابن هانئ في قصيدة بعنوان تأتي عطاياه شتى يمدح أبا الفرج الشيباني

وقبة الصندل الحمراء قد فتحت للجود أبوابها والرفد يستبق
والماء والروض ملتف الحدائق والـ: سامي المشيّد والمكموته السحق
والشد قمية دعجا في مباركها كأنها في العزيز المكلئ الغسق[1]

[1] ابن هانئ :الديوان، ص 236.

الفصل الثالث:

الصورة الوجدانية للعمارة في الأغراض الشعرية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-الشوق والحنين للعمارة المدينة

1-1-مدينة القيروان

1-2-مدينة سلا

1-3-مدينة مراكش

1-4-مدينة بليونش

2-رثاء المدن والأمصار

2-1-رثاء مدينة تيهرت

2-2-رثاء مدينة القيروان

3-المفاضلة بين عمارة المغرب والمشرق

4-المفاضلة بين مدن المغرب والأندلس

1-الشوق والحنين للعمارة المدينة

المدينة فضاء رحب شغل شعراء المغرب العربي القدامى فتحدثوا عن هذه المدينة أو تلك إنما يقصدون المدينة باعتبارها مقراً لمجموعة بشرية ما تربط بين عناصرها علاقات شتى منها العائلي والعلمي الديني والاجتماعي والاقتصادي كما تربط هؤلاء بهذا المقر السكني علاقة الانتماء أو الإعجاب الشوق أو الكره أحياناً أو غير ذلك من الأحاسيس والمشاعر المختلفة التي تنتاب الإنسان إيجابا و سلبا قد تكون العلاقة مع المكان مؤهلا للكشف عن لاوعي شخصية الشاعر وحياته النفسية والإجتماعية [1].

مزج الشاعر بين حب المدينة وحب المرأة فالمدينة امرأة أيضا وهي في اللغة " مؤنثة "وقد تكون هذه المرأة أما أو أختا أو زوجة وقد تعامل الشاعر مع المدينة سواء أكانت مسقط رأسة أم لم تكن سواء أكانت كورة استوطنها مؤقتاً للتعليم أو العمل أو زارها أو سمع عنها ولكن مسقط الرأس يبقي أجمل مكان عند معظم الناس [2]. وقد صدق الشاعر حين قال:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوي ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتي وحنينه أبدا لأول منزل

وهذا الشاعر محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني يذكر بلد الجداول تلمسان

بلد الجداول ما أمر نواها كلف الفؤاد بحبها ونواها
ياعاذلي كن عاذري في حبها يكفيك منها ماؤها وهواها[3]

ويقول الفقيه الأديب بن أبي القاسم الملولي الدرعي مبديا شديد تعلقه بمدينة فاس

أعاذ لتي في حب فاس وأهلها ذريني فليس العذل يشفي من الوجد
بلاد بها قد هام قلبي وإن نأت بجسمي عن أكتامها أنيق البعد[4]

[1] ينظرسعد بوفلاقة:دراسات في أدب المغرب العربي، منشورات بونة، الجزائر، 2007، ص 135.
[2] ينظرسعد بوفلاقة:دراسات في أدب المغرب العربي، منشورات بونة، الجزائر، 2007، ص 136.
[3] المرجع نفسه، ص278.
[4] عبد الجواد السقاط:تجليات المدينة في الشعر المغربي، ص 100/مقتطف من درة الحجال في أسماء غرة الرجال ج 1 ص249.

وشاعر أخر يقول في بلد الجزائر:

بلد الجزائر ما أمر نواها كلف الفؤاد بحبها وهواها

يا عاذلي في حبها كن عاذرى يكفيك منها ماؤها وهواها [1]

اتخذ شعر الحنين إلى المدن صيغة حضارية جديدة للمقدمات الطللية في الشعر الجاهلي فالإسلام دين مدني عمق علاقة العربي بالمكان التاريخي"[2] وما قصّة علي بن الجهم الذي جاء واصفاالكلب والتيس، ثمّ تطور مديحه إلى عيون المها بين الرصافة والجسر، إلا واحدة من الإشارات الدالة على مدى تأثير المكان في لغة و ذوق الشاعر.

دخل المكان بدلالاته الإنتمائية والنفسية بكثافة عالية في الغرض الشعري فهو" وسيلة للإفصاح عن مشاعرالحزن والحنين والغربة والخوف والقلق"هذا النوع من الشعر جاء بصيغة حضارية يعبر عن تجربة الشاعر المعاشة ويؤرخ لأحداث طبعت الفترة الزمنية المرتبطة بالمكان فينقل لنا الشاعر تجربته الشعورية ويمنح المكان جزءا من إحساسه بكل مايحتويه من تفاصيل مادية وإجتماعية.

يبدو من خلال النصوص التي أبدعها شعراء المغرب العربي القدامي في هذا المجال أن المدينة كانت كيانا داخل الشاعر ولا سيما مسقط رأسه فهو يمدحها ويمعن في تصويرها ليبرز محاسنها وفضائلها ويتشوق إليها ويحن إلى رؤياها إن كان يعيش خارجها.

وقد تغني ابن خميس التلمساني بتلمسان وهو في دار غربته بالأندلس فتذكر تلك الربوع الجميلة التي قضي فيها طفولته فاشتاق إليها وتحسر على فراقها فقال:

سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء فعند صباها من تلمسان أنباء

وفي خفقان البرق منها إشارة إليك بما تنمي إليك وإنماء

وإني لأصبو للصبا كلما سرت وللنجم مهما كان للنجم إصباء

وأهدي إليها كل يوم تحية" وفي رد إهداء التحية إهداء

[1] المقري : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض, ج 1 ص 10.

[2] ابراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي,ط2, دار هومة,2001 ,ص34.

لعل خيالا من لدنها يمر بي ففي مره بي من جوي الشوق إبراء
وإني لمشتاق إليها ومنبئ ببعض اشتياقي لو تمكن إنباء[1]

"ففي هذه الأبيات تمثل تلمسان المرأة الجميلة الفاتنة المحبوبة التي تمكن حبها من الشاعر فحن إليها وتشوق إلى رؤياها ولو لا ذكر اسم المدينة في مطلع القصيدة لاعتقدنا أن الشاعر يناجي محبوبة لا مدينة"

لما يفتن الشاعر بموطنه الخلاب نجده يذكر مآثر مدينته يبث رسائل النجوى والشوق فالمتشوق إلى مسقط رأسه نستشعر حميمية إنتماءه الشخصي الوجداني لإسمه ولأرضه ولمائه وسمائه فهذا الشاعر محمد بن حماد الصنهاجي يتشوق لأثار الجدود.

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي الجوى بين تلك الجداول
وهل أسمعن تلك الطيور عشية تجاوب في تلك الغصون البلابل
وهل أردن عين السلام على الصدى فأبرد من حر الضلوع النواهل
وانظر طقان المنار مطلة على الوجنات الزاهرات الخمائل
كأن القباب المشرقات بأفقه نجوم تبدت في سعود المنازل
فان ثنت الأيام عنها أعنتني وأنزلتني في غير تلك المنازل
فصبر جميل غير أن صبابتي ستبقى بقاء الطالعات الأوافل[2]

***مدينة القيروان:** وبعد احتلال القيروان ارتحل ابن زياد الى المشرق واستقربه المقام حتى استتب الأمن وهدأت الأحوال بافريقية، ثم عاد اليها، ولما كان بالمشرق أنشأ مقطوعة شعرية في الحنين الى وطنه والتألم على فراق القيروان مدينته .

ذكرت القيروان فهاج شوقي وأني القيروان من العراق ؟
مسيرة أشهر للعيس نصا ومن يرجى لنا وله التلاقي.
بأن الله قد خلى سبيلي وجد بنا المسيم الى مزاق

[1] عبد الوهاب بن منصور :المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، ط، 1365مطبعة ابن خلدون تلمسان ص62-63
[2] محمد الطمار:تاريخ الأدب الجزائري,2007,ص76.

تنم هذه المقطوعة بظاهرة اقليمية، وهي الحنين الى الوطن ، تمتاز برقة العواطف وسهولة الأسلوب وترابط الأبيات وانسجامها، "وتعد أيضا باكورة جيدة لأدب افريقي أصيل سيكثر نتاجه في العصر الأغلبي". [1] وهذا ابن شرف القيرواني [2] يحن إلى القيروان، ويصف ما أصابها وحل بأهلها من هوان ومذلة فيقول:

يا قيروان وددت أني طائر فأراك رؤية باحث متأمّل

آه وأيّة آهة تشفي جوى قلب بنيران الصبّابة مصطلي

قال الشاعر علي بن أبي الرجال وهو بتيهرت يتشوق إلى القيروان حيث ترك أهله وعشيرته:

ولي كبد مكلومة من فراقكم أطاعنها صبرا على ما أحبت

تمنتكم شوقا إليكم وصبوة عسى الله أن يدني لهاما تمنت

وعين جفاها النوم واعتداها البكا إذا عن ذكر القيروان استهلت[3]

وأنشد المأمون بن ذي النون يمدحه ويصف القيروان وما أصابها ويحن إليها فقال :

تذكرتها واليم بيني وبينها موصولة فيح مهج

ومن دونها حرب عوان وفارض ولود لها من نفسها أيا بعل

يقر امرؤ القيس بن حجر لفضلها ولود لها من نفسها أيا بعل

فلو وصلت عمرى الليالي لوقيه لقالت له الأشعار ما قالت النمل

جاء في شعر محمد الوجدي الغماد[4] الذي أبدى اعجابه بكافة التراب الوطني، عبر كثير من مدنه وحواضره وهو يقول:

يا من يسائل عن داتي وعن عرضي في حالة الحب قاصيها ودانيها

[1] رابح بونار:تاريخ الجزائر وثقافته، ص 45.

[2] ابن شرف:الديوان ,ص 87.

[3] ابن رشيق العمدة، ج1، ص 112

[4] من شعراء العصر السعدي ت 1033هـ

جسمي بفاس رهين في معاهدها وليس ينفك عن بلوى يعانيها
ولي بمكناسة روح مودعة من دون جسم يكاد الحب يفنيها
ولي بثغر سلا لب فلو يئست منه النفوس لكان اليأس يضنيها
ولي بمراكش شوق أكابده لو يسعد الدهر في رؤيا مغانيها
ولي ارتياح إلى القصر الكبير فقد نالت به النفس بعضا عن أمانيها

***مدينة سلا** : يقول فيها جعفر الناصري:

هذي سلا مأوى السرور والمجد على مر الدهور
أرض بها الرومان قد شادوا المصانع والقصور
وبها الحضارة قد زهت بالعلم في ماضي العصور
أحسن بها من بلدة فلك السعود بها يطير[1]

***مدينة مراكش** : يتشوق الشاعر " محمد بن إدريس العمراوي "[2] إلى مدينة مراكش، تلكم المدينة التي يعز فيها الغريب على حد قوله :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بمراكش حيث الغريب عزيز
وهل أردن من واد صبرة منهلا وهل يبدون لي رمرم وجليز[3]

وفي هذين البيتين يقول :

يا أهل مراكش لله دركم من جيزة حبهم باد ومختزن
ملكتم القلب بالألطاف وانجزمت بجمع أنسكم الأكدار والحزن[4]

لم يقتصر شعراء المغرب على التنويه بمدينة مراكش وإنما نوه بها شعراء من الشمال الإفريقي والأندلس. نقتطف أبياتا من يائية الحسن بن علي بن الفكون القسنطيني في الرحلة

[1] عبد الجواد السقاط ,تجليات المدينة في الشعر المغربي ,ص 119 . من شعراء العصر العلوي. عاش في القرن 14 هـ. نظم السلوك في الأشياء والخلفاء والملوك.
[2] عبد العزيز الملزوزي من شعراء العصر المريني ت 697 هـ
[3] عبد الجواد السقاط ,تجليات المدينة في الشعر المغربي ,ص52.
[4] السملالي :الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 1، ص 27.

من قسنطينة إلى مراكش حيث ينوه بالمدينة وأهلها فيقول :

وفي مراكش يا ويح قلبي أتى الوادى فطمّ على القريّ
بدور بل شموس بل صباح بهي في بهيّ في بهيّ
أتحن مصارع العشاق لما سعين فكم ميت وحي [1]

ابن إدريس يتشوق إلى داره بمدينة قابس :

لهفي على طيب ليال خلت بجانب البطحاء من قابس
كأن قلبي عند تذكارها جذوة نار يد القابس

وفي التشوق إلى العباسية يقول الأمير مجبر بن سفيان التميمي، صنو الأغالبة، وقد أخذه الروم أسيرا وحمل إلى القسنطيطينية فمات بها يقول تحننا إلى مسقط رأسه (القصر القديم):

ألا ليت شعري ما الذي فعل الدهر باخواننا ياقيروان ويا مصر
ونحن فانا طحطحتنا رحى النوى فلم يجتمع شمل لدينا ولا وفر
رأينا وجوه الدهر وهي عوابس بأعين خطب في ملاحظها شزر [2]

يقول الأديب أبو الحكم مالك بن المرحل من قصيدة طويلة بديعة جدا مطلعها:

سلام على سبتة المغرب أخية مكة أو يثرب
كأنها عود غناء وقد ألقي في البحر على بطنه [3]

والحنين إلى الوطن مجال لكل حر

سلام على تلك المعاهد انها مراتع آلاّ في وعهد صحابي
ويا سرحة الحمى أنعمت فلطالما سكبت على مثوك ماء شبابي

يقول لسان الدين بن الخطيب :

حيا تلمسان الحيا فربوعها صدف يجود بدره المكنون

[1] عبد الجواد السقاط:تجليات المدينة في الشعر المغربي، ص 53.
[2] ينظرحسن حسني عبد الوهاب :ورقات الحضارة العربية بافريقية، القسم الأول، ط2، مكتبة المنارص:358.
[3] المقري :أزهار الرياض,ج1,ص28.

ما شئت من فضل عميم السقى أروى ومنّ ليس بالمنون
أو شئت من دين إذا قدح الهدى أورى ودنيا لم تكن بالدون
ورد النسيم لها يشر حديقة قد أزهرت أفنانها بفنون[1]

*مدينة بليونش[2] وقد ذكرها أبو العباس الينشتى الذي كان صاحب سبتة في قوله، وهو ببغداد، يتشوق إلى سبتة فقال :

تذكرت من بغداد أقصى المغارب فجال تجيّ الفكر بين الترائب
فصبّرتها نفسا تكاد من الأسى تسّرب ما بين الدموع السوارب
وقلت لئن كابدت ترحة راحل فسوف يريك الله فرحة آيب
فلا تيأسي من بعد قصة يوسف ولو كنت قد جاوزت سذّ مآرب
ويا جفن كم تجفو المنام حفيظة وكم أنت معقود برعي الكواكب
لعهدك والأيام ذات عجائب فكم منزل بدلته بعد منزل
وكم صاحب عوضت عنه بصاحب ولكن سأرعى من نحون مودني
ورعي الهوى في البعد أوجب واجب وأذكر أوطانا نعمت بظلها
معاهد أحباب ومغنى حبايب أبليونش لا جانبت روضك الصبا
وجاء على مغناك صرب السحائب فما شعب بوّان ولا الغوطة التي
زهت برياض بينها ومذائب بأحسن من مرآك والبحر معرض
وقد جال فيه الطرف من كل جانب لقد طلت في شرق البلاد وفدها
فجانب طرفي غير تلك الجوانب وما عهد أويات لديّ مذمم
ولا ذكر ميمات علي بذاهب فكم لي بها من لذة مع معشر
يحيون بالريحان يوم السباسب كرام نمتهم للمعالي أكارم
حسان الرجوه والحلي والضرائب سلام عليهم ما حييت فاتى

[1] المقري :أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ,ج1,ص11.

[2] بليونش : قرية كبيرة عند سبتة آهلة كبيرة وكان يوسف بن عبد المومن ملك الغرب يجلب الماء من هذه القرية إلى سبته. وقرية بليونش على جبل عظيم فيه القردة، وتحته عبر موسى بن نصير إلى ساحل طريف فسمى به

أزيد لهم حبا بطول التجارب[1]

ومن نظم بليونش من قصيدة :

انظر إلى نضرة زهر الربا كأنه وشى على كاعب
ومتع الطرف ببليونش ومائها المنبعث الساكب
فشاركت والحسن في وضعها تشارك العين مع الحاجب
وقد أرتنا اليوم من حسنها مالم يكن في زمن الحاجب[2]

وله فيها أيضا:

انظر إلى بهجتة بليونش وحسن ذاك المنظر اللامع
تحكى الثريا عندما أسرجت بليلة الختمة في الجامع[3]

ومن بديع نظم ابن الخطيب فيها :

بليونش أسنى الأماكن رفعة وأجل أرض الله طرا شانا
هي جنة الدنيا التي من حلها نال الرضا والروح والرياحانا
قالو القرود بها فقلت فضيلة حيوانها قد قاربا الانسانا

ويقول القاضي عياض:

بليونش جنه ولكن طريقها يقطع النياطا
كجنة الخلد لا يراها إلاّ الذي جاوز الصراطا

ونقلت من حط ابن حيان بعد كلام عن سبتة ما نصة " ومنتزهاتها أعظمها بليونش، تحتوي على مياه عيون، وأودية، ومنتزهات، وأبنية عظيمة ؛وفيها جميع الأشجار الثمار".

وفيها يقول أبو الحجاج المنصفى :

بليونش شكلها بديع أفرغ في قالب الجمال
فيها الذي مارأته عين يوما ولم يختطر ببالي

[1] الحميري :الروض المعطار ص 103.

[2]. الحاجب : أحد ملوك سبتة ؛ وله عمل ابن مرانة قصيدة الكوا من والحوادث

[3]المقري :أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ,ج 1 ,ص 32-34.

طريقها كالصدود لكن تعقبه لذة الوصال

2-رثاء المدن والأمصار :

مع توالي المحن والكروب على العالم العربي، لم يعد الشاعر ليكتفي ببكاء ولد اختطفه الحمام أو زوجة غيّبها المنون، أو نسيب افتقده، أو عزيز رحل دون وداع بل تفاقم الخطب واشتد وقع المصاب، وتعمق الجرح. فقد هجر من أرض نما مع حبات ترابها، وبلاد أسهم في خضرة جناتها، ومنازل ألف حجارتها وألفته، فغدت حياته سلسلة أحزان متواصلة، ودفق دمع حرّاق على مجد يغار عليه، متهاوى أمام ناظريه فلجأ إلى الشعر يذوّب فيه أنفاسه ويجتر ما فيه متحرقا على الدّول الزائلة، والمدن الدائرة، والقصور الدّارسة التي استحالت إلى أطلال ورسوم متقلبا على نار تلك الحواضر والأمصار التي حلّ بها الموت والدمار.

وبكاء الديار والقصور والحواضر والبلدان ليس من جديد شعراء العصر، فمنذ القدم بكى شعراء العرب منازل هجرت، ومواطن اغتصبت ومن قبل وقف آدم بن عبد العزيز (ت 160 هـ) على بقايا إيوان كسرى، وأنشد أبياتا عبّرت عما تزاحم في نفسه من معان خطيرة وحسرات مكتومة على ملك ضائع ومجد سالف وحضارة دارسة.

وبعد ما يزيد على قرن يقول البحتري (ت 284 هـ) سينيته المعروفة في إيوان كسرى ذاته، ووقف يتأمل طلوله، وتقلب الزمان عليه وعلى الأكاسرة الذين شادوه وكذلك هجر النوم مقلة ابن الرومي (ت 284 هـ) وغاص في بحر التأملات و التساؤلات في (البصرة) وما حلّ بها يوم دخلها الزنج أيام العباسيين وأعملوا فيها الحرق والنهب[1].

2-1-رثاء مدينة تيهرت:

[1] ينظر: الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان ص 391-392.

لقد بلغت تيهرت[1] شأوا عظيما من المدنية والعمران مع توفر أسباب الرفاهية والحضارة حتى أنها كانت تشبه وتقارن بقرطبة وبغداد ودمشق وغيرها من عواصم الشرق اللامعة فكانت تدعى بعراق المغرب والعراق الصغير وكان بها من القصور العالية والمنازل الرفيعة والحصون الحصينة، والعمارات والمساجد والمنتزهات مايشبه منشآت هذه البلاد المذكورة وسكن بها من أهل الكوفة والبصرة والقيروان والأندلس وبلاد العجم وغيرهم من أرباب الصناعات والحرف والفنون الجميلة عدد وافر و"ليست هناك دولة من الدول الإسلامية بهذا القطر كانت تداني حضارة هذه الدولة فيما بلغته من الرقي والإزدهار المادي والأدبي سوى حضارة الدولة الحمادية التي تلألأت أنوارها بالقلعة وبجاية". [2]

ازدهرت هذه المدينة فأنشئت بها حصون وعمارات وقصور للأمراء الرستميين ومنتزهات في أملاكهم وخارجها وقد أفاض ابن الصغير في وصف عمران تيهرت فقال:"كانت العجم قد ابتنت القصور، ونفوسة قد ابتنت العدوة، والجند القادمون من افريقية قد ابتنوا المدينة العامرة اليوم". [3] يقصد بها تيهرت.

وصفها المقدسي" تاهرت اسم القصبة أيضا هي بلح المغرب قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين وجل بها الإقليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضلونها على دمشق وأخطأووا وما أظنهم أصابوا"[4]

لقد كان لتأسيس مدينة تيهرت الرستمية باعثا للقبائل البربرية والعربية وغيرها من السكان على

[1] تعتبر مدينة تيهرت من المدن الإسلامية الأولى المحدثة في بلاد المغرب الأوسط أسسها عبد الرحمان بن رستم عام 144هـ واتخذها عاصمة لدولته الرستمية الدولة الرستمية (160 -296هـ/776-909م، وهو الذي لم يشهد ظهورمدينة جديدة من الفتح الإسلامي حتى بناء مدينة تيهرت. اختطت مدينة تيهرت في الشق الغربي للمغرب الأوسط على نمط الأمصار الإسلامية ولعل البصرة كانت هي المثال من حيث تخطيط المدينة وتعميرها من طرف القبائل التي سكنتها في أحياء خاصة بكل مدينة. [1] وماتجدر الإشارة إليه أن مدينة تيهرت مرت بمراحل متدرجة من التطور وكان ذلك بالتوازي مع تطور الدولة.

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي :تاريخ الجزائر العام ص 235.

[3] رابح بونار:المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص 33.

[4] المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت 2003, ص 185.

تخطيط المدن أو تجديد ما اندثر منها من المدن الرومانية [1].

ومن مظاهر المدنية والحضارة بمدينة تيهرت مالاحظه الوفد القادم من البصرة والذي كان محملا بالمعونة الثانية لأهل تيهرت "ودخلوا المدينة فرأوا هيأتها قد تبدلت ولاح عليها رونق المدنية والملك وعلت وجوه أهلها سيماء الحضارة والرفاهية، وبدت في محياهم أثار النعمة والغنى وازينت المدينة بقصور مشيدة ودور منظمة وأبنية مبهجة وقباب مرتفعة وأسواق مزحمة ومساجد متعة بمنارات عالية وحمامات متقنة تحيط بها بساتين متنوعة، ومطاحن منتصبة على تلك الأنهار الجارية، واتخذ أهلهاالفرش والستائر المزخرفة والخيل المسومة ورأوا ما لم يخطر لهم ببال ولاسمعوه في مجيئهم الأول بحال من الأحوال ".

ونتيجة هذا الرخاء الذي عم البلاد أخذ الناس يتنافسون في البناء خاصة في عهد الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب أين اكتملت مرافق المدنية المختلفة وتزدهر التجارة والتعليم وغيرها فأما البيوت فكانت البسيطة وبجانبها وجدت بيوت تتكون من عدة طوابق عن رواية ابن الصغير المالكي. "كان من أثر الازدهار الإقتصادي الذي شهدته دولة الرستميين أثر كبير في اقبال سكان هذه الدولة على تشييد القصور العظيمة والمباني الفخمة، خاصة في عصر الإمام أفلح الذي بلغت فيه الدولة ذروة تقدمها في مضمار الحضارة، فقد:"شمخ ملكه، وابتنى القصور، واتخذ أبوابا من الحديد، .... "وفي وصف عمران تيهرت قال:" وكانت العجم قد ابتنت القصور، ونفوسة قد ابتنت العدوة والجند القادمون من افريقية قد ابتنوا المدينة العامرة اليوم". [2] دامت تيهرت في ازدهارها الحضاري تتمتع بالاستقلال السياسي، وتتقلب طبقاتها في حرية ورخاء إلى أن هاجمها الشيعة وقضوا على دولتها الرستمية سنة 296 هـ بعد أن تجمعت اليها أسباب الزوال والإنقراض من كل جانب[3] وتتوالى النكبات على مدينة تيهرت في القرن

[1] وأشهر هذه المدن التي أسست هذا العصر مدينة تنس 262هـ ومدينة وهران 290هـ وهناك مدن أخرى أنشئت في هذا العهد كغزة وسوق إبراهيم وأوزكي والغدير وزلاع وقصر الفلوس وغيرها.

[2] السيد عبد العزيز سالم:تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص493

[3] أبو عبد الله الحجاني ونهبهها وقتل من ظفر من بني رستم واستباح أموالهم وقصد المكتبة الكبرى المعصومة وأخذ مافيها من الكتب الرياضية والصناعية والفنية وأحرق ماعدا ذلك كله وبعد أن قتل أبو عبد الله الشيعي يقضان بن أبي اليقضان وجماعة من أهل بيته وبعث رؤوسهم إلى أخيه العباس برقادة، انتهت الدولة الرستمية وأصبحت حاضرتهم تابعة للدولة الفاطمية. حملة عام 299هـ

الرابع وتتعرض للحرق في بداية وأواخر القرن[1].

فأخذت منزلة تيهرت إذ ذاك في التراجع بعد أن أخلاها السكان وأقفرت عنها الحياة ثم لم تلبث أن عفت وزالت معالمها، وصارت أرضا لاتحرث وحقولا لاترعى، وكأن هذا المصير التعيس ساء أبناءها فبكوها بأبيات شعرية صادقة يقول أحد شعرائها:

خليليّ عوجا بالرسوم وسلّما على طلل أقوى وأصبح أغبرا
ألما على رسم بتيهرت دائر عفته الغوادي الرائحات فأصفرا
كأن لم تكن تيهرت دارا لمعشر فدمّرها المقدرور فيمن تدمّرا[2]

وقال آخر من مقطوعة تشتمل أبيات غزلية[3] متكلفة، وأبيات يصف فيها حضارة تيهرت الدائرة، وهي رغم ضعف أسلوبها وانحطاط رتبتها البلاغية، ذات سمة أدبية تمثل جانبا من أدب ذلك العصر يقول فيها:

سقى الله تيهرت الهوى وسويقة بساكنها غيث يطيب به المحل
كأن لم تكن والدار جامعة لنا ولم يجتمع وصل لنا لا ولا أهل
فلما تمادى العيش وانشقت العصا تداعت أهاصيب الهوى وهي تنهل
سلام على من لم تطق يوبيننا سلاما ولكن فارقت وبها تنكل

دامت ثلاثة أيام "قتلوا الرجال وسبواالنساء والذرية، وانتهبواالأموال وحرقوا المدينة بالنار وبلغ عدد من القتلى بها ثمانية ألاف رجل، ثم ولي عبيد الله تيهرت مصالة بن حبوس منازل بن بهلول المكناسي ". ولما طرقها بنو غانية في أوائل القرن السابع الهجري (580 . 630 هـ) وهاجموها مرات

[1] وفي عام 347هـ نهبها وأحرقها أبو الحسن جوهر الذي كان في حملة مع الأمير زيري بن مناد الصنهاجي للقضاء على ثورات المغرب الأقصى على السلطة الفاطمية.

[2] رابح بونار:تاريخ الجزائر وثقافته ص 34.

[3]

فراغ الهوى شغل، ومحيا الهوى قتل ويوم الهوى حول، وبعض الهوى كل
وجود الهوى بخل، ورسل الهوى عدا وقرب الهوى بعد، وشيق الهوى مطل

وماهي أماق تفيض دموعها ولكنها الأرواح تجدي وتنسل[1]

2-2-رثاء مدينة القيروان

القيروان حاضرة افريقية الكبرى وأم مدن شمال افريقية قصدها الكثير من الفقهاء والوعاظ والشعراء من الشرق فانتفعت بنشاطهم العلمي ونتاجهم الثقافي ومإن حل القرن الثالث بلغت القيروان أوج تطورهاالفكري والعلمي[2] وأصبحت أحد المنارات العلمية في العالم الإسلامي وتعتبر أولى المراكز العلمية بالمغرب تليها قرطبة في الأندلس ثم فاس في المغرب الأقصى ومثلت قبلة أولى لطالبي العلم في كامل المغرب. [3]

يعتبر تأسيس القيروان نقطة إنطلاق المدنية والمظاهر الحضارية بدءبالمسجد الجامع ودارالإمارة والمقبرة التي بنيت حولها كذلك بعض الدور التي اتخذها الفاتحون الأوائل وعائلاتهم إلى جانب الآبار والمنشآت المائية والحضارية الأخرى كان للقيروان دور في التعمير مماجعلها تحمل رسالة حضارية أدخلت المنطقة في دائرة الفعل التاريخي.

أورد حسن حسني عبد الوهاب في كتابه المنتخبات الأدبية : «إنّ افريقية كانت رافله في حلل الهناء والسعادة على العهد الصنهاجي وكانت تزدان بازدهار الآداب والعلوم، وما أن حلّ الهلاليون بها حتى زعزعوا أركانها وخربوا عمرانها، وكانت نتيجة ذلك كله تقلص نفوذ الدولة الصنهاجية واستقلال كل جهة منها تحت أحد الأعراب، وهجرة كثير من سكان افريقية إلى الأندلس وصقلية ومصر وغيرها، ودامت الفوضى فيها إلى أن أقبل إليها الموحدون سنة 555 هـ وطردوا عنها النورمان، ومحوا الإمارات الصغيرة التي توزعتها فاستوثقت أمورها وأطردت بعد ذلك حياتها الثقافية»[4].

[1] رابح بونار:المغرب العربي تاريخه وثقافته ص34.

[2] اتخذها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز مركزا لبعثة مكونة من عشرة أشخاص من التابعين كما انشئت بها مدارس جامعة سموها دورالحكمة.

[3] ينظر مراد اليعقوبي، القيروان التأسيس العمارة والتعمير ص30

[4] رابح بونار:المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص 175.

ابن رشيق يرثي القيروان: أراد الشاعرأن يصور في هذه الأبيات مايجب أن تكون عليه القيروان, وليس ماهم عليه في الحقيقة و كلامه يعبر عن رؤيا داخلية في نفسيته .[1]

كانت تعد القيروان بهم إذا عدّ المنابر زهرة البلدان
وزهت على مصر وحق لها كما تزهو بهم وغدت على بغدان
حسنت فلما أن تكامل حسنها وسما إليها كل طرف ران
وتجمعت فيها الفضائل كلها وغدت محلّ الأمن والإيمان
والمسجد المعمور جامع عقبة خرب المعاطن مطلم الأركان
قفر فما تغشاه بعد جماعة لصلاة خمس ولا ولا لأذان
بيت به عبد الإله وبطّلت بعد الغلو عبادة الأوثان
بنيت بوحي الله كان بناؤه نعم البنا والمبتنى والباني[2]
أعظم تيلك مصيته ما تنجلي حسراتها أو ينقضي الملوان
لو أنّ ثهلانا أطيب بعثرها لقد كدكت منها ذرا ثهلان
حزنت لها كور العراق بأسرها وقرى الشام ومصر والخرسان
وتزعزعت لمصابها وتنكدت أسفا بلاد الهند والسندان
وعفا من الأقطار بعد خلائها مابين أندلس إلى حلوان
وأرى النجوم طلعن غير زواهر في أفقهنّ وأظلم القمران[3]

والجامع المعمور جامع عقبة بن نافع ,وقد غدا قفرا خربا,لا يسمع فيه الأذان ولايغشاه الناس لأداء الصلوات الخمس. ويمضي الشاعر في قصيدته , فيشير إلى حزن الشعوب الإسلامية على مصاب القيروان وهذه ظاهرة أصيلة دعا إليها ديننا الإسلامي يظهر فيها وحدة الأمة في السراء والضراء.وتعظم المصيبة فإذا بالشاعر يرى الطبيعة كلها حزينة متحسرة مضطربة لما نزل

[1] محمدعقون :رثاءالمدن والممالك الزائلة في الشعر العربي القديم ,ماجستير,1987,جامعة قسنطينة ص85.
[2] ابن رشيق:الديوان ص 164-165.
[3] المصدر نفسه، ص85.

بالقيروان.[1] وقال أيضا في رثائها:

سقى الله أرض القيروان وقبره فيها ثوى شخص علّي عزير
ترى أنني بالقرب ممن أحبه على بعد ما بين الديار أفوز
وإن كان ادراك المحبين بغتة على منهب الأيام ليس يجوز

وقال ابن رشيق أيضا يرثي المعز ويذكر القيروان:

أودى المعز الذي كانت بموصعه وباسمه جنبات الأرض تمتسك
فالصوت في ذاك القصر مرتفع والسّتر عن باب ذاك البهو منهتك
أترى الليالي بعد ما صنعت بنا يقضي لنا بتواصل وتدان
وتعيد أرض القيروان كعهدها فيما مضى من سالف الأزمان
من بعد ما سلبت نضائو حسنها الـ أيّام واختلفت بها فئتان
وغدت كأن لم تغن قط ولم تكن حرما عزيز النصر غير مهان
أمست وقد لعت الزمان بأهلها وتقطّعت بهم عرا الأقران[2]
فتفوقوا أيدي سبأ وتشتتوا بعدا جيماعهم عن الأوطان[3]

قال فيها أبو علي بن رشيق :

أصابت القيروان وساكنيها ودار الملك صيرة كل باس
فلا الدنيا التي بقيت بدنيا ولا الناس الذين بقوا بناس

[1] ينظر : محمدعقون :رثاءالمدن والممالك الزائلة في الشعر العربي القديم ,ماجستير,1987,جامعة قسنطينة ص187.
[2] ابن رشيق، الديوان، ص 166.
[3] المرجع نفسه ص 167.

رثاء القيروان لابن شرف القيرواني [1]

يا قيروان وددت أني طائر	فأراك رؤية باحث متأمّل
آها وأيّة آهة تشفى جوى	قلب بنيران الصبّابة مصطلي
أبدت مفاتيح الخطوب عجائبا	كانت كوامن تحت غيب مقفل
زعموا ابن أوى فيك يعوى والصّدى	بذراك يصرخ كالحزين المتكل
يا بيد روطة والشوارع حولها	معمورة أبدا تغص وتمتلى
يا أربعى في القطب منها كيف لي	لمعاد يوم فيك لي ومن اين له؟
يا لو شهدت إذا رأيتك في الكرى	كيف ارتجاع صباى بعد تكهّل
لا كثرة الإحسان تنسى حسرة	هيهات تذهب علّة بتعلل
وإذا تجدّد لى أخ ومنادم	جددت ذكر إخاء خل أوّل
لو كنت أعلم أنّ آخر عهدهم	يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقال أيضا يصف جالية القيروان بمدينة سوسة، وما أصابها من إذلال ومهانة، إثر رحيلهم بعد بكبة القيروان:

آه للقيروان أنّة شجو	عن فؤاد بجاحم الحزن لصلى
حين عادت به الديار قبورا	بل أقول : الدّيار منهنّ أخلى
ثم لا شهمة سوى أنجم تخ	طو على أفقها نواعس كسلى
بعد زهر الشماع توقد وقدا	ومتان الذبال تفتل فتلا
والوجوه الحسان أشرق منهنّ	وتفضلنهنّ معى وشكلا
لو رأيت الذين كان لهم سه	لك وعرا قد صّروا الوعد سهلا [2]

وقال يصف ما حلّ بالقيروان، ولحق بأهلها من هوان ومذلة:

بعد خطوب خطبت مهجتي	وكان وشك البين امهارها

[1] ابن شرف ، الديوان، ص 87.

[2] ابن رشيق:الديوان ص 89.

ذا كبد أفلاذها حولها قسّمت الغربة أعشارها
أطفالها ما سمعت بالفلا قط فعادت الفلا دارها
ولا رأت أبصارها شاطئا ثم جلت باللّج أبصارها
وكانت الأستار آفاقها فعادت الآفاق أستارها
ولم تكن تعلو سريرا علا إلاّ إذا وافق مقدارها
ثم علت فوق عثور الخطا ترمى به في الأرض أحجارها
ولم تكن تلحظها مقلة لو كحلت بالشمس أشفارها
فأصبحت لا تتّقى لحظة إلاّ بأن تجمع أطمارها[1]

قال ابن شرف يصف خراب القيروان على يد الأعراب[2] وفي قصيدته الرائية برع أكثر في رسم صورة القيروان بعد إنهيارها , وقد استهلها بذكر خلو ديار القيروان ووحشتها,وتعطل الحركة والحياة فيها ثم صور ليلها ,فمدينة القيروان أصبحت خالية موحشة , يمر عليها الغبار طبقات فهي خاوية لا أنيس فيها سوى ترددالأصداء في جنباتها .

كأن الديار الخاليات عرائس كواسد قد أزرت بهن الضرائر
وتنكر بقاياها الأسرّة حسّرا عواطل لا تفشى لهنّ السرائر
إذا أقبل الليل البهيم تمكنت بها وحشة منها القلوب نوافد
ولا سرج إلاّ النجوم وربما تغطت فسدّت جانبيها الدّياجر
يمر عليها المور يسحب لحفه ولا كانس إلاّ الرياح الغدائر
ويمتد عمر الصوّت فيها وزلّما ولا كانس إلاّ الرياح الغدائر
فلو نطقت ما كان أكثر نطقها سوى قولها أين الخليط المعاشر؟
ألا قمر إلاّ المقنّع في الدّجى فأين اللواتي ليلهن المعاجر؟
ألا منزل فيه أنيس مخالط ألا منزل قية أتيس مجاوز؟

[1] ابن رشيق، الديوان، ص65.
[2] ابن شرف، الديوان، ص61-63

ترى سيئات القيروان تعاظمت فجلت عن الغفران والله غافر
تراها أصيبت بالكبائر وحدها ألم تك قدما في البلاد الكبائر ؟

ويقول في أهلها:

ترحّل عنها قاطنوها فلا ترى سوى سائر أو قاطن وهو سائر
تكشفت الأستار عنهم وربما أقيمت ستور ذونهم وستائر
إذا جاذبت أستارها تبتغي بها لأقدامها سترا تبدّت غدائر
تبيت على فرش الحصى وغطاؤها دوار من أسمال زوار حقائر
فياليت شعرى القيروان مواطنى أعائدة فيها الليالي القصائر
ويا روحتى بالقيروان وبكرتي أراجعة روحاتها والبواكر
كأن لم يكن كل ولا كان بعضه سيمضى به عصر ويمضى المعاصر

يعود الشاعر ثانية إلى وصف حال أهل المدينة وما أصابهم من مكاره أثناء رحيلهم وينهي قصيدته متمنيا أن تعود القيروان إلى عهدها الزاهر.

أما الحصري فقد هالته نكبة القيروان وأدرك أن الغربة ستطول ,وأنه لاأمل له في الرجوع إلى وطنه فودع قبر والده بدموع يسقي بها تربته بعد ما أخذ قبضة تراب منه لتكون ذكرى يشم منها رائحة وطنه، وارتحل ميمماطريق سبتة في أقصى المغرب ,وعلى أبواب الأندلس حاملا في قلبه الحزن، وفي عينيه المنطفئتين فيضا من الدموع، وهناك في دار غربته تتجمع حسراته على بلده الخرب ووطنه المضطرب فيقول قصيدة مطولة منها هذه المقطوعات[1]:

قال الشاعر الحصري في قصيدة يندب فيها القيروان:

موت الكرام حياة في مواطنهم فان إغتربوا ماتوا ومامانوا
ياأهل ودي لا والله ما انتكثت عندي عهود ولا ضاقت مودات
لئن بعدتم وحال البحر دونكم لبين أرواحنا في النوم زورات
مانمت إلا لألقى خيالكم وأين من نازح الأوطان نومات

[1] ينظر محمد المرزوقي، الجيلاني:أبوالحسن الحصري القيرواني، ديوان المعشرات، مكتبة المنار، تونس، 1963، ص 39

إذا إعتللنا تعللنا بذكركم لو أحسنت برء علات تعلات
ماذا على الريح لو أهدت تحيتها إليكم مثل ما تهدى التحيات
أصبحت في غربتي لولا مكاتمتي بكتني الأرض فيها والسموات
كأنني لم أذق بالقيروان جنى ولم أقل ها لأحبابي ولا ها

ومن نظم **ابن الخطيب** قوله لما أشرف على **الحضرة المراكشية** حاطها الله تعالى :

ماذا أحدث عن بحر سبحت به من البحار فلا إثم ولا حرج
دحاه مبتدع الأشياء مستويا ما إن به درك كلا ولا درج
حتى إذا ما المنار الفرد لاح لنا صحت ابشرى يا مطايا جاءك الفرج
قربت من عامر دارا ومنزلة والشاهد العدل هذا الطيب والأرج[1]

وقال رحمه الله تعالى عند وقوفه على مراكش واعتباره بما صار إليه أمرها :

بلد قد غزاه صرف الليالي وأباح المصون منه مبيح
فالذي خرّ من بناه قتيل والذي خرّ منه بعض جريح
وكأن الذي يزور طبيب قد تأتي له بها التشريح
أعجمت منه أربع ورسوم كان قدما بها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المغاني وجمال لأخفاه ذال الضريح
وملوك تعبدوا الدهر لما أصبح الدهر وهو عبد صريح
دوخوا نازح البسيطة حتى قال ما شاء ذابل وصفيح
حين شبت لهم من البأس نار ثم هبت لهم من النصر ريح
أثر يندب المؤثر لما طال بعد الدنو منها النزوح
ساكن الدار روحها كيف يبقى جسد بعد ما تولى الروح[2]

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، القسم الثاني، ج4، ص16.
[2] المرجع نفسه، ص16.

ويقول بعضه كتبته بالمعنى من حفظي لطول العهد، والغاية في هذا الباب ما أنشد نيه لنفسه الوزير أبو فارس عبد العزيز الفشتالي المذكور، وهي حماية قصائد كتبت في المباني الملوكية المنصورية بالحضرة المراكشية حاطها الله تعالى، فمنها ما كتب خارج القبة الخمسينية وذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان القبة :قلت " دخلت مكناسة هذه مرارا عديدة، وقد أبلى الدهر محاسنها التي كانت في زمان الدين بن الخطيب جديدة، واستولى عليها الخراب، وتكدر منها بالفتن الشراب، وعات في ظاهرها الأعراب، وفي باطنها سماسرة الفتنة العائقة عن كثير من الآراب، حتى صار أهلها حزبين، لبس كثير من أهلها ثياب البعد عنها والبين، والله يجبر حالها، ويعقب بالخصب امحالها، ويرحم الله تعالى ابن جابر إذ قال"[1] :

لا تنكرنّ الحسن من مكناسة فالحسن لم يبرح بها معروفا

ولئن محت أيدي الزمان رسومها فلربما أبقت هناك حروفا

على أن ضواحيها كانت في زمان لسان الدين مأوى للمحاربين واللصوص ومتوى للأعراب الذين أعضل داؤهم بأقطار المغرب على العموم والخصوص ولذلك يقول لسان الدين.

مكناسة حشرت بها زمر العدا فمدى بريد فيه ألف مريد

من واصل للجوع لا لرياضة أولا بس للصوف غير مريد

فإذا سكت طريقها منصو فانو السلوك بها على التجريد

وما أشار إليه رحمه الله تعالى فيما سبق من ذكر الزاوية القديمة والجديدة أشار به إلى زاويتين بناهما السلطان أبو الحسن المريني الكبير الآثار بالمغرب الأقصى والأوسط والأندلس، وكان بنى الزاوية القدمى في زمان أبيه السلطان أبي السعيد والجديدة حسن تولى لخلافة وله في المدينة غير الزاويتين المذكورتين عدة آثار كثيرة جميلة من القناطر والساقايات وغيرها.[2]

وحكى أن المعتصم يحي بن الناصر بن المنصور الموحدي، ضرب بظاهر مراكش قبة حمراء فبادر إليها العرب والنصارى من عسكر عمه المأمون ؛ فقطعوا أطنابها، فسقطت، فقال في ذلك أبو

[1] المقري :نفح الطيب ,ص 184.

[2] المصدر نفسه، ج 8. ص 347.

عمرو هذا في القصيدة:

انظر إلى القبة الحمراء ساقطة لما رأت مضر الحمراء عن كثب
من كان أذلى بها إن كثت ذا بصر العجم أو معدن العليا من العرب
وانما سجدت لما سمت وغدت فوق الضلال وكاتت أعجب العجب[1]

و أنشد أحد الشعراء لمارأى ما آل إليه قصر البديع من خراب: ماقاله محي الدين بن عربي في كتاب المسامرات لما دخل الزاهرة فوجدها متهدمة :

ديار بأكناف الملاعب تلمع وما ان بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب فتصمت أحيانا وحينا ترجع
فخاطبت منها طائرا متفردا له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي فقال على دهر مضى ليس يرجع[2]

وأنشدت ما أنشده ابن الأبار في تحفة القادم :

قلت يوما لدار قوم تفانوا أين سكانك الكرام علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ولست أعلم أينا[3]

وأنشدت أيضا قول الشاعر :

وقفت بالزهراء مستبصرا معتبرا أندب أشتاتا
فقلت يا زهرا الا فارجعي قالت وهل يرجع من فاتا
كأنما ءاثار من قد مضى نوادب يندبن أمواتا

أبو زكريا يحي بن خلدون[4]له قصيدة التمس بها رضا أبي حمو أثناء مقامه بفاس أواخر:

[1] المقري :أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض,ج 2.ص375.
[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة السعدية، ص144.
[3] المرجع نفسه، ص144.
[4] أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي التلالسي. من أهل تلمسان، كان طبيب السلطان أبي حمو، وشاعرا بارزا من شعراء بلاطه، نظم قصائد كثيرة في مدح أبي حمو، وكان يجيد التوشح. [4] **صاحب** (بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد)

إذا الديار تعرّضت لأخي الهوى لم يغن عنه الصبر والكتمان
يعاوده الذكرى ويبعث وجد أثر تخلفه بها السكان
يا سائل العرصات أقوت ضلة من أين تدري الدار ما الظعان
لا تخش ان ضن الغمام لربعها طمأ فدمعي عارض هنان

وقال أحمد بن بلج السوسي :

ألم بسوسة وبغى عليها ولكن اله لها نصير
مدينة سوسة للغرب ثغر تدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الذين بغوا عليها كما لعنت قريضة والنضير
أعز الدين خالق كل شيء بسوسة بعدما التوت الأمور
ولولا سوسه لدهت دواه يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكر سوسة كل أرض ويفشي أهلها العد الكثير[1]

وامتحن أهل باجة أيام أبي يزيد بالقتل والسبي والحرق قال الراجز في هجوه لأبي يزيد:

وبعدها باجة أيضا أفسدا وأهلها أجلى ومنها شردّا
وهدّم الأسواق والقصورا والدور قد فتش والقبور[2]

3-المفاضلة بين عمارة المغرب والمشرق

برغم الروابط المتينة بين المشرق والمغرب، الدينية السياسية والثقافية، إلا أن هناك نزعة من التنافس بين أعلامه فهذا أبو علي الحسين بن الفكون القسنطيني يناجي مدينة الناصرية (بجاية)، ويعلي مكانتها فوق بغداد والشام مستعذباً فتنة الطبيعة فيها، ومضفياً عليها صبغة الفردوس [3]فيقول :

[1] البكري :المسالك والممالك ص 208. الأبيات لأحمد بن أفلح في البيان المغرب لابن عذاري ج 1 / ص 327 ورحلة التجاني 28.
[2] البكري :المسالك والممالك ص 236. ج /2 هذه الأبيات بلا نسبة في معجم البلدان (باجه) 1 / 251 ومراصد الإطلاع ص ج 1 / 148
[3] محمد الطمار :تاريخ الأدب الجزائري,ص77./الغبريني :عنوان الدرارية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية,ص281.

دع العراق وبغداد وشامهما فالناصرية ما إن مثلها بلد
بر وبحر وموج للعيون به مسارح بان عنها الهم والنكد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغني والمني والمعيشة الرغد
والنهر كالصل والجنات مشرفة والنهر والبحر كالمرآة وهويد
فحيثما نظرت راقت وكل نوا حي الدار للفكر للأبصار تتقد
ياطالباً وصفاً إن كنت ذا نصف قل جنة الخلد فيها الأهل والولد

يبدو من خلال النصوص التي بين أيدينا أن شعر المدينة في الأدب المغربي القديم يعكسبين الحين والحين ما كان يخامر بعض الشعراء من مفاضلة بين مدينة وأخرى، وإن كانت مفاضلة ترتبط في الغالب بعنصر الانتماء للمدينة المفضلة، وكونها موطن أسرة الشاعر وعشيرته كما هو الحال عند الشاعر الجزائري ابن الفكون القسنطيني الذي فضل مدينة الناصرية (بجاية) على مدينة بغداد. كما نقرأ من شعر أبي الربيع سليمان الموحدي، وهو يفضل مدينة مراكش على غيرها من المدن قائلاً :

رعاك الله يا دار الكرام وجادك بالحيا صوب الغمام
ومتع فيك أعواماً طوالاً على نعم وخير مستدام
أرى مراكش الحسناء تزهي وحق لها على دار السلام
كأن الأرض شخص وهي وجه وأنت بوجهها وضح ابتسام

وعلى غراره ينوه الشاعر أبو عبد الله المغيسي بمفاتن الطبيعة في مدينة فاس، متشوقاً إليها ومفضلاً إياها على مدينة حمص، ومبدياً حسرته على فراقها حين ولي القضاء بمدينة ''أزمور''، فقال:

يا فاس حيا الله أرضك ثرى وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي أريت علي حمص لمنظرها البهي الأجمل
غرف على غرف ويجري تحتها ماء ألذ من الرحيق السلسل

وحدائق من سندس قد زخرفت بجداول كالأيم أو كالفصيل

ويقول في مدحها الشاعر لسان الدين بن الخطيب:

بلد تحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره

وكأنما واديه معصم غادة ومن الجسور المحكمات سواره

بلاد بها الحصباء در وتربها عبير وأنفاس الرياح شمول

تسلل منها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل

فألقيت بها عصا التسيار وقاها الله من الآفات والأغيات[1]

فعن أبي العباس السبتي حاكيا عن الأمير يعقوب المنصور الموحدي ما نصه "وقال لي يوما كيف ترى هذه البلاد وأين هي من بلادك الشامية فقلت له يا سيدنا بلادكم حسنة أنيقة مجملة مكملة فيها عيب واحد فقال ما هو فقلت إنها تنسى الأوطان فتبسم وظهر إعجابه بالجواب وأمر لي من غد بزيادة رتبة".

ويفوق قصر البديع في جماله وروعة نقوشه كل القصور والمنشآت الحضارية القديمة

وفي ذلك يقول عبد العزيز الفشتالي :

شأو القصور قصورها عن وضعه سيّان فيه خورنق وسدير

فإذا أجلت اللحظ في جنباته يرتد وهو بحسنه محسور[2]

قال الشاعر في قصر البديع :

كل قصر بعد البديع يذم فيه طاب الجنى وطاب المشم

منظر رائق وماء نمير وثرى عاطر وقصر أشم

[1] المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ج 1 ص8-9.

[2] نجاة المريني :الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي ص 145.

إن مراكشا به قد تباهت مفخار فهي لعلا الدهر تسمو

وأصل هذه الأبيات قول ابن عمار:

كل قصر بعد الدمشق[1] يذم فيه طاب الجنى وفاح المشم

منظر رائق وماء نمير وثرى عاطر وقصر أشم

بت فيه والليل والنجم عندي عنبر أشهب ومسك أحم

***مدينة الرباط** يقول محمد الناصري - من شعراء العصر العلوي الرابع عشر هجري -في مدينة الرباط فيقدمها على سائر المدن.

إنّ الرباط له فضل على المدن لأن فيه سلوّ الروح والبدن

ما شئت من روضة غناء مونقة فيها الطيور شدت زهوا على فنن

والغيث منسجم والزهر مبتسم والماء في جريه كالمنصل اليمني[2]

***مدينة فاس**

كانت فاس، في منتصف القرن الثامن للهجرة ، واحدة من أهم المدن الإسلامية، لا تتفوق عليها من حيث الأهمية إلا القاهرة ودمشق فعدا كونها عاصمة المرنيين، شكلت فاس مركزا تجاريا هاما ربط أوربا المتوسطية ببلاد الشرق العربي وببلاد السودان. وكانت مركز علم ودين، ومستترا للعلماء الوافدين من الأندلس. وقد قامت فيها القصور المنيفة والجوامع الفخمة وثكنات الجند، وعمرت بالمدارس[3].

وهذا الشاعر عبد الله المغيلي يصف فاسا ويحن إليها حين ولي القضاء بمدينة (أزمور) يقول

[1] السملالي :الاعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام ص 70. الدمشق قصر بقرطبة نفح الطيب ص 314 والأحم بالحاء الأسود من كل شيء كما في القاموس.

[2]. الأدب العربي في المغرب الأقصى ج 1. ص 122.

[3]فقد بنى يوسف المريني (656. 685 هـ) مدرسة النحاسين على مقربة من جامع القرويين وبنى أبو سعيد (710. 732 هـ) وابنه الحسن (732 هـ. 752 هـ) ثلاث مدارس أخرى : مدرسة الصهريج ومدرسة القراءات السبع، ومدرسة العطارين، وبنى أبو عنان (752 هـ. 760 هـ) المدرسة البوعنانية أروع مدرسة في فاس ما زالت تحمل اسمه حتى اليوم.

من الكامل :

يا فاس حيّا الله أرضك من ثرى وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي أربت على حمص بمنظرها البهي الأجمل
غرف على غرف ويجري تحتها ماء أندى من الرحيق السلسل
وبساتين من سندس قد زخرفت بجداول كالأيم أو كالفيصل[1]

***المفاضلة بين فاس وحمص دمشق**

يقول القاضي المزدغي:

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي أربت على حمص بمنظرها البهي الأجمل
غرف على غرف ويجري تحتها ماء ألذ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرفت بجداول كالايم أو كالفيصل
وبجامع القروين شرف ذكره أنس بذكراه يهيج تململي
وبصحه زمن المصيف عجائب فمع العشي الغرب فيه استقبل
واشرب تيلك الية الحسنا به واكرع بها عن فدتيك واهل[2]

4-المفاضلة بين مدن المغرب والأندلس.

يناجي الشاعر أبو حفص عمر الحراق[3] مدينة شفشاون مسقط رأسه، ويعلي مكانتها فوق حمراء الأندلس وبيضاء الغرب. فيقول :

شفشاون يا شفاء النفس من نصب ومن عنا وشفاء الروح من وصب
حياك من لم يزل حيا وأحي ربى ربيت فيها رهين اللهو والطرب
مسقط رأسي وأنسي مع جهابذة أربو على كل ذي علم وذي أدب
زدت جمالا على حمراء أندلس وفقت بيضاء غرب منتهى الأرب

[1] مقتطف من كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 34/ الشاعر عبد الله المغيلي : (ت 909)
[2] المقري :نفح الطيب ص 264.
[3] الشاعر من شعراء العصر العلوي، عاش بين أواخر القرن الحادي عشر هجري وأوائل القرن الثاني عشر

أرض تجمع فيها كل مفترى في غيرها من أراضي العجم والعرب
ماء معين وأشجار منوعة تعجز عن وصفها الأقلام في الكتب
ما شعب بوّان، ما برج دمشق وما نيل بمصر وما العاصي لدى حلب
في جنب شفشاون الغرّاء إن فخرت بتينها بزيتون مع العنب[1]

يريد الشاعر أن يخلق من خلال الوصف صلة بينه وبين المكان فيصبح المكان صورة لأمانيه وتطلعاته. "الشاعر ذواق ذو إحساس مرهف تنطبع على قريحته الصافية وفي عقله الخصيب الصور الفاتنة والمرائي النابضة بالحياة"

وفي مراكش قال شاعر ملوك بنى مرين عبد العزيز الملزوزي لما أصابته حمى بمراكش فدخل الأمير عبد الواحد بن يعقوب المريني في رمضان عام(669) وقد وجراحته من حماه فقال له الأمير كيف أنت يا عبد العزيز من مرضك وكيف رأيت مراكش؟ فأشأ يقول [2]:

لمراكش فضل على كل بلدة وما أبصرت عين لها من شابه
وما هي إلا جنة قد تزخرفت ولكنها حفت لنا بالمكاره

وفي ضد هذا قال شيخ القراء بالمدينة المنورة الأديب عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربي المكناسي المالكي في دمشق:

قالوا دمشق جنة زخرفت من كل ما تهوى نفوس البشر
أما ترى الأنهار من تحتها تجرى فقل مجار بابل سقر
لأنها حفت بما تشتهي فهي أدا ناركما في الخير

ولاشك أن شعر أي عصر يكشف عن حاله وجدير أن يكشف أبعاده ومستوياته وقيمه الجمالية والدلالية فهو على" الرغم من شفافيته البالغة يورخ بطريقته الخاصة للتحولات الكبرى بل إنه يرصد ماتعجز كتب التاريخ عن رصده" ودراسة الشعر توقفنا عند الثابت والمتغير في الحياة على المستوى الجمالي والفني واللغوي والسياسي والاجتماعي والثقافي"

إن الحديث عن الصحراء أو القصور المترفة تكشف النقاب عن حياة العربي بوجوهها

[1] السملالي: الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، ج 9، ص 297. عبد الجواد السقاط ص 111.
[2] السملالي: الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، ج 9، ص67.

المختلفة بأمجادها ومآثرها ببذخها ومجونها وسلوكيات أفرادها ونزعاتهم فتارة بصور القصور والحدائق ومجالس اللهو والطرب والغناء مجالس الذكر فهذه الصورة عن الحياة كلها تدعو الشاعر للقول و الإبداع.

***مدينة صفاقس**

صفاقس: مدينة بإفريقية، بينها وبين قفصة ثلاثة أيام، وهي مدينة قديمة عامرة، لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة وعليها حجارة، وعلى أبوابها صفائح حديد منيعة، وعلى أسوارها محارس للرباط، وشرب أهلها من المواجل، ويجلب إليها من قابس نفيس الفواكه، ويصاد بها من السمك ما يعظم خطره، وأكثر صيدهم من الماء الميت بضروب جيل، وجل غلاتها الزيتون والزيت بها منه شئ كثير، ومرساها حسن ميت الماء، ولأهلها تحوة وفي أنفسهم عزة، وملكها طاغية صقلية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ثم استنشدت منه وعمرت ومنها إلى المهدية مرحلتان. وبها أسواق كثيرة ومساجد ومسجد جامع، وسورها صخر وطوب، وبها حمامات وفنادق وبواد عظيمة وقصور زهمة وحصون ورباطات على البحر، منها محرس فيه منار مفرط الارتفاع يرقى إليه في (166 درجة). وصفاقس في وسط غابة زيتون، ومن زيتها يمنار أهل مصر والمغرب وصقلية والروم، وربما بيع الزيت بها أربعين ربعا بمتتال واحد، وهي محط لسفن الآفاق، وإذا جزر الماء بقيت السفن في الحمأة فإذا مدّ رجعت السفن وعامت، ولا بد من المد والجزر كل يوم. وشجع أمراؤهم شعراء الأندلس وأدباءها على الوفود إلى المغرب "فانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار"

كم ظل في البر مسلوتا بضاعته وبات في البحر نسيكو الأسر والعطبا
قد عاين البحر قبحا في جوانبها فكلما همّ أن يدنو لها هربا[1]

[1] الحميري: الروض المعطار، ص 365 -366 .

الفصل الرابع :

شعرية المكان المعماري

1- تصوير المكان المعماري

2-تشكيلات فنية للمكان في شعر العمارة

2-1-المكان والمتخيل الشعري

2-2- المعجم الشعري للمكان المعماري

3-حقل الصور اللونية

4-حقل الصور الصوتية

5-تصوير مظاهر الطبيعة المحيطة بالعمارة

6-الصور الحضارية للمكان المعماري

7-شعر الرقوش

7-1-الرقوش على المدارس المرينية

7-2-الرقوش على القصور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-تصوير المكان المعماري

الأدبية المكانية جزء جوهري من أجزاء الصورة الأدبية وهو ما يدفعنا لإتخاذ موقف تقويمي من المكان، والعمل الأدبي حين يفقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته بالتالي أصالته للمكان.

تتبين أهميةالمكان في الشعر العربي القديم في تأثيره على الإبداع عبرتاريخ النقد الأدبي، وفي المفهوم الفكري الإنساني دلالات إنتمائية ونفسية ووجدانية وجمالية وشعورية تعزز إنتماء الشاعر إلى الأرض فيثير المكان فيه إحساسا بالماضي والحاضر، فأكثر الشعراء القول فيه سواء كان بحقيقته أو برموزه ودلالاته.

ولعلّنا لا نبالغ إذا ما ذهبنا إلى أن إحدى المشكلات الأساسية التي عالجها الفكر الجمالي القديم، وعلم الجمال الحديث مشكلة العلاقة الجمالية بالمكان؛ ولقد ظهرت هذه المشكلة تحت عدّة عناوين، منها المحاكاة والتخييل والبيئة والعصر والانعكاس والخلق الفني؛ كما أن منها الفن والطبيعة، والفن والواقع، والجماليّ بين الفن والحياة... الخ.

وما مفهوم المحاكاة في هذا النقد، ومن قبله مفهوم المحاكاة الأفلاطوني ثم الأرسطي، ومن بعده مفهوم الانعكاس الفني إلاشكل من أشكال وعي العلاقة بين الأدب والمكان؛ وإن يكن بطريقة مختلفة عما هي عليه في الدراسات الحديثة حول جمالية المكان.

"ولا غرابة في أن ينشغل كلٌّ من النقد الأدبي وعلم الجمال، وعلم النفس بموضوع المكان وطرائق تبدّيه في الإبداع الأدبي، بالإضافة إلى أشكال تأثيره وطبيعة هذا التأثير، فالمكان ليس مجرد حيّز فيزيائي أو جغرافي بل هو أيضاً ذلك "الحاضن" الطبيعي والاجتماعي والنفسي والجمالي الذي ينمو فيه الكائن الإنساني.فلايقتصرالمكان على كونه أبعادا هندسية وحجوما أوكيانا ماديا مجردا بل هو نظام من العلاقات المجردة، وعنصر فني مكتنز بالقيم والأفكار. [1] الاجتماعية والنفسية والجمالية من مثل ذلك نصّ الأطلال، في الشعرالعربي القديم، ونصّ المدينة في شعرنا الحديث والمعاصر.

[1] ضياء عبد الرزاق العانيا :الصورة البدويةفي الشعرالعباسي ص27

وقد يتحوّل المكان إلى رمزٍ فنيٍّ يحمل طاقة انفعالية أو تعبيرية أو تقويمية محدّدة أو مفتوحة وهذا الشكل شاع في شعرنا الحديث، ولاسيما في اتكائه على الأسطورة والتاريخ، فظهر كثير من الأمكنة والرموز في هذا الشعر، من مثل سدوم وعامورة وبابل وإرم ذات العماد كما يمكن أن يظهر المكان بشكل حيادي، من دون أن يكون مقصوداً لذاته، أو دون أن يكون ذا قيمة تعبيرية لا غنى عنها في النص، إنه أشبه بالحشو.

فكلما تعدّدت القيم المرتبطة بالمكان وتنوّعت وتعقّدت اتصف المكان بالغنى الجمالي، بحيث يبدو وكأنه كائن جمالي في ذاته، بصرف النظر عن الأذواق، التي تتعامل معه إن المكان جمالي بالنسبة إلينا لأنه يمثّل قيمةً ما أو قيماً عدّة، لنا موقفٌ إيجابيٌّ أو سلبي منهافجمالية المكان تختلف بحسب اختلاف خصائصه من جهة، واختلاف القيم المرتبطة به فليس ثمة مكان تطوله التجربة الإنسانية إلا ويحمل دلالة جمالية ما.

التصوير في الشعر عملية ضبط للوجود الظاهر والوجود الباطن وجعل هذه العوالم تدرك بالحس وبالحدس وبالعقل والرؤية فليس الشعر صيغا كلامية خاوية مفرغة من شحنات الشعور و بوارق الفكروإلتماعات الخيال.

إن الصورة التي تثير الشاعر صورة خارجية ميتة ولكنها تصنع صورة داخلية حية متجددة في كل مرة لذلك يجتهد الشاعرلوضعها في إطارحسي يسهل على سامعه إستعابه فالمخبر يتوسل بلسانه ولغته وما أتي من قدرة وإرادة على التصوير في مقابل مايبذله السامع من حس سمعي قصد القبول والقياس والتذوق فترتسم في الأذهان صورا سمعية وبصرية وأخرى ذوقية ولمسية وشمية تتطلب مؤشرات لغوية هذه المؤشرات يشترك فيها كل من المصور والمصور له.

يؤكد القاضي الجرجاني :"إنما الكلام أصوات محلها من الأسماع محل النواضر من الأبصاروأنت قد ترى الصورة تستكمل شرائط الحسن وتستوفي أوصاف الكلام وتذهب في الأنفس كل مذهب وتقف من التمام بكل طريق، ثم تجد أخرى دونها في إنتظام المحاسن، وإلتئام الخلقة وتناصف الأجزاء، وتقابل الأقسام، وهي أحضى بالحلاوة، وأدنى إلى القبول،

وأعلق بالنفس، وأسرع ممازجة للقلب، ثم لاتعلم لهذه المزية سببا ولما خصت به مقتضى". [1]

لاتقتصر الصورة الفنية على أطراف التشبيه المعهودة فقد تشمل كل مامن شأنه أن يضفي عليها حيوية وصدقا في العرض كاللون والحركة، حتى أنها ترتقي بإعمال حواس الإنسان المختلفة كالذوق والشم واللمس وبذلك يرتقي التصوير الذي يستطيع أن يتواصل مع حواس الإنسان مما يعمق الفكرة والعاطفة في نفس القارئ ويجعلها لصيقة أفكاره ومشاعره. وبالعودة إلى تراثنا النقدي نجد عبد القاهر الجرجاني يحدد الصورة الفنية "تشبيه الشئ بالشئ من جهة الصورة والشكل أو جمع الصورة واللون"[2]

نستخلص من القول أهمية الحواس في النقل والمحاكاة نظماوالإدراك والتخييل قبولا حتى تستوفي الصورة شروط الكمال والإنتظام والحسن فكل من الذوق واللمس والسمع والبصر أنماطا للصورة في شقها الحسي حيث لايفارق الشعر مرتبة المحسوس من القول الفني.يقول عبد القاهر الجرجاني :الصورة"لاتعني محاكاة العالم الخارجي، وإنما تعني الإبتكار والإبداع وإبراز علاقات جديدة متضادة، أو متنافرة أو متباعدة".

المكان بمعنى الفراغ يوصف أحيانا بأنه عكس الكتلة بمعنى الحجم، وبأنه عكس الجامد في فن العمارة. تعد فنون المكان مقتصرة على المنجزات التي فيها فراغات داخلية يمكن ولوجها، ويمكن اعتبار جميع الفنون المنظورة من فنون المكان " لأنها تجسد اثنين وأحيانا ثلاثة من الابعاد المكانية المكان مشتق من الكينونة والوجود الإنساني ومدى إرتباط الإنسان بالمكان وتعميق شعوره بالإنتماء يستمر الشاعر أثناء رسم المكان في نقل المشاعر والإنفعالات حتى يضفي عليه الحركة والنشاط الإنساني، ليظل المكان مفعما بالحيوية.

"إن نظرة فاحصة للإستخدام الإيجابي للمكان، تؤكد أن ثمة فارقا بين أن يكون استدعاء المكان لذاته، وبين أن يكون إستدعاؤه في إطار رؤية فنية، ومن موقع كونه خلفية ضرورية الذي تتحرك في إطاره الأمكنة بأشيائها البعيدة والقريبة.

[1] ينظرابتسام دهينة :الصورة الشعرية من التشكيل الجمالي إلى جماليات التخييل

[2] عبد القاهر الجرجاني :أسرار البلاغة، ص75.

ينفصل المكان الفني عن المكان الطبيعي لأن الفنية تعتمد آليات ذهنية ربما غير موجودة على أرض الواقع، إذ تلتزم عددا من الآليات لإنجاز عمل فني معين فالتعامل مع المكان الطبيعي تعاملا خياليا ذهنيا يكسب المكان أبعادا فنية.

المكان جزء من الطبيعة التي حاكاها الشعراء تظهر صوره عنده مفردة أو مركبة وهنا تظهر بشكل واضح العلاقة بين المكان والشعرية من خلال مختلف وجوه الصورالتي يتبدى فيها المكان. "إن شعرية المكان تكون رمزية دلالية، لاتحتمل أحداثا تجري ولاشخوصا تتحرك بل هو رمز يختصر أحداثا، أو زمانا وأساطير أو أفكارا"

2-تشكيلات فنية للمكان في شعرالعمارة:

اتسعت تشكيلات المكان الفنية والدلالية في معظم الأجناس الأدبية وعملية التفاعل النصي مع المكان لم تعد قاصرة على المكان الطبيعي أو على أركانه المحددة" "فطلل آخر إنه الطلل الفني الذي يسكن أعماق الشاعر، إنه نصفه الذي لا يسأم من حمله ولا يمل من ترديده"[1].

تتمثل الآليات الفنية في تصوير المكان وتشكيله ورسم معالمه، أحيانا بمحاكاته وأحيانا بتشويهه أوبعرضة في صورة أبهى وأجمل وأكمل من صورته الحقيقية وهو الأفق الذي يصبو إليه الشعر. فتتجاوز آليات رسم المكان التصوير الواقعي التقريري المباشر-للمكان والأشياء- إلى مستويات التخييل المتصلة بالإبداع وبكثافة الوعي الجمالي[2]

يشكل المكان في الشعر الأرضية الفكرية والإجتماعية التي يحدد فيها مسار الشخوص، ويركز فيها وقوع الأحداث ضمن زمن داخلي نفسي يخضع لواقع التجربة في العمل الفني والمكان بعد ذلك محور موضوعي في الواقع يتولد منه محور إبداعي في الشعر وذلك بفعل التجربة الحسية، التي تحيل المادة الجامدة الصامدة، وعبر المخيلة الشعرية إلى صور ناطقة وقيم منقولة عن الحياة.

[1] حبيب مونسي : فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر. دط، 2011، ص30.

[2] ينظر حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، 2011,ص 247

فليس ثمة نصٌّ شعري لا يتعامل مع المكان تصريحاً أو تلميحاً إسهاباً أو إيجازاً، وبشكل أساسي أوعرضي، واقعي أو أسطوري أو خيالي ومردّ هذا إلى أن المكان هو الحيّز الجغرافي والحاضن الاجتماعي معاً. "ولما كان الشعر مكاني في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته، والإنسان الذي أبدعه كان لزاما على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه".

مما لاشك فيه أن هناك علاقة جدلية قائمة بين عنصري الزمان والمكان، وفيهما تتحرك الحوادث "فإذا كان الشعر فناً زمانياً، فإن هذا لا يعني عدم أهمية المكان فيه. بل إن أهميته لا تقلّ عن أهمية الزمان، من حيث الحضور في الموضوع واللغة والتصوير والموقف الجمالي عموماً."

ومن الأمكنة الفنية التي استحوذت على مخيلة الشاعر ابن حمديس الصقلي قصور المنصور ببجاية الناصرية يقول فيشيد الشاعر بشرف المكان وقدرة الصنع والتعمير والتمكن منه فيدعوك الشاعر لتعرج بالناصرية لترى مايخفي المكان من شرف الصنع والتصنيع ومن جهة أخرى اقتدار الصانع على تعمير مثل تلك المشاهد الرائعة من الجمال الآخاذ فيقول:

عرّج بالناصرية كي ترى شرف المكان وقدرة الإمكان

إنَّ هذا الحيّز أو الحاضن لا يتحوّل إلى "حامل جمالي" إلا في حالة ارتباطه بقيمة ما، أو بقيمٍ عدّة اجتماعية أو فردية، وروحية أو مادية... الخ، ومن دون ذلك، يصعب الكلام عن جمالية هذا المكان أو ذاك في الشعر، والأدب عامة.

2-1-المكان والمتخيل الشعري: إن أولى العلاقات التي تجمع بين الشعر والعمارة عنصر الخيال مؤسس لطبيعة الفنون بأسرها فالخيال في الشعرهو المقوم الذي يؤهل لظهور الفكرة ويرسم لها صورة في الواقع فنستطيع أن ندركها بحواسنا "لا يعتمد المكان الشعري على اللغة وحدها،وإنما يحكمه الخيال الذي يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة ا لواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع".

اعتمد الشعراء في وصفهم للعمران ضربا من الخيال الحسي الذي يقارن بين مشهد وآخر فهو خيال يقرب الأشياء بعضا إلى بعض، إنه خيال ناقل مصور، يبدوخاصة في تشبيه الإنعكاس على الزجاج، باللجج المتموجة، وبتشبيه ألوان الزهرفي البستان فالخيال يعدم ويلاشي

ويصهر ويزيح الغلاف المادي عن حقائق الموجودات ويكشف عن روحها المستتر وراء الظواهر فإذا بالجوامد تتحرك وتحرك الأحاسيس والمشاعر.

بينما يتمثل الوصف الخيالي في وصف الأشياء المحسوسة لا من حيث وقوعها في المكان بل من حيث ماتوقعه في النفس. فالعقل يحنط الوجود والعاطفة تبعث الوجود حيا. فينتقل المحسوس من حواس الشاعر إلى نفسه إلى شعوره فالشاعر ينزع غلاف الأشياء وجمودها ويبعث فيها المعاناة والحنين. الخيال في العمارة هو مايمكن المصمم المعماري من أن يرسم فكرته ويفلسف نظرته واحتياجه الحضاري وفي كلا الحالتين يهب الخيال لكل فن أصالته.

لقد أضفى الشاعر العربي على الطلل " قدرا وفيرا من ذاته عبر التشبيه والإستعارة والكناية والتصوير والتشخيص". فظل المكان يؤدي دورا فاعلا في الغرض الشعري فضلا عن كونه وسيلة فنية معبرة عن الكثير من المشاعر الداخلية سواء كان الغرض مديحا أم رثاء أم هجاء أم فخرا.

و لماعرف الشعراء العرب الحواضر انعكست تجلياتها في أشعارهم " وبلورها الشاعر ضمن وعيه الجمالي بالمكان إلى دروس وصفية و مدحية أوإلى حنين ومراث تبرهن على تاريخية الشعر وإنخراطه في هموم المرحلة من جهة، وعلى كفاءته في التعبير عن موقفه إزاء المدينة ضمن حدود مارسمته نظرية الشعر في تراثنا العربي وما أتاحته خبرته بالحضارة والمدن آنذاك من جهة أخرى"[1]

2-1-1-التشخيص: من وجوه التجديد في الوصف البديعي الإسراف في الأنسنة والتشخيص، ماجعل الشعراء يزيلون الحدود بين ذات الأشياء والإنسان، ويخلعون عليها الحالات الإنسانية، وينيطون بها المشاعر الوجدانية كأنها بشر سوي.[2] فالتشخيص إلقاء رداء من الذات على الوجود ومنحه القدرة على التحسس والشعور، فالوجود جزء من كيان الشاعر وامتداد من خياله، يمنح الكائنات وعيا إنسانيا يجعلها تتحسس وتشعر.

فيتحول الوجود من صورة واقعية جامدة دقيقة الأصباغ إلى قطعة من حياة واضحة

[1] ابراهيم رماني:المدينة في الشعر العربي,(الجزائر نموذجا) ,ط2,دار هومة ,2001 ,ص 34

[2] ينظر :حبيب مونسي :فلسفة المكان في الشعر العربي,دمشق ,2001,ص 54.

التعبير، ناطقة الملامح، تتمثل فيها الحركة والحياة والدفق.لتتحول إلى "صور عجيبة الألوان ساحرة الظلال والخطوط. فيها عمق إحساس وخصب خيال وإبداع وتصوير وتحليل"

تتميز قصائد وصف قصر البديع بالاتكاء على التشخيص، فأعمدة البهو غوان فاتنات، والنقوش والزخارف قلائد تزين النحور، فالقصركله فخر بعمارته وزخارفه ونقوشه يتيه على كل المباني ببهائه "وفي بعض القباب مفاخرة على لسانها لمقابلتها "يقول اليغربي : "وفيه من الأشعار المرموقة في الأستار، والأبيات المنقوشة في الخشب والزليج والجبص ما يسر الناظر، ويروق المتأمل، ويبهر العقول، وعلى كل قبة ما يناسبها، وفي بعض القباب مفاخرة على لسانها لمقابلتها ". [1]وفي ذلك يقول عبد العزيز الفشتالي مما كتب في بهوها بمرمر أسود في أبيض:

لله بهوعزّ منه نظير لما زها كالروض وهو نضير

رصفت نقوش بناه رصف قلائد قد نضدتها في النحور الحور

فكأنها والتبرسال خلالها وشي وفضة تربها كافور[2]

ومن ثم يجد الشاعر مناسبة لوصف القباب والسقوف والمجاري المائية والبركة التي تتوسط القصر إلى غيرها من الأوصاف، ويدقق الشاعر في خلق صوره الشعرية المستمدة من الطبيعة، متكئا على عنصر التشبيه مستخدما مظاهر الطبيعة المختلفة كأدوات مساعدة لإبراز جمال الموصوف وتقريبه إلى الذهن فيقول:

أضنى الغزالة حسنه حسدا لذا أبدي عليها للأصيل شحوبا

وانقضّت الزهر المتيرة إذ رأت زهر الرياض به نور عجيبا[3]

وقد أبدع الشاعر في هذه الأبيات بإنطاقه لهذه المعلمة التاريخية فهو وجه من أوجه التشخيص ويقول مما كتب بداخل القبة: [4]

[1] السملالي :الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ,ص 143.

[2]أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة ، ص138.

[3]عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا، ص282.

[4]المقري : نفح الطيب,ج8,ص188.

جمال بدائعي سحر العيونا ورونق منظري بهر الجفونا

وقد حسنت نقوشي واستطارت سنى يعشى عيون الناظرينا

وأطلع سمكي الأعلى نجوما ثواقب لا تغور الدهر حينا[1]

ويقول الوجدي الغماد واصفا إحدى قباب قصر بلسانها :

أنا القبة الحسنا التي راق منظري وكم في حسن بديع وإحسان

فحيطان من وشي الحرير تلألأت وقد حاز بحر الجود والحلم جثماني[2]

فإذا عادت بنا الذاكرة مثلا إلى عصر الدولة الموحدية، وفيه كانت مراكش قاعدة الملك وجدنا أحد أمراء هذه الدولة، وهو أبو الربيع سليمان الموحدي يتحدث عن دار له بمراكش ويفاضل بينها وبين عاصمة الخلافة الإسلامية ومركزها دار السلام (بغداد) ويرجح الكفة إلى مدينة مراكش وتدعوه المناسبة إلى تمجيد المدينة تمجيدا يجعلها أبرز مدن المعمورة، في عبارة مجازية تجعل من بقاع الأرض شخصا بشريا، بينما تجعل من مدينة مراكش وجها لهذا الشخص بإعتباره العلامة الدالة والمقدمة التي تتميز بالأولوية والصدارة، فيقول :

رعاك الله يا دار الكرام وجادك بالحيا صوب الغمام

ومتع فيك أعواما طوالا على نعم وخير مستدام

أرى مراكش الحسناء تزهى وحق لها على دار السلام

كأن الأرض شخص وهي وجه وأنت بوجهها وضح ابتسام[3]

يظل المكان شاهدا حسيا على متغيرات الحياة الإنسانية وما يحتدم فيه من صراعات الواقع. [4]

وإعجاب الشاعر بالأثر الموصوف جعل ذاته تنصهر فيه مع ذات الطبيعة الحية والجامدة لتخلق

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص137.

[2] نجاة المريني: . الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي ص 143.

[3] عبد الجواد السقاط:, ص 51./ الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ج 1 ص : 237.

[4] المكان في الشعر الأندلسي ص 37-38

واقعا مستحيلا يراه وحده دون أن يستطيع الآخرون رؤيته يقول :

فإذا أجلت اللحظ في جنباته يرتد وهو بحسنه محسور

وكأن موج البركتين أمامه حركات سجن صافحته دبور

فتدير من صفو الزلال معتقا يسري إلى الأرواح منه سرور

فهناك اللحظ وارتداده، والنفوس المتطلعة لهذا الجمال،والانتعاش الذي يسري في الأرواح ويظهر أنّ الشاعر كان يتمثل كل الصور التي يقدمها، فجاءت منسجمة متناسقة كما هي واضحة في ذهنه وخياله.

ومن أمثلة التشخيص ما وجد مكتوبا من أشعار بمجاري الماء بتلمسان يقول لسان الدين بن الخطيب: "قد تذكرت هنا، والشيء بالشيء يذكره ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبو تاشفين الزياني، وهي من بدائع الدنيا"

انظر بعينك بهجتي وسنائي وبديع اتقاني وحسن بنائي

وبديع شكلي واعتبر فيما ترى من نشأتي بل من تدفّق مائي

جسم لطيف ذائب سيلانه صاف كذوب الفضة البيضاء

قد حفّ بي أزهار وشي نمّقت فغدت كمثل الروض غبّ سماء[1]

ففي هذه المقطوعة تدعو الساقية النظر إلى بهجتها وسنائها وبديع اتقانهاوحسن بنائهاوإلى بديع شكلها وإلى الإعتبار من حسنها وإلى تدفق مائها الصاف كالفضة وقد حفت بها الأزهار فغدت كالروض .

جاء على لسان الرحالة " أبي عبد الله محمد العبدري" في رحلته عن مدينة تونس التي تعتبر معبرا نحو الديار المقدسة وهي إحدى المحطات في طريق الحجيج المغاربة نحو مهبط الوحي وعلى لسان المدينة :

[1] المقري :نفح الطيب ,ص 183.

أنا الغادة الحسناء فاق جمالها فقالت يمنيالا خطبت على زوج
إذا الغانيات ارتدن وصل بعولة فما بي ولا فخر إلى الزوج من حوج
أعادي إذا ما شئت ظبيا بقفره وأطرق نون اليم في ظلم الموج
وفي لمكدود الحجيح استراحة فهم يردوني الدهر فوخا على فوح
واني إلى البيت العتيق كسلم به يرتقى من في الحصص إلى الأوج[1]

يشخص الشاعر مدينة تونس بالمرأة الحسناء التي فاق جمالها فأعرضت عن الزواج وتفخر على لسانها بأنها مكان لاستراحة الحجيج.

2-1-2-التشبيه

من الأشكال الفنية التي يمكن للشاعر أن يترجم بها الأفكار والمعاني المجردة، ويحولها بطريقة أدبية يستمتع بها المتلقي بسماعها ويتجول في ثناياها باحثا عن الجماليات الفنية التي تكتنز فيها. [2] يقول ابن حمديس الصقلي في حديقة:

أسد كأن سكونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلولونها نارا وألسنها للواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه درعا فقدر سردها تقديرا[3]

تثيرالأسود النفس بالرغم من سكونها هذا التصوير الشعري يبين مهارة المعماري وقدرته على التجسيد الذي يكاد يجعل الأسود الموجودة بساحة القصر جقيقة توحي بالقوة والبأس والمهابة.

[1] . عبدالجواد السقاط:تجليات المدينة في الشعر المغربي ص 86 . مقتطف من كتاب الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ج2، ص 400. (من شعراء العصر العلوي ت 1363)
[2] الصورة الفنية في شعر ابن حمديس الصقلي رسالة ماجستير.
[3] ابن حمديس: الديوان، ص547.

2-2-المعجم الشعري للمكان المعماري

إن المكان في العمل الفني شخصية متماسكة، ومسافة مقاسة بالكلمات ولذا لا يصبح غطاء خارجياأوشيئا ثاويابل هوالوعاء الذي تزادد قيمتة كلما كان متداخلا بالعمل الفني والقصائدالتي تحسن استخدامه إنما تسجل جزء من تاريخيتة.

إن تبيان أثر المكان في البنى اللغوية والصرفية والنحوية والصورية والدلالية إضافة إلى تبيان أثره في التقويمات الجمالية وفي الشكل الإيقاعي أيضاً، سوف يفيد في تسليط الضوء على جملة من المسائل منها بيئة النص، والوعي المكاني فيه، ونسق القيم الجمالية المكانية، والمحتوى النفسي والاجتماعي للمكان في النص.... الخ.

تشكل اللغة الحركة الثانية في الشعر التي تتوازى بالضرورة مع المضمون فتشكل عالمه وتقدمه بصورة فنية. ممايعكس وحدة العمل الفني "فادراك الواقع ادراكا كليا يلغي بالضرورة عملية الفصل بين الشكل والمضمون". ومن سمات المعجم الشعري بروز اللون المحلي وذلك للتأثر بالبيئة الجغرافية والسياسية للمكان ونستطيع أن نلمس ذلك في الجانب النفسي والجمالي للمكان.

للغة دور بارز ومهم في الكشف عن جماليات المكان، فهي تزخر بطاقات هائلة تمكن من استغلالها في بناء المكان عند الشاعروالكشف عن جمالياته فيوحدالشاعر بين اللغة وصدق الإحساس بايحاءات تصويرية نفسية فالشاعر يحمله أراءه وأفكاره بواسطة اللغة المكثفة المعبرة عن المعاني وبذلك تكون لغة الشعر لغة إيحائية إشارية.

لمانقف عند لغة المدونة الشعرية الخاصة بفن العمارة في المغرب العربي ودراسة دلالاتها الحضارية وعلى قدرة أصحابها على تطويع اللغة ألفاظا وتراكيبا لخدمة الأغراض الشعرية وإبراز القدرة على استخدام الموروث اللغوي والتزود بذخائره، وعلى كسوة هذاالنتاج بدلالات جديدة تفرضهامقتضيات التطور.فكثيرة هي دواعي الوصف في هذا الباب، تتسع باتساع الحضارة وتختلف باختلاف أذواق الخلفاء وأهوائهم .

2-1-1-دلالات ألفاظ العمارة : الألفاظ هي مادة اللغة التي تصاغ بها الصور

الشعرية الفنية وتتفاوت الألفاظ الموظفة في تشكيل المكان بين القوة والرقة وبين الألفاظ التي تساهم في نقل حالة الحميمية أوالكراهية التي يتصف بها المكان فاللشاعر الدور في التحكم بألفاظه لتنسجم مع مايعبرعنه من ملامح لغوية متصلة بوصف المكان وصفا شعريا و تجسيده عبر صورفنية مختلفة.

هناك ألفاظ تتسم بالرقة والخفة ، تجعل القصيدة متناسقة المقاطع مكثفة المشاعر وماكان الشاعر يختار هذه الألفاظ الرقيقة إلا لعمق مايربطه بالمكان. وأخرى رشيقة موحية ينجذب نحوها المستمع ويقترب منها، دالة على الحركة والإيحاء وعلى قدرة المكان على التفاعل.

لفظة دار، قصر، مسجد كلها أشكال هندسية لها دورها في القصيدة العربية حسب أغراضها فهناك تداخل بين فني العمارة والشعر من حيث الألفاظ وبدأ هذا منذ العصر الأول لنضوج القصيدة فلهذه المفردات المعمارية دور في حالة الشاعر الإنفعالية وحيز فما كان في هذه الدار من حياة ومالهذه الدار من شكل ورسم يثير فيه اعجابا وشوقا أوما يثيره للبكاء عليها أو يدعوه إلى مدح بانيها فالدار مثلا متواجدة في العديد من أغراض الشعر العربي وتمثل تجربة عميقة على مر التاريخ.

المدونة الشعرية العربية تكشف عن تبعية الشعر للمشهد العمراني فلو قارنا بين عمارة الشعر وشعر الحقبتين الأموية والعباسية، لوجدنا فيها الكثير من الملامح المحاكية لبنوية العمارةيقول علي ثويني" لقد تبع الشعر عادة منظومات الفكر الإنساني وخطاباتها المختلفة بحسب الحقبة التاريخية والتطور الذي حصل عليها، وكم نجد تشابها بين حركة كل منهما" .

انصرف الشعراء إلى وصف الحواضر، وما يشخص فيها من مظاهر العمران الجديدفسجل الشاعر مظاهرالحضارة المادية للعمارة وظهر ذلك جليا في بعض قصائده وهو يرصد المعا لم العمرانية ويتتبع في كلامه عجائب الصنع، وحيطان الزجاج، والسقوف المذهبة التي ينعكس نورها فيغمر الظلام الحافل بدفق من الضياء. فكثيرا ما وقف الشاعر أمام هذه المظاهر الحضارية ينظر إليها بعين مندهشة ذاهلة أمام روعة التفنن في الزخرف والوشي والتنميق والترصيع، وإقامة الصروح. "وهي فوق ذلك كله أسباب مادية من حيث كون التطوراللغوي

انعكاسا غير مباشر للتطور الحضاري في مظاهره المتنوعة". " فتبدو براعة الشاعر الفنية في المزاوجة بين الألفاظ والمعاني، حتى نتمثل الصورة من خلال اللفظة وأكثروا من ذكر الرياض والحدائق والبرك والتنقل بين الدور والقصور.

*القصر: انتقال الشاعر من بيئة بدوية إلى بيئة متحضرة مثل دمشق وحلب وبغداد وسامراء أخذ بالمظاهر الجديدة من العمران وانصرف إلى رسمها صورا حسية دقيقة، كثيرة التفاصيل، متعددة الأصباغ ممهدة للإنتقال منها إلى تعظيم صاحبها والإتصال به فالقصر بمعناه الأوسع يحمل دلالات كثيرة ويتعدى ذلك إلى مفاهيم أوسع وأشمل فهو الوطن والكيان الذي يحمل الرمز والتاريخ والمطامح وهو رمز سيادة الدولة وعلامة قوتها ومركزها السياسي.

تدخل صور المسافة في نطاق الصور المبهرة القائمة على قياس المسافة سواء عمودياً أو أفقياً، طولاً أو عرضاً، ضمنياً أو تصريحاً، وفيها دلالات امتدادية مهمة معبرة عن امتداد مكاني صغير أوكبير أو عن رؤية مساحية تثير المتلقي وتضفي شكلا فضفاضا أكثرعلى الرؤية . فاستعمال أحرف المد في القافية يساعد على إبراز الإرتفاع فان توسل الشاعر بالحمام مثلا أظهر علو القصر.

فالشاعر ابن حمديس يشير إلى لمعان القصر وارتفاعه باستعمال عبارة توحي بالعلو والإرتفاع فلا يرتقي الراقي إلى شرفاته إلا بمعراج لكنه من اللحظات توكيدا لمنعته وعظيم صنعه و تعبيراً عن صورة أراد الشاعر تصويرها فيها إشارات خفية إلى علو منزلة ومكانة الموصوف.[1] فيقول :

وكأنه من درة شفافة تغشى العيون بشدة اللمعان

لا يرتقي الراقي إلى شرفاته إلا بمعراج من اللحظات[2]

كمايرسم الشاعر عبد العزيز الفشتالي صورة الأعمدة وإستقامتها والأشكال المثلثة المتدانية حيث يضفي على جمال الجماد من الجمال الإنساني فيستعمل القدود ويشير إلى البياض

[1] الصورة البصرية في قصائد شعراء كركوك ,دراسة في نماذج مختارة.

[2] ابن حمديس: الديوان، ص495.

باستعمال لجين الفضة.

معاني الحسن تظهر في المغاني ظهور السّحر في حدق الحسان
مشابه في وصفات الحسن أضحت تمت بها المغاني للغواني
بكل عمود صبح من لجين تكوّن في استقامة خوط بان
مفصّلة القدود مثلثات مواصلة العناق من التداني
تردّت سابريّ الحسن يزدي بحسن السابري الخسرواني[1]

نلتمس من خلال الأبيات التي سجلها الشاعر عبد العزيز الفشتالي حول النقوش خارج القبة الخمسينية بقصر البديع ارتفاع هذه القبة من خلال ماوظفه من ألفاظ توحي بذلك دنى قرص الشمس منها حتى صار لها قرطا ونيطت بها الجوزاء حتى صارت في عنقها سمطا ولاحت بأطواقها الثريا كما تحمل من ألفاظ البناء من نقش ونحت التيجان والقدود. [2] ومن إنشاء الكاتب البليغ عبد العزيز الفشتالي على لسان تلك القبة المذكورة

سموت فخر البدر دوني وانحطا وأصبح قرص الشمس في أذني قرطا
وصغت من الإكليل تاجا لمفرقي ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا
ولاحت بأطواقي الثريا كأنها نثير جمان قد تتبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لأنني جعلت على كيوان رجلي منحطا
حكت وقباب الماء في جنباتها سنا البدر يبدو من نجوم السما وسطا
اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها على جسمها الفضي نهرا بها لطا
توسمت فيها من صفاء أديمها نقوشا كأن المسك ينقطها نقطا
إذا اتسقت بيض القباب قلادة فانى لها في الحسن درتها الوسطا
تكنفنى بيض الدما فكأنها عذارى نضت عنها القلائد والريطا
قدود ولكن زادها الحسن عريها وأجمل في تنعيمها النحت والخرطا

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص141.
[2] جاء في نفح الطيب سميت بالخمسينية لأن فيها خمسين ذراعا.

نمت صعدا تيجانها فتكسرت قوارير أفلاك السماح بها ضغطا
فيالك شأوا بالسعادة ءاهلا بأكنافه رحل العلا والهدى حطا[1]

و في ارتفاع المسجد يستعمل الشاعر عبارات تدلل على ذلك حاكى السماء تطاولا

عجبا له من مسجد في الأرض قد حاكى السماء تطاولا في المفخر
لو لم يكن فلكا لما كانت به زنة الكواكب والثريا به المرمر

ومن عجائب هذا القصر نذكر أبوابه الخارجية والداخلية وساحاته المفرشة بالرخام وسقفه المزين بصور الحيوانات وبساتينه .

***الأبواب**

-أبواب المدن: مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط بها أسواق، ومساجد، ومسجد جامع، وأشجار، وأنهار عليها الطواحين، وهو نهر سطفسيف، وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر، ومقصد لتجارة الآفاق قال عنها صاحب الاستبصار :مدينة "عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أولية شئ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وهي في سفح جبل أكثر شجره الجوز".[2] وصفت المدينة وذكرت مكوناتها بالإضافة إلى السور الذي يحيط بالمدينة:" لها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة : باب الحمام، وباب وهب، وباب الخوجة، وفي الشرق : باب العقبة، وفي الغرب : باب أبي قرة.جمعت مدينة تلمسان بين سحر الطبيعة والتاريخ والمعمار، فكانت بمثابة المصباح الذي تحلق حوله فراشات الشعر والإبداع. وفيها يقول الثغري التلمساني[3] قصيدة مطولة:

أيها الحافظون عهد الوداد جددوا أنسنا **بباب الجياد**
وصلوها أصائلا بليال كلآل نظمن في الأجياد
في **رياض متضدات** المجاني بين تلك **الربى** وتلك **الوهاد**

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص146-147.
[2] مجهول، الاستبصار، ص176.
[3] أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي، ديوان الثغري التلمساني، جمع وتحقيق، نوار بوحلاسة، جامعة منتوري قسنطينة ص

وبروح مشيدات المباني باديات السن **كشهب بوادي**
رق فيها النسيم مثل نسيبي وصفا النهر مثل صفو ودادي
رزها الزهر والغصون تثنتا وتغنت عليه ورق شوادي
وانبرى كل جدول كحسام عاري الغمد سندسي النجاد
وظلال الغصون تكتب فيه أحرفا سطرت بغير مداد
ياحيا المزن حبها من بلاد غرس الحب غرسها في فؤادي[1]

يستهل الشاعر قصيدته بذكر أحد أبوابها الذي كنى عنه بباب الجياد وقد سحره جمال رياضها بين الربى والوهاد من جمال طبيعي لينتقل إلى وصف مبانيها والتي اعتبرها بروجا مشيدة المباني لفخامتا باديا للعيان كالشهب وهذا مايوحي بمعمار المدينة ويعود الشاعر مرة أخرى إلى وصف الطبيعة المحيطة بهذه العمارة فيحن إلى نسيمهاوزهرها وجداولها مايجعلنا نستشف العلاقة الوجدانية التي تجمع بين الشاعر ومدينته تلمسان.

للثغري قصيدة أخرى يقول فيها :

قم مبصرا زمن الربيع المقبل تر ما يسر المجتنى والمجتلى
وانشق نسيم الروض مطلولا وما أهداك من عرف وعرف فاقبل
وانظر إلى زهر الرياض كأنه در على لبات ربات الحلى
في دولة فاضت يداها بالندى وقضت بكل منى لكل مؤمل
بسطت بأرجاء البسيطة عدلها وسطت بكل معاند لهم يعدل
تاهت تلمسان بدولته على كل البلاد بحسن منظرها الجلي
راقت محاسنها ورق نسيمها فحلا بها شعري وطاب تغزلي
عرج بمنعرجات **باب جيادها** وافتح بها باب الرجاء المقفل
ولثغد للعباد منها عدوة تصبح هموم النفس عنك بمعزل
وبكهفها الضحاك قف متنزها تسرح نفوسك في الجمال الأجمل

[1] الثغري: الديوان، ص55.

وتمش في جناتها ورياضها واجنح إلى ذاك الجناح المخصل
تسليك في دوحاتها وتلاعها نغم البلابل واطراد الجدول
وبربوة العشاق سلوة عاشق فقنت وألحاظ العزال الأكحل
بنواسم وبواسم من زهرها تهديك أنفاسا كعرف المندل
واعمد إلى الصفصيف يوما ثانيا وبه تسل وعنه رأبا فاسأل
وإذ تراه من الأزاهر خاليا أحسن به عطلا وغير معطل
ينساب كالأيم انسيابا دائما أو كالحسام جلاه كف الصقيل
فزلاله في كل قلب قد حلا وجماله في كل عين قد حلى
واقصد بيوم ثالث فوارة وبعذب منهلها المبارك فنهل
تجرى على در لجينا سائلا أحلى وأعذب من رحيق سلسل
واشرف على الشرف الذي بازائها لثرى تلمسان العلية من عل
تاج عليه من المحاسن بهجه أحسن بتاج بالبهاء مكلل[1]
وإذا العشية شمسها مالت فمل نحو **المصلى** ميلة المتمهل
الفسيح مجاله أجل النواظر في العتاف الحفل
فلحلية الاشراف كل عشية لعب بذاك الملعب المتسهل
ورد كأن أديمه شفق الدجى أو أشهب كشهاب رجم مرسل
أو من كمثت لا نظير لحسنه سام معم في السوابق مخول
وأحمر قاني الأديم كمسجد أو أشقر يزهو بعرف أشعل
أو أدهم كالليل إلاّ غرة كالصبح، بورك من أغر محجل
جمع المحاسن في بديع شياته مهما ترق العين فيه تسهل
فإذا دنق شمس الأصيل لغزها فالى تلمسان الأصيلة فادخل

[1] أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي، ديوان الثغري التلمساني، جمع وتحقيق، نوار بوحلاسة، جامعة منتوري قسنطينة. ص180-801.

من باب ملعبها لباب حديدها متنزها في كل ناد أحفل
وتأن من بعد الدخول هنيهة واعدل إلى قصر الإمام الأعدل
فهو المؤمل والديار كناية والسر في السكان لا في المنزل
تاهت تلمسان بحسن شبابها وبدا طراز الحسن في جلبابها
فالبشر يبدو من حباب ثغورها مبتسما أو من ثغور حبابها
قد قابلت زهر النجوم بزهرها وبروجها ببروجها وقبابها
حسنت بحسن مليكها المولى ألي حمو الذي يحمي حمى أربابها
ملك شمائلة كزهر رياضها ونداه فاض بها كفيض عبابها[1]

يستهل الثغري التلمساني قصيدته هذه المطولة بوصف طبيعة تلمسان الخلابة ويمدح ولي دولتها التي بسط بها العدل فكانت قبلة للشاعر يتغزل بمفاتنها بدء بباب الجياد وهوباب المدينة الذي يفتح به باب الرجاءكما يقول في البيت الثامن من قصيدته.كما يذكر الشاعر بعض المواضع بها ككهفها وربوة العشاق وواد الصفصيف كما يصف فوارتها بوصف رائع,ويذكر مصلاها وملعب الخيل بها ويعود الشاعر مرة أخرى ليذكر بابين أخرين للمدينة هما باب الملعب وباب الحديد ليذكر قصر مليكها أباحمو موسى الزياني ليفخر بقصره الذي ضاها بقبابه وبروجه كوكب الزهرة.تنوعت الأماكن والمواضع في قصيدة الثغري وهذا مايدل على الرقي والتطور المعماري بالمدينة وعلى جمالها الأخاذ الذي جعل الشاعر يتغنى بمحاسنها منبهرا بجمالها.

أبو المكارم منديل قال في مدينة تلمسان.

أيها العارفون قدر الصبوح جددوا أنسنا **بباب الفتوح**
جددوا ثم أنسنهم جدوا يسرح الطرف مجال فسيح
حيث شابت مفارق اللوز نورا وتساقطن كالجين الصريح
وبدا منه كلما أحمر يحكى شفقا مزقته أيدي الريح
و كأن الذي تساقط منه نقط لحن من دم مسفوح

[1] الثغري: الديوان، ص801.

وإذا ما وصلتم **للمصلى** فلتحلوا بموضع الشيدح
وبطرفورها فطرفوا لكيما تبصروا من ذراه كل سطوح
ولتقيموا هناك لمحة طرف لتردوا به ذماء الروح
ثم حطور حاكلم فوق نهر كل في وصفه لسان المديح
فوق حافاته حدائق خضر ليس عنها العاشق من نزوح
وكأن الطيور فيها قيان هتفت بين أعجم وفصيح
وهي تدعوكم إلى قبة الجو ز هملوا إلى مكان مليح
فيه ما تشتهون من كل لون مغلق في الكمام أو مفتوح
وغصون تهيج رقصا إذاما سمعت صوت كل طير هدوح
فأجيبوا دعاءها أيها الربع وخلوا مقال كل نصيح[1]

يذكر الشاعر أحد أبواب المدينة والمعروف بباب الفتوح وأبواب المدينة تدل على حصانتها ومنعتها كما يذكر مصلاها وطبيعتها الخلابة التي ميزتها أشجار اللوز.

-أبواب القصور: ومما نقش بأحد أبواب قصر البديع ماجاء في قصائد الفشتالي " وفيه من الأشعار المرقومة في الاستار والأبيات المنقوشة في الخشب والزليج والجبس ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويبهر العقول وعلى كل قبة ما يناسبها " يقول الشيظمي مما نقش على أحد أبواب البديع[2]:

باب أتى كبراعة استهلال وكأنما القصر القصيد التالي
ولذاك سمي بالبديع وجاء بالت تجنيس والإغراق والإيغال
وأتى التمام فقلت في تاريخه بيتا بلا عقد ولا إشكال
صرح على تقوى من الله انمى في طالع للسعد والإقبال[3]

[1] المقري :نفح الطيب، ج5، ص 260.
[2] السملالي الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام ص 77
[3] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص142.

وقال بعض الكتاب مما نقش بعضادتي من الأبواب :[1]

يا ناظري بالله قف وتأملن وانظر إلى الحسن البديع الأكمل

وإذا نظرت إلى الحقيقة فلتقل: السر في السكان لا في المنزل

وقال الكاتب البليغ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالى مما نقش في بعض الأبواب:

هذى وفود السعد نحوى تنتمي وطلائع البشرى لبابى ترتمى

وسمت إلى عرفان عرفك مثل ما يسمو الحجيج إلى سقاية زمزم

خصت بمصراع السعود بشائر لاحت على الشرفاء مثل الانجم

أولى بصنع أن تقول ولا تبل فبديع أحمد جنة المتنع[2]

قال الفشتالى لما عرضتها عليه استحسنها إلا أنه كره لفظه الجنة وتغير عليها كثيرا.

ومما نقش على أحد أبواب قصر البديع من شعر علي بن منصور الشيطمي[3]:

الحسن لفظ وهذا القصر معناه ياما أميلح مرآه وأبهاه

فهو البديع الذي راقت بدائعه وطابق اسم له فيها مسماه

صرح أقيمت على التقوى دعائمه ودلّ منه على التاريخ مغناه

ولاح أيضا وعين الحفظ تكلأه تاريخه من تمام قل هو الله[4]

إن شئت تاريخ إكمال البديع فقل إيوان أحمد إيوان السعادات

يا مليكا ملكه فيمن ملك كطلوع الفجر من بعد الحلك

ثم هذا القصر فاسكنه على حسن حال بدوام الملك لك

---

[1] المرجع نفسه، ص 76-77.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص141.

[3] الشيظمي: هو الوزير الأديب أبو الحسن علي بن منصور الشيظمي

[4] الرجع نفسه ص 142/ كتاب الداني بالأدب العربي في المغرب الأقصى ج 3 ص 677. (عبد الجواد السقاط ص 65.).

هيف هو أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، ولد بدانية سنة 460 هـ، ورحل إلى المشرق وهو ابن عشرين عاما، قصد مصر وأقام بها عشرين عاما، يطلب العلم فتفنن في الطب والأدب والعروض والتاريخ، وسجن أثناءها، وبعد إطلاقه رحل عنها إلى الإسكندرية، ثم عاد إلى بلاد المغرب رحل بالمهدية في حدود الخمسمائة واتصل بأميرها يحي بن تميم الصنهاجي، وابنه علي بن يحي، فالحسن بن يحي آخر ملوك الصنهاجيين بها ومات فيها سنة : 529 هـ.

مرة الخدين علكومة الردفين مكحولة العينين والشعر[1]

حملت نقوش أبواب القصر قيمة جمالية وتنوعت فيها مواضيع الأبيات المنقوشة فلم تكن في وصف الأبواب في حد ذاتها وانما جاءت للتعرف بالقصر وبانيه ومكانته فهي أشبه باللفتات.

وهذا ابن حمديس يصف الأبواب الخارجية المزينة بالأسود :

عضت على حلقاتهن ضراغم فغرت بها أفواهها تكسيرا

فكأنها لبدت لتهصر عندها من لم يكن بدخوله مأمورا[2]

ويقول في الأبواب الداخلية المصفحة بالتبر:

مصفح الأبواب تبرا نطروا بالنقش فوق شكوله تنظيرا

تبدو مسامير النظار كما علت تلك النهود من الحسان صدورا[3]

صورابن حمديس أبواب القصر الخارجيةالمزينة بالأسود وعليها ايحاء بالتخويف والمهابة بينما كانت الأبواب الداخليةمصفحة بالتبر تزينها نقوش الأشكال المتناظرة بادية لنظارها مشبها اياها بنهود الحسان فجمع الشاعر في قصيدته بين صورتي المهابة والتخويف من الخارج للأعداء وصورةالحسن والجمال من الداخل .

***الساحات:** وقال ابن حمد يس وهو يحدثنا عن الساحات المفرشة بالرخام :

بمرخم الساحات تحسب أنه فرش المها وتوشع الكافورا

ومحصب بالدر تحسب تربة مسكا تضوع نشره وعبيرا[4]

يخص ابن حمديس في هذين البيتين من قصيدته ساحات القصر المفروشة بالرخام ويشبهها بفرش المها ويشبه حصباءها بالدر وتربتها بالمسك تنشر عبيرها وكأن الشاعر يشبه ساحات القصر بالجنة لذكره الكافور والمسك فمهمة الشاعر في مثل هذا الوصف أن يلتقط وجه الشبه

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص141.

[2] ابن حمديس: الديوان، ص546.

[3] المصدر نفسه، ص546.

[4] المصدر نفسه، ص546.

الحسي بين أمرين مختلفين، فيصور الأشياء جامدة ومتحركة في إطارها المكاني والزماني".

***السقوف**: بين ابن حمد يس مهارة الفنانين الحماديين الذين قاموا بتنميق هذا السقف فقال:

وضعت به صناعة أقلامها فأرتك كل طريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيه ليقة مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنما للزورد مخرم بالخط في ورق السماء سطورا
وكأنما وشوا عليه ملاءة تركوا مكان وشاحها مقصورا
وإذا نظرت إلى غرائب سقفه أبصرت روضا في السماء نظيرا
وعجبت من خطاف عسجده التي حامت لتبنى في ذراه وكورا[1]

أشاد الشاعربراعة ومهارة الصناع الحماديين وبالغ في تمكنهم من تصوير كل طريدة على جدران القصر. وعلى سقوفه المزينة بصور الحيوانات وعناصر تزيينية ممثلة في نقش وتزويق وتشجير بالرخام وكلها من فنيات العصر.

***الستائر**: هي ستائرجعلت لتستر بها النواحي الأربع من القباب والدور ، وتسمى هذه الأستار عند أهل المغرب بالحائطي. " وهذا مايذكرنا بما كان يقوم به الشعراء الجاهليين بتعليق قصائدهم على ستور الكعبة الشريفةومما طرزت به الأستار المذهبة المحيطة بالقبة الخمسينية بقصر البديع وهي أستارمحكمة الصنعة ففي الجهة الأولى[2]:

متع جفونك في بديع لباس وأدر على حسن حميا الكاس
هذى الربا والروض من جرعائها ما أغتذى بالعارض البجاس
أنى لروض أن يروق بهاؤه مثلى وأن يجرى على مقياس
فالروض تغشاه السوام وإنما تأوى إلى كنفى ظباء كناس[3]

[1] ابن حمديس: الديوان، ص546-547.
[2] المقري :نفح الطيب، ص 183
[3] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص140.

وفي الجهة الثانية

من كل حسنا كالقضيب إذا انثنى تزري بغصن البانة المياس
ولقد نشرت على السماك ذوائبي ونظرت من شزر إلى الكناس
وجرت ذيلي بالمجرة عابثا فخرا بمخترعي أبي العباس
ما نيط مثلى في القباب ولا ازدهت بفتى سواه مراتب وكراس

وفي الجهة الثالثة

ملك تقاصرت الملوك لعزه ورماهم بالذل والإتعاس
غيث المواهب بحر كل فضيلة ليث الحروب مسعر الأوطاس
فرد المحاسن والمفاخر كلها قطب الجمال أخو الندى والباس
ملك إذا وافى البلاد تأرجت منه الوهاد بعاطر الأنفاس

وفي الجهة الرابعة

وإذا تطلع بدره من هالة يعشى سناه نواظر الجلاس
أيامه غررا تجلت كلها أبهى من الأعياد والأعراس
لا زال للمجد السني يشيده ويقيم مبناه على الآساس
ما مال بالغصن النسيم وحببت درر الندى في جيده المياس
إن شئت تاريخ إكمال البديع فقل ديوان أحمد ديوان السعادات[1]

تعد ظاهرة تدوين الشعر على االمساحات الأربعة للمنشآت العمرانية فنجدها في الدور كما في القصور فالشاعر أراد أن يحفظ الأثر الشعري على الأثر العمراني فيجتمع فني الشعر والرقش إقامة الجدران وزخرفتها والمغزى الجمالي لظواهر الأبنية وهذه السمات جميعا كان لها أهمية حاسمة لدى العيش في محيط إسلامي البناء والتمتع به.

ومما قاله لسان الدين بن الخطيب في النفاضة (دور خشبي بدار بمكناسة الزيتون) في الأبعاد الأربعة للمنزل:" قرأت بالدور الخشبي في الدار التي نزلت بها بمكناسة الزيتون أبياتا

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص140.

منقشة استحسنتها لسهولتها فأخبر في أنها من نظمه وأنشدني كثيرا من شعره[1]. "وقال :

انظر إلى منزل متى نظرت عيناك يعجبك كل ما فيه
يبتئ عن رقعة لمالكه وعن ذكاء و الحجا لبانيه
يناسب الوشي في أسافله ما يرقم النقش في أعاليه
كأنه روضة مد بّحة جادلها وابل بما فيه
فأظهرت للعيون زخرفها ووافقتها على تحلّيه
فهو على بهجة تلوح به ورونق للجمال بيدية
يشهد للساكنين أنّ لهم من جنة الخلد ما يحاكيه[2]

وعلى الجهة الثالثة :

ملك تقاصرت الملوك لعزّه ورماهم بالذل والإتعاس
غيث المواهب بحر كل فضيلة ليث الحروب مسعّر الأوطاس
فرد المحاسن والمفاخز كلها قطب الجمال أخو الندى والباس
ملك إذا وافد البلاد تأرّجت منه الوهاد بعاطر الأنفاس[3]

وعلى الجهة الرابعة :

وإذا تطلّع بدره من هالة يعشي سناه نواظر الجلاس
أيامه عددا تجلت كلّها أبهى من الأعياد والأعراس
لا زال للمجد السنيّ يشيده ويقيم مبناه على الأساس
ما مال بالغصن النيم وحببت درر الندى في جيده الميّاس[4]

[1] أي نظم الجنان المذكور مغربي من مكناسة الزيتون، وهو الشيخ الفقيه العدل الأديب الأخباري المشارك، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي، الجنان، من أهل الظرف والانطباع والفضيلة، كاتب عاقل ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم، له تصنيف حسن في ثلاث مجلدات سماه " المنهل المورود، في شرح المقصد المحمود " .

[2] المقري أحمد . نفخ الطيب، ج8. ص 182.

[3] المصدر نفسه، ص 183

[4] المصدر نفسه ص 184.

ومما كتب في بعض مباني الوزير العلامة الأجلّ عبد العزيز الفشتالي رحمه الله تعالى:

أجل المعلّى من قداح سروري وأدر كؤوس الأنس دون شرور
خلعت على عطف البهاء محاسني فكست به الأفاق ثوب جبور
وتناسق الوشي المفوّف حلّتي نسق الشذور على نحور الحور
شأو القصور قصورها عن رتبة لي بالسنا الممدود والمقصور
في المبتنى المراكشي وأفقه أزرى على الزواء والخابور
أعلى مقامي البارع الأسمى الذي قد حاز سبق النظم والمنثور
فإذا أقلّ بنانه أقلامه نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخو الجلالة كاتب سرّ الخليفة أحمد المنصور
لا زال في يمين وأمن شدت ورق بروض بالندى ممطور[1]

يرمى المبنى باتجهاته الزخرفية وحسن صنعته وابداع تركيبه وبنائه على الشعر، فيميل إليه محاكيا معجبا فتنعكس على صفحات الشعر رموز الأشكال البنائية وزخارفها البديعة فيتأسلب الشعر بالأسلوب ذاته ويتجه إلى المغالاة في زخرفة اللفظ ويبالغ في استخدام أنواع الفنون البديعة وتخف موسيقاها لتصبح أكثر رشاقة في حركة راقصة صاعدة هابطة مع الأشكال الهندسية المبهرة للمباني الإسلامية.

3-حقل الصور اللونية:

يسعى الشاعر لتحقيق التكامل بين نفسه وبين الأشكال الأساسية للعالم الطبيعي والإيقاعات الحيوية للحياة فيفتت أشياء الوجود الواقعة ويفقدها وحدة تماسكها البنائي في منطق المكان والزمان ويبقي على صفاتها الأساسية ويتخذها منطلقا للنفاذ من الرؤية البصرية إلى الرؤية الشعرية فيقع على الحركات الخفية التي تمثل رحلة العصر في الجوامد يستكشفها عن طريق الشعور الباطن ولايعبر عنها كما هي.

تتعامل الصورة مع المحسوسات البصرية المرئية فيرى الناقد كمال الحريري أن " الشعر تمثيل

[1] المقري أحمد . نفخ الطيب، ج8.ص 184..

وتصوير قبل أن يكون لفظا وكلاما مزوقا وكما تعجبنا دقة الرسام حينما يبرز الأضواء والظلال والألوان والأشكال لصورة من الصور فكذلك تعجبنا يقظة حواس الشاعر حين يصور لنا في منظومه وأبياته ما يرسمه الرسام بريشته وألوانه".

توظيف اللون في الفن بوجه عام يندرج ضمن التعامل الجمالي مع الحياة، إن اللون لايؤثر على قدرتنا في التمييز بين الأشياء فقط بل ويغيرمن مزاجنا وأحاسيسنا، ويؤثر في تفصيلاتنا وحيويتنا الجمالية بشكل يكاد يفوق تأثير أي بعد آخر يعتمد على حاسة البصر"

اللون مثير حساس للعين البشرية بما يحتويه من قابلية فيزيائية موجية وما يتسبب به من أثر عصبي ونفسي في عين الإنسان الذي يتوتر أمام صورة مرئية مثيرة فضلا عن كونه من الوسائل الفنية المساعدة في عملية التراسل بين المرسل والمرسل إليه بالنظر للحوافز التي تزخر بها من حيث الدلالات والقدرات الإيحائية لذلك يستلهم منه الأدباء والشعراء قيما تعبيرية هامة في عملية نتاجهم الأدبي والفني وعليه يكون "الشعر تصورات تستمتع الحواس باستحضارها فالألوان والأشكال الملمس والرائحة.. تتداخل في بناءالصورة الشعرية.

يلون الشاعر قصيدته كما يلون الرسام لوحته الفنية عن طريق اللغة التي هي وسيلته في إيصال أفكاره وصوره، ولا ننسى أهمية اللون في تحقيق الاسترخاءأوالتوتر النفسي لمتلقي العمل الأدبي أو الفني بالنظر لما يتسبب به من آثار نفسية مؤكدة.

تتنوع الألوان بتنوع الأماكن فتصبح ألوانا طبيعية جميلة.[1] فتتداخل ألوان الأشياء وأشكالها في الصورة الشعرية لتطالعنا الحقيقة شيئا فشيئا .

أفاد الشاعر في رسم صوره الشاعرية والخيالية الكثيرة من الصورة الضوئية بمكوناتها العديدة ماشكلت في مجملها الصورة، فهي أولا على اتصال وعلاقة وثيقة بكل ما يشع ويعد ضوءاً وخاصة الألوان المشعة كالأبيض والأحمر والأصفر والأخضر الفاتح، فضلا عن علاقة أكيدة بالكواكب والأجرام السماوية التي تصدر الأضواء والإشعاع اللوني إلى جانب النجوم.

وتشبه بعض المشاهد بلوحة شفافة الألوان والخطوط، ذلك لتلونها بالألفاظ الرقيقة التي

[1] ينظر الصورة البصرية في قصائد شعراء كركوك:دراسة في نماذج مختارة.

اختارها الشاعر لإحداث الأثر التواصلي بينها وبين المكان فهذا ابن حمديس يوظف الضوء بتشبيه قصر المنصور بالدرة الشفافة الشديدة اللمعان .

فيقول : وكأنه من درة شفافة تغشى العيون بشدة اللمعان

لم يصورالشعراء العمارة بصورتها المادية الجامدة فحسب بل صوروها بكل ملحقاتها و كل مايحيط بها من طبيعة أدخلت البهجة والحياة إليها بكل لوازمها فاشترك في بناء صورتها الفنية كل العناصر الحركية والصوتية واللونية.وفي وصف البساتين يقول في القصيدتين اللتين خصصهما لقصر المنصور :

وبديعة الثمرات تعبر نحوها عيناي بحر عجائب مسجور
شجرية ذهبية نزعت إلى سحر يؤثر في النهي تأثيرا

وقال في قصيدة أخرى :

في جنة غناء فردوسية محفوفة بالروح والريحان
وتوقدت بالخمر من نارنحها كأنما خلقت من النيران
وكأنهن كرات تبر أحمر جعلت صوالجها من القض
ان فاخر الأتراج قال له : أزدجر حتى تجوز طبائع الإيمان
لي نفحة المحبوب حين يشمنني طيباء ولون الطيب حين ترا

وقال في شقيق النعمان يقول ابن رشيق

رأيت شقيقة حمراء باد على أطرافها لطخ السواد
يلوح بها كأحسن ما تراه على شفة الصبي من المداد[1]

و يصف ابن حمديس الماء حال تدفقه من الشاذروان:

والماء منه سبائك من فضة ذابت على دوحات شاذوران
كأنما سيف هناك مشطب ألقته يوم حرب كف جبان

من خلال قصائد العمران يضفي الشاعر مسحة لونية على موصوفاته بتوظيف الألوان المذهبة

[1] ابن رشيق : الديوان، ص 66.

والفضية التي كثيرا مايرتبط بلون الماء واللون الأحمرالمستقى من ألوان الأزاهير فعلى سطح الأرض انعكاس الأضواء على سطح الماء، والأضواء الصناعية الأخرى من إشارات ضوئية وأضواء الشوارع والمحلات والأبنية وغيرها فهي كلها تشكل وتؤلف المنظومة الضوئية للصورة [1].

ويقول أيضا في مسجد:

فكأنما اللبن المشيد بناءه حجر من البهت الجذيب الصور
قامت زوايا خطوطه في وضعها فحسنه شكل المربع مخبر
فتراه أصفرا ناقعا في أحمر قان في أبيض ناصع في أخضر
روضا تخلخل فضة من مائه متقنعا بقناع نور أزهر

يبين الشاعر من خلال وصفه للمسجد طبيعة اللبن المشيد به وشكله المربع كما يجمع بين ألوان مختلفة فمنها الأصفر الناقع والأحمر القاني في أبيض ناصع في أخضر فيشبهه بالروض ماؤه فضة ويقول في منبر يشبهه بزنجية وهذا دلالة على اللون الأسود:

تحيي النفوس تنزها في شكله من حسن بهجته وذاك المنبر
فكأنه سوداء زنجية غدت وعليها حلى من نجوم زهر
وسط المساحة قبة مرفوعة من فوق أبهى قوائم من مرمر
خود تجلى على الغلائل سوقها مخصورة من غيد آل الأصفر

4-حقل الصورالصوتية:

التناسق البديع لموسيقى الشعر العربي في أشكاله المتكررةالمحسوبة بدقة ونظام تتداخل مع فلسفة البناء المعماري أو فن العمارة ومايقوم به المصمم من حساب الحيزوالفضاء والمساحات .

بأسلوب البناء المتراكب في أنسقة جميلة لا نشاز فيها وما يحققه البناء من تعبير عن فكرة المصمم وفلسفته وايحاءته من خلال نسق معماري فريد يعكس احساسا بالجمال بايقاعاته البنائية من سكون وامتداد أو فراغات وامتلاءأو دوران وتربيع وتثليث. فتتداخل معه ايقاعات الشعر بتفعيلاتها المنظمة ذات الفضاءات الصوتية التي تملأ الحيز المكاني والنفسي وما تبعثه من

[1] ابن حمديس الصقلي:الديوان :ص 494-496

ايحاءات وماتشير إليه من رموز.

أضفى الشاعرابن حمديس الصقلي صورة صوتيةعلى قصيدته في وصف قصر المنصوربجاية بذكر حيوانات القصر من أسد وطيور وحيات بانطاقها فأبدع صانع البناء إنشاءها بما يشبه أصواتها الحقيقية وتفوق في تصوير هذا الصنع حتى فخر فيها الجماد على الحيوان حين صور الأسد وهي ترمي الماء من أفواهها فصارصوت خرير الماء داخل أجوافها زئيرا لها.

وضراغم سكنت عرين رئاسة تركت خرير الماء فيه زئيرا

فكأنما غشى النضار جسومها وأذاب في أفواهها البلورا

وعند حديثه عن الطيور جمع بين صورة سكوتها وأشار لها بلفظة (الخرس) وهي الحالة الطبيعية لجماد التماثيل وصورة إصدارها صوت التغريد والمياه تمربداخلها فتشكل صوت الصفير. ومما يضفي صورة صوتية يتخيلها المتلقي إلى جانب الأسود الطيور فقال:

من كل واقعة ترى منقارها ماء كسلسال اللجين نميرا

خرس تعد من الفصاح فأنشدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا

فلم يكتف الشاعر بتصوير الأصوات ونسبتها لحيوانات القصر بل صور سكوتها ومايمنحه للمكان من سكون وخشوع وبلاغة لأن في السكوت بلاغة وقابل هذه الصورة بصورة الفصاحة والبيان إذا تكلمت وتبرز مقدرة الشاعر الفنية في مدى قدرته على التشكيل المكاني لخلق حالة من التوافق بين الذات والوجود الخارجي، وفي إستخدامه الصورة المكانية و استغلاله الصور الواقعة في المكان كالمشاهد الطبيعية. " وحتى الأصوات تمنح لونا للفراغ، وتضفي نوعا من الصوت المجسد عليه، ولا شيئ كالصمت قادر على خلق شعور بالفراغ اللامتناهي ' فغياب الصوت يجعله نقيا للغاية "[1]

ويقول في قصيدة أخرى:

وقس الطيور الخاشعات بلاغة وفصاحة من منطق وبيان

[1] حسني محمود :الضفة الأخرى دراسة في الأدب والنقد ، دار وائل للنشر عمان ط1 2008 ص340. "رسالة واسيني ص211"

فإذا اتيح لها الكلام تكلمت بخرير ماء دائم الهملان
كأن صانعها السيد يصنعه فخر الجماد بها على الحيوان
أوفت على حوض لها فكأنها منها إلى العجب العجائب رواني

ثم انتقل إلى وصف الحيات والحيتان فقال :

وكأنما الحيات من أفواهها يطرحن أنفسهن من الغدران
وكأنما الحيتان إذ لم تخشها أخذت من المنصور عقد أمان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5-تصوير مظاهر الطبيعة المحيطة بالعمارة

الطبيعة مصدررئيسي للصورالشعرية وهي منبع الرموز والصور الجديدة في بنيتها ودلالتها يتفاعل معها الشاعر في بلورة ابداعه فعناصرها الأربعة الماء والهواء والأرض والنار مجتمعة تعطي صورة ينشأمنها التذوق والتفرد "إن العودة إلى الطبيعة هوعودة إلى الفطرة والذات"

وهي عنصر أساسي من عناصر التشكيل الفني للصورة الشعرية الوصفية إذ تعتمد على "وصف الأشياء كما تبدو للشاعر، لا كماهي في حقيقتهاوبلونها ليس في أبعادها العادية ولكن ينظمها في ألوان، ويراها من خلال الوسط الخيالي الذي صنعته الأحاسيس "[1]

لقد أقبل الشاعر الأندلسي " مع ثقافته الشعرية على الطبيعة فتأملها وأمعن التأمل ثم استخرج من المعاني أروعها ونظم من الأخيلة أجملها ولهذا يقرأ الإنسان سلطان الطبيعة على النفس، تأسر البصر بعض أزاهيرها التي تمنح الحرية للنفس"[2] إنه ارتباط روحي بالمكان ملك على الشعراء شغافهم واتخذوا منه ملجأ وملاذا للذات يسكبون فيه الهموم ويأخذون منه راحة النفس سكن الروح.

يتوسل الشاعر لتبليغ صوره إلى منابع كونية خارجية وكما جرت عادة الشعراء أن يجعلوا البيئة فضاءلإنفعالاتهم البشرية ومستندا قويا لمذاهبهم في الحياة وهي عادة العرب في الجاهلية والإسلام ثم زاد هذا الأمر رسوخا مع الشعر الأندلسي كما أشاد شوقي ضيف بابن خفاجة الذي أحال الطبيعة من حوله إلى صور ووجوه ناطقة.

كانت الطبيعة أهم ماجذب أنظارالشعراء الوصافين وخاصة في البيئة الأندلسية وبذلك احتلت الطبيعة مكانة بارزة في الأدب الأندلسي فنظموا في الرياض والأنواروالحدائق والأزهاروقد تعلق كل شاعر بطبيعة موطنه وسحر مناظرها.

وقد ضرب شاعر المغرب العربي بسهمه أيضا في هذا المجال، وفتن بالرياض والزهور والنوريات وبرك المياه، وإن لم يضاه الشاعرالأندلسي من حيث الكم وفي اختلاف طبيعة المغرب عن

[1] رجاء عيد : القول الشعري ,ص 43.

[2] سيد نوفل :شعر الطبيعة في الأدب العربي ,دار المعارف, ص237.

الأندلس، بيد أنه يوجد من الشعراء من رسم للطبيعة لوحات رائقة بل ناطقة تعكس قدرته هو الأخر وتفوقه في هذا المجال. يدخل المكان بكثافة عالية في الوصف ونقصد به" وصف الجمال الطبيعي للمكان والذي يخلق إمكانية نفسية وفكرية للعلاقة بين المكان والشعر يذهب جيرار جينت إلى أن" العمارة هي فن يتعامل مع الحيز بامتياز"[1]

لا ترسم الصورة دون بقعة حية يعيشها الشاعر حيث يتفاعل المكان مع الإنسان لذلك يقول حازم القرطاجني "فقلما برع في المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة، ولا في الألفاظ لم ينشأ في بقعة فصيحة.... ".

وعلى غرار أوصاف الأندلسين في إنطاقهم للأزهار، نجد مقطوعة للشاعر الأيادي يصف بستانا في صورة شعرية رائعة يقول فيها :

ونم بالروض خفق الرياح واقتدح الشرق زناد الصباح
وأخجل الورد شعاع الضحى واتيست فيه ثغور الأقاح
وقام في الدوح لنعى الدجى حمائم تطربنا بالصياح
مذ ولد الصبح ومات الدجى صاحت فلم تدر غنى أم نواح
ويوم دجى حجبت شمسه وأشرقت في ليلة شمس راح
فما ظننا الصبح إلاّ دجى ولا حسبنا الليل إلاّ صباح[2]

وهذا ابن رشيق يقول في وصف زهر النارنج:

ودوحة نارنج بهتنا بحسنها وقد نشرت أغصانها للتأوّد
ونارنجها فوق الغصون كأنّه نجوم عقيق في سماء زبرجد[3]

ومن بين الأماكن التي جذبت أنظار الشعراء وفتحت قرائحهم الأنهار فأكثروا من وصفها متأملين ما فيها من جمال وصفاء.

[1] جيرار جنيت :عتبات ص 45.
[2]. طه على خليفة الحجازي :أدب القيروان في عهد الأغالبة و الفاطميين ,ص 55.
[3]ابن رشيق:الديوان ص63.

وكأن مجرى الماء بين سطوحه مجرى مياه الوصل في كبد الصدى

في مثل إصراح الزجاج مرخم ومسطح يحكي إحمرار المجسد

يشبه الشاعر جريان الماء في النهر بوصل الحبيب للمحبوب بعد طول هجر ويصف هذا النهر مرة أخرى وصفا بديعا فهوفي حال السكون مكسو بالفضة فإذا جرى وتدفق ماؤه وخالطته أشعة الشمس غدا في ثوب من الذهب وهو في حال استقامة سيره شابه جمال منصل السيف استقام رأيت عليه رونق وإذا استدار فهو كسوار حول معصم

والنهر مكسو غلاله فضة فإذا جرى سيل فثوب نضار

وإذا استقام رأيت رونق متصل وإذا استدار رأيت عطف سوار

وهذا أسلوب كثير مالجأ إليه شعراء الأندلس "لأن التشكيل المكاني في القصيدة كالتشكيل الزماني معناه إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجاتها" يظهرإعجاب الشاعر الأندلسي بجمال الأماكن فهي جنته الفيحاء وشاطره هذا الإعجاب أهل المشرق والمغرب على حد سواء.

ويقول ابن رشيق في وادي المحمدية وكان يعجب أبا إسحاق الحصري.

تحكي غوار به غوارب بزّل جاءت بغير قوادم وهوادي[1]

وفي صفة النهر وماتفرع عنه من سواقي لري الأشجار:

وحبذا الورق فوق القضب ساجعة والماء في خلل الأشجار منسربا

سلت سواقيه منه صارما عجبا لا يأتلي الجذب منه ممعنا هربا

حسام ماء إذا كفّ الصبا انبعثت لصقله تركت في متنه شطبا

صفا ورق فكاد الجو يشبهه لو أنّ جوّا جرى في الروض وانسكبا[2]

[1] ابن رشيق:الديوان ص 67.

[2] المصدر نفسه، ص 196-197

و أنشد الشاعر ليعلى بن إبراهيم بن [عبد الخالق] الأريسي يصف بستانا خلال القرن الخامس الهجري به فوارة تفيض فوهاتها بالماء:

تفيض بالماء منه كل فوهة لكل فوارة بالماء تنذرق
كأنها بين أشجار منورة ظلت بمستحلس اللبلاب تستحف
بمجامر تحت أثواب مخلبة على مساحبها، دخانها يهف.

وصف الشاعرعبد الرحمان بن أبي العباس الكاتب الأطرابنشي منتزه المعتزية (بالفوارة):

البحرين جمّعت المنى عيش يطيب ومنظر يستعظم
قسمت مياهك في جداول تسعة يا حبّذا جريانها المتقسّم
في ملتقن بحريك معترك الهوى وعلى خليجك للغرام مخيّم
لله بحر النخلتين وما حوى الـ بحر المشيد به المقام الأعظم
وكأن ماء المفرغين وصفوه درّ مذاب واليسيطة عندم
وكأن أغصان الرياض تطاولت ترنو إلى سمك المياه وتبسم
والحوت يسبح في صفاء مياهها والطير بين رياضها يترنّم
وكأنّ نارنج الجزيرة إذزها نار على قضب الزبرجد تضرم
وكأنّما الليمون صفرة عاشق قد بات من ألم النّوى يتألم
والنخلتان كعاشقين استخلصا حذر العدى حصنا منيعا منهم
أوريبة علقتهما فتطاولا يستمحيان ظنون من يتوهم
يا نخلتي بحرى بلرم سقيتا صوب الحيا بتواصل لا يصرم
هنيتما أمن الزمان ونلتما كل الأماني والحوادث نرّم
بالله [رقاّ] واسترا أهل الهوى فبأ من ظلكما الهوى يتحرم
هذا العيان بلا امتراء إنما سمع الكيان زخارف تتوهم[1]

وفي وصف ربوع تلمسان لأبي جمعة التلاليسي:

[1] الجريدة ج 16 قسم شعراء المغرب,ص26.

سقى الله من صوب الحيا هاطل ربوع تلمسان التي قدرها استعلى
ربوعها كان الشباب مصاجي جررت إلى اللذات في دارها الذيلا
فكم نلتقيها من أمان قصية وكم منح الدهر الصتين بها التيلا
وكم ليلة بتنا بصفصفها الذي تسامى على الأنهار إذ عدم المثلا
وكدية عشاق لها الحسن ينتهي يعود المسن الشيخ من حسنها طفلا
تعم وغدير الجوزة السالب الحجا نعمت بها طفلا وهمت بها كهلا
ومنه ومن عين أم يحى شرابنا لأنهما في الطيب كالنيل بل أحلى
فيا جنة الدنيا التي راق حسنها فحازت على كل البلاد به الفضلا[1]

لتلمسان جمال طبيعي وبهجة تزري كل بلدةماجعلها عروسا يعلوها تاجها الطبيعي وبحسنها حازت تلمسان الفضل على كل البلادبل هي جنة الدنيا في نظر الشاعر.

وقال فيها لسان الدين بن الخطيب:

حيا تلمسان الحيا فربوعها صدق يجود بدرها المكنون
ما شئت من فضل عميم أن سقى أروى ومنّ ليس بالمنون
ورد النسيم لها ينشر حديقة قد أزهرت أفنانها بفنون
وإذا صبية أم يحى أنجبت فلها الشفوف على عيون العين[2]

وابن خميس الشاعر الصوفي التلمساني دائم الحنين إلي مدينته تلمسان يصفها وصفاً جميلاً وينوه بمفاتن الطبيعة مبدياً حسرته على فراقها فيقول:

تلمسان جادتك السحاب الروائح وأرست بواديك الرياح اللواقح

[1] محمد بن رمضان شاوش ,الغوثي بن حمدان إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر، مج 1، ج1 ، ص 186.
[2] المقري : نفح الطيب، ص265.

وسح على ساحات باب جيادها ملث يصافي تربها ويصافح
يطير فؤادي كلما لاح لامع وينهل دمعي كلما ناح صادح[1]

ولعل في هذا الوصف للطبيعة الحية والطبيعة الصامتة دليلاً على ما تزخر تلمسان من أماكن جميلة فجرت قرائح الشعراء وجعلتهم يتغنون بجمال هذه الطبيعة الساحرة في عفوية وصدق كما فعل ابن خميس:

لساقية الرومي عندي مزية وإن رغمت تلك الرواسي الرواشح
فكم لي عليها من غدو وروحة تساعدني فيها المنى والمنائح
فطرف على تلك البساتين سارح وطرف إلى تلك الميادين جامع
ظباء مغانيها عواطف وطير مجانيها شواد صوادح
على قرية العباد مني تحية كما فاح من مسك اللطيمة فائح[2]

وانتقل بعدها إلى وصف شلال الوريط الشهير بغدرانه التي يصب بعضها في بعض وبحدائقه الزاهية بعناصرها المختلفة مياهاً وخضرة ومناخاً وما إلى ذلك من المناظرالتي يستعذبها الشاعر يقول:

نسيت وما أنسي الوريط ووقفة أنافح فيها روضه وأفاوح
على ذاك الغدير وقد بدت لإنسان عيني من صفاه صفائح
أماؤك أم دمعي عشية صدقت علية فينا ما يقول المكاشح
لئن كنت ملاناً بدمعي طافحاً فإني سكران بحبك طافح
وإن كان مهري في تلاعبك سائحاً فذاك غزالي في عبابك سابح
قراح أتي بنصب من رأس شاهق بمثل حلاه تستحث القرائح
أرق من الشوق الذي أنا كاتم وأصفي من الدمع الذي أنا سافح[3]

[1] عبد الوهاب بن منصور: المنتخب النفيس في شعر ابن خميس,ط1، 1365,ص85
[2] المرجع نفسه، ص86.
[3] المرجع نفسه، ص87-88

وفي عصر أبي حمو الثاني اشتهر من الشعراء في تلمسان أبو عبد الله بن يوسف القيسي الثغري وأبو عبد الله بن جمعه التلاليسي وأبو زكريا يحيي بن خلدون، وكلهم نوهوا بمدينة تلمسان، معجبين بمفاتن الطبيعة فيها على غرار ابن خميس. فهذا الشاعر أبو عبد الله القيسي يعرب عن افتتانه بمدينة تلمسان، فيقول:

تاهت تلمسان بحسن شبابها وبدا طراز الحسن في جلبابها

قد قابلت زهر النجوم بزهرها وبروجها ببروجها وقبابها[1]

كان القيسي الثغري من شعراء الأمير أبي حمو الثاني، وقد تغني بجمال تلمسان في قصائده التي مدح بها أميره أبا حمو، يقول في إحداها:

سلطانها المولي أبو حمو الرضي ذو المنصب السامي الرفيع المعتلي

تاهت تلمسان بدولته علي كل البلاد بحسن منظرها الجلي

راقت محاسنها ورق نسيمها فحلا بها شعري وطاب تغزلي

عرج بمنعرجات باب جيادها وافتح به باب الرجاء المقفل

وقال أيضا فيما كتب بجناح قبة الزجاج رقوش ببهو هابمرمر أسود في بياض[2]:

لله بهو عز منه نظير لما زها كالروض وهو نضير

رصفت نقوش حلاه رصف قلائد قد نضدتها في النحور الحور

فكأنها والتبر سال خلالها وشى وفضة تربها كافور

وكأن أرض قراره ديباجة قد زان حسن طرازها تشجير

وإذا تصعد نده نوءا ففي أنماطه نور به معطور

شأو القصور قصورها عن وصفه سيان فيه خورنق وسدير

فإذا أجلت اللحظ في جنباته يرتد وهو بحسنه محسور

[1] أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي، ديوان الثغري التلمساني، جمع وتحقيق، نوار بوحلاسة، جامعة منتوري قسنطينة. ص 158

[2] المقري : نفح الطيب، ص186.

وكأن موج البركتين أمامه حركات سجف صافحته دبور
صفت بصفتها تماثل فضة ملك النفوس بحسنها تصوير
فتدير من وصف الزلال معتقا يسرى إلى الأرواح منه سرور
ما بين ءاساد يهيج زئيرها وأساود يسلى لهن صفير
ودحت من الأنهار أرض زجاجة وأظلها فلك يضيء منير
راقت فمن حصبائها وفواقع يطفو عليها اللؤلؤ المنثور
يا حسنه من مصنع فبهاؤه باهى نجوم الأفق وهي تنور
وكأنما زهر الرياض بجنبه حيث التفت كواكب وبدور
ولدسته الأسما تخير وصفه فخر الورى وإمامها المنصور
ملك أناف على الفراقد رتبه وأقله فوق السماك سرير
قطب الخلافة تاج مفرق دولة رميت بمحفلها اللهام الكور
وجرى إلى أقصا العراق لرعبها جيش على جسر الفرات عبور
نجل النبي ابن الوصي سليل من حقن الدماء وعف وهو قدير
بحر الندا لكنه متموج سيف العلا لكنه مطرور
طود يخف لحمله ووقاره ولجيشه يوم النزال ثبير
دامت معالية ودام ومجده طوق على جيد العلا مزرور
وتعاهدته من الفتوح بشائر يغدو عليه بها المسا وبكور
ما دام منزل سعده يرتاده نصر يرف لواؤه المنشور
ومشت به مرحا جياد مسرة وأدار كأس الأنس فيه سمير

وقال أيضا وكتب في بعض المباني البديعة ونصه [1]:

معاني الحسن تظهر في المغانى ظهور السحر في حدق الحسان
مشابه في صفات الحسن أضحت تمن بها المغانى للغوانى

[1] المقري :نفح الطيب، ج8، ص189.

فكل عمود صبح من لجين تكون في استقامة خوط بان
مفصلة القدود مثلثات مواصلة العناق من التدانى
تردت سابري الحسن يزرى بحسن السابري الخسروانى
وتعطو الخيزرانة من دماها بسالفة القطيع البرهمانى
لمجدك تنتمي لكن نماها إلى صنعاء ما صنع اليدان
يدين لك ابن ذى يزن ويعنو لها غمدان في أرض اليمان
غدت حرما ولكن حل فيها لوفدكم الأمان مع الأمانى
مبان بالخلافة ءاهلات بها يتلو الهدى السبع المثانى
هي الدنيا وسكانها إمام لأهل الأرض من قاص ودان
قصور ما لها في الأرض شبه وما في المجد للمنصور ثان

وقال أيضا مما كتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من البديع وكان إنشاؤها عام خمسة وتسعين وتسعمئة : [1]

باكر لدي من السرور كئوسا وأرض النديم أهلة وشموسا
وأعرج على غرفي المنيف سماؤها تلق الفراقد في حماي جلوسا
وإذا طلعت بأوجها قمر العلا لا ترتضى غير النجوم جليسا
شرق القصور بريقها لما اجتلت منى على بسط الرياض عروسا
واعتضت بالمنصور أحمد ضيغما وردا تحيز من بديع خيسا
ملكا أرى كل الملوك ممالكا لعلاه والدنيا عليه حبيسا
دامت وفود السعد وهي عواكف تصل المقيل لديه والتعريسا
وهناك ياشرف الخلافة دولة تلقى برايتها طلائع عيس

وقال أيضا في تمام البديع مبينا له :

يا مليكا ملكه فيمن ملك كطلوع الفجر من بعد الحلك

[1] المقري : نفح الطيب، ج8، ص189-190.

تم هذا القصر فاسكنه على حسن حال بدوام الملك

إن مهمة الشاعر الوصاف لتلك الرياض لا تعدو أن تكون كمهمة الرسام إذ يعمد في أغلب الأحيان إلى نقل مشاهد ذلك المكان بكل جزئياتهامحاولا المزج بينها وبين نفسه وتجسيد جمالية الأشياء فيه.[1]

إن تقنية الوصف تملؤ فراغ الأمكنة وتكشف عن أبعادها الحضارية ومستوياتها الإجتماعية لقد أصبح الوصف يقترب من التصوير الفوتوغرافي وينقل الواقع والعالم والموجودات مجزأة ومقسمة ومهمشة، ثم بترك للقارئ مهمة إعادة تركيبها وبنائها عن طريق القراءة "[2]

و بعيدا عن التقريرية والمباشرة ، فإن جمالية الكتابة الوصفية للحيز كما يقول الناقد عبد الملك مرتاض " تتمثل في الإيحاء والتكثيف دون الإطناب والتفصيل فكأنها تتكفل بقول نصف ماتريد قوله، وتترك النصف الأخر للمتلقي، فيكتمل العمل وتتشكل الجمالية ويتم التضافر بين الكاتب والقارئ"[3]"التصوير الواقعي للمكان ليس نفيا ولا إقصاء لشعريته، فالحديث عن المكان بالكلمة، يعني تجاوز أبعاده الواقعية إلى مستوى الرمز والتخييل".

[1] ينظر :بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ. د سيزا القاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984 ص100.

[2] رشيد قريبع :الرواية الجديدة في الأدبين الفرنسي والعربي

[3] عبد الملك مرتاض :في نظرية الرواية ص 143-150

6-الصورة الحضارية للمكان المعماري

مايزال موضوع الحضارة من أهم المواضيع الأكثر إثارة للفكر باعتباره مرحلة سامية من تطور الشعوب في المجالات المختلفة سواء المادية أو اللامادية. وإن الرجوع إلى الموروث الحضاري ضرورة لابد منها باعتباره المرجعية الثابتة والأساس القويم الذي يمكن الإنطلاق منه لكشف التميز الحضاري والذي يمكن من خلاله تفسير حركية الشعوب المختلفة، والعناصر المعمارية واحدة من أهم وجوهها المادية بمنشآتها ومبانيها وجسورها وشوارعهاوالذي يحمل جميع السمات غير الملموسة كالقيم والمعايير المكونة لها.[1]

وفيما يعتبر التراث المعماري من أبرز المنجزات التي تندرج تحت مظلة التراث الثقافي وهو مايصطلح عليه بالمناطق التراثية وهي" المواضع التي تعبر عن ذاكرة المكان وتحوي الجانب الجمالي والثقافي.... وتشتمل على أكبر حشد من المباني ذات القيمة الحضارية أو التاريخية"[2]التي يمكن للنص الشعري القديم أن يحفظها وقد أبادتها عوارض الزمن وتعاقب الحوادث فيؤرخ لها أو يقدمها في لوحات فنية لا يكتفي فيها برصد الواقع العمراني ويستعين بفنيات وأساليب مرتكزا على الخيال وما يمكن أن يبنيه من عوالم فاتنة.

إن المكان بشكله وملامحه المادية والمعنوية يعطي طابعا للهوية الذاتية القومية والحضارية ويشكل كيانا مستقلا للإنسان لذلك نجد المكان بملامحه المادية وبشكل أبنيته طابع الرمز الدال على هوية حضارية أو قومية محددة يقول الدكتور ياسين النصير :"فالمكان دون سواه يثير إحساسا ما بالمواطنة وإحساسا أخر بالزمن والمحلية، حتى لاتحسبه الكيان الذي لايحدث شئ بدونه".

تضيف خالدة سعيد "أن الموقف من الطبيعة والمكان مرتبط بنوعية التعامل مع الأرض، لكنه يتأثر بالموقف الذي يحمله الموروث الثقافي". [3]ومن ثم فالمكان التاريخي يستحضر لإرتباطه بعهد مضى، يرسم صورة تتجدد وتعود إلى الحياة كلما حضر مثيرها في نفس الشاعر لتكون الصورة عنده منطبعة في الذات تجد في الطبيعة والمكان مايماثلها ويشابهها فيتناظرالشعور والمثير في

[1] ينظر مصطفى داودي الحركة العمرانية والدلالات الحضارية خلال العصر الوسيط تلمسان "نموذجا" ص49

[2] المرجع نفسه، ص50

[3] ينظرابتسام دهينة :الصورة الشعرية من التشكيل الجمالي إلى جماليات التخييل.

صورة متشابكة، يتم فهمها بربط النظير بالنظير، الشعر أسلوب من أساليب العمران البشري فالتركيب الإستعاري بشكله المصغر الذي هو البيت أو شكله الكبير الذي يتجسد في القصيدة ليس إلا أسلوبا من الأساليب التي يتجلى فيها العمران البشري.

يقول قوستاف لوبون :" وما على المرء إلا أن ينظر إلى أثار العرب الأدبية والفنية ليعلم أنهم حاولوا تزيين الطبيعة دائما وذلك لما اتصف به الفن العربي من الخيال والنضارة والبهاء وفيض الزخارف والتفنن في أدق الجزئيات "[1]

لقد اعترف المستشرقون بعظمة العمارة وخصوصية الإبداعات النادرة التي تميز بها المسلمون في تشييدها فعندما زار "فرانك لويد رايت" مدرسة السلطان حسن عام 1958 قال عنها: "كيف يفكر قوم لديهم مثل هذه الروائع أن يتركوها ويستبدلوها بسوءات العمارة الغربية التي يحاول الغربيون أنفسهم التخلص منها؟"[2]

خصص ابن حمد يس الصقلي قصيدتين لوصف قصر المنصور فعبر الشاعر في أول الأمر عن جمال هذا القصر وقارنه بالمباني المشهورة التي شيدها العرب والفرس والروم فذكر كلا من الصحيح والمليح والخورنق والسدير وإيوان كسرى ومباني الروم فربط حاضره بالماضي التليد للعمارة الإنسانية وجعل القارئ يستحضرإبداع الحضارات التي سبقت عصر المنصور.

قصر لو أنك قد كحلت بنوره أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

نسي الصحيح من المليح بذكره وسما فقاق خورنقا وسديرا

ولو أن بالايوان قوبل حسنه ما كان شيئا عنده مذكورا

أعيت مصانعه على الفرس الأولى رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا

ومضت على الروم الدهور وما بنوا لملوكهم شبها له ونظيرا.[3]

[1] جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي 1969، ص 506.

[2] ينظر مصطفى داودي: الحركة العمرانية الإسلامية والدلالات الحضارية خلال العصر الوسيط تلمسان نموذج ص 53.

[3] رشيد بورويبة : الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ص : 246.

وهذا الشاعر الإيادي يوظف قصر الخورنق [1]ليجعل نصه الشعري مفتوحا على بوابة الماضي.

لها مجلس قد قام في وسط مائها كما قام في فيض الفرات الخورنق

ونجد كذلك الشاعر الثغري التلمساني يستدعي في مخيلته امرؤ القيس ويرسم له صورة خيالية يحوم فيها بربوع تلمسان تنسيه حومة حومل [2] :

فلو امرؤ القيس بن حجر راءها قد ما تسلى عن معاهد مأسل

لو حام نحو فنائها وظبائها ما كان محتفلا لحومة حومل

ومما وجد مرقوشا داخل القبة الخمسينية بقصر البديع يقول عبد العزيز الفشتالي[3]

وإن باكرته نسمة لسرى بها إلى كل أنف عرف عنبره قسطا

أقرت له الزهراء والخلد وانثنت أواوين كسرى الفرس تغبطه غيطا

يوظف الشاعر معالم عمرانية تاريخية منها الزهراء والخلد وأواوين كسرى فقصر البديع يضاهي هذه المباني التي أضحت مباني تختزل داخلها كثافة دلالية ورمزا حضاريا للعمارة.

"وفي نطاق مقارنة الفشتالي بغيره من الشعراء نرى أنه كان يتعمد السير في فلك ابن الخطيب، ومجاراته في نظمه، بل والإفتخار عليه في بعض الأحيان بجلائل أعمال مخدومه وعظمة ملكه، ومضاهاة مباني الخليفة المنصور ومفاخره العمرانية لمأثر الأندلسين ولمبانيهم وقصورهم، ويؤكد ذلك مقارنته بين ماشيده الأندلسيون والعباسيون وما شيده المنصور "[4]

فما صنعه المنصور أذكى في الشاعر جذوة متقدة أشعرته بالإمتياز، فقصره قدفاق ماشيده الأمويون في الأندلس، وخاصة مدينة الزهراء التي كانت آية من أيات الفن المعماري، كما فاق ماشيده العباسيون من مأثر، وخاصة قصر الخلد الذي بناه الخليفة المنصور العباسي

تتجلى القيمة التاريخية في العمائر من خلال التسابق في ظل صراع الأفضل في تشييد العمائر

[1] طه علي خليفة الحجازي:أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين, ص54.

[2] الثغري التلمساني :الديوان ,جمع وتحقيق ,نوار بوحلاسة,,ص 114.

[3] المقري:نفح الطيب ,ص186./ ورضة الأس ,ج6,ص51.

[4] نجاة المريني :شعر عبد العزيز الفشتالي جمع وتحقيق، مكتبة المعارف، ص230

التي تخلد أسماء وتمجد عصورهم وقد ذكر القضاعي أن أحمد بن طولون قال "أريد أن أبني بناء إن إحترقت مصر بقي وإن غرقت بقي" ومن هنا نرى كيف أدرك ابن طولون قيمة البناء التاريخية بالمحافظة على الجامع من الحرائق وأي كوارث قد تتسبب في هدمه.

وفي الدرسات الحديثة تقوم الحوارية كما بلورها باختين على مرتكز أساسي وجوهري: "أن أي نص لا يكون مستقلا بذاته، وإنما هو إمتداد طبيعي لما هو خارج عنه، إنه رهين النصوص الأخرى، ففي أي نص أو أي عمل أدبي يمكننا أن نكشف عن علاقات خارجية واضحة"

فتكون قضية التراث والتجديد هي قضية التجانس مع الزمان وربط الماضي مع الحاضر وإيجاد وحدة التاريخ، فالتراث والجديد يمثلان عملية حضارية في إكتشاف التاريخ بالكشف عن الهوية عن طريق الغوص في الحاضر.

"تحمل العمارة الإسلامية في طياتها معاني رمزية ومن أمثلة ذلك استخدام المقياس الضخم للإيحاء بالعظمة وتتابع الفراغات من الأكبر إلى الأصغر وهو يوحي بالخصوصية"[1]

كما تتميز العمائرالإسلامية بقيمة لها أهمية بالغة كبيرة في مجال التخطيط المعماري ومن ذلك أن التصميم المعماري لايعتمد على الشكل والزخارف فقط ولكن توفر العمائر الإسلامية وظيفة أخرى وهي وظيفة تحقق احتياجات المستخدمين فنجد المآذن لإعلان الصلاة والمنبر للخطبة وحنية المحراب لتحديد القبلة كماتبدوالوحدة في أشكال المآذن والقباب والعقود وكل هذه العناصر المعمارية التي تميزالعمارةالإسلاميةعن مثيلاتها من العمائر التي تعود إلى فترات سابقة.

وجعلت حديقة السطح في المعمار الإسلامي لخلق الظلال والجو الرطب حتى لا تتسرب الحرارة إلى الأدوار السفلية والإستمتاع بالهواء العليل ولاسيما في فصل الصيف كمالعب الماء دورا مهما في التشكيل المعماري حيث شكل وجود النافورات في مختلف المنجزات العمرانية الإسلامية سواء في المشرق أو المغرب والأندلس.

[1] ينظر: مصطفى داودي: الحركة العمرانية الإسلامية والدلالات الحضارية خلال العصر الوسيط تلمسان نموذج ص54

ومن جماليات إيحاءات التحضر في العمارة الإسلامية هو عدم الإكتفاء بمنتهى البناء وتحقيق الغرض المادي الجاف فلابد من إضافة سمة الجمال التي تمثل روح العمارة بالنظر للإيحاءات والدلالات الرمزية التي يهدف إليها في النهاية مشروع العمارة وتبرز تلك الجمالية فيما يعرف بالزخرفة الإسلامية ومن بين المعالم المعمارية التي ماتزال شاهدة على جمالية الزخرفة الإسلامية قصر إشبيلية ومئذنة الحلوية بتلمسان، ومايميز العمارة الإسلامية من زخارف تحمل في طياتها بالإضافة إلى الزينة قيما نفعية.

ترتبط العمارة الإسلامية بمجموعة من القيم والمفاهيم فالقيمة التاريخية مثلا تعتمد على مؤشر زمني ويعبرعنه بتاريخ إنشاء المبنى والثاني رمزي نستشف من خلاله واقع الحضارة في بيئة منشأ المبنى أو الأثر سواء من منطق الخصوصية والإبداع الذاتي أو من خلال الجدل والتمازج الحضاري بين الشعوب.[1] يقول الشاعر :

في عام ستمئة وستين سار لمراكش سلطان مرين
المنصور في كليز مبرزا في أحسن التبريز
وعاد فيها المرتضا محصورا ذا أرق في قصره مقصورا

لاننظر للعمائر الإسلامية على أنها مجرد مجموعة من الأحجاراتخذت أشكالا مميزة لها كأشكال القباب والمآذن أو غير ذلك بل ننظر إليها على أنها تحمل في طياتها مجموعة من السمات العامة التي تميزها عن غيرها من طرز العمارة التي عرفتها البشرية، وما من شك في أن القيم التاريخية والمعمارية والفنية التي تتسم بها هذه العمائر تحكي تاريخ الأمة بل أن كثيرا من هذه العمائر بقيمها المختلفة تقف شاهدة على عظمة أجدادنا ومابذلوه من جهد عملي في سبيل الريادة.

ولعل أول ما يلفت الانتباه حين نعود إلى النصوص الشعرية أن شعر المدينة في الأدب المغربي القديم يكتسي قيمة تاريخية تجعل منه وثيقة هامة تعكس واقع المغرب العربي في مرحلة مامن مراحله وعلى مستويات شتى وتسعف باستخلاص مجموعة من التصورات حول مجالات منه مختلفة سواء أتعلق الأمر بالجانب الجغرافي أم التاريخي أم الاجتماعي.

[1] مصطفى داودي، الحركة العمرانية الإسلامية والدلالات الحضارية خلال العصر الوسيط تلمسان نموذجا ص :54.

ومن أمثلة التأريخ تاريخ الإنشاء والفراغ من البناء و نسبة البناء إلى الخليفة أوالسلطان المنشئ في عهده"المكان بوصفه مكانا زمانيا يرتبط بتاريخ بعينه"[1]مثلا "كان الفراغ من بناء البديع عام اثنين وألف " وفي تاريخه يقول الوزير الفقيه الأديب القائد علي بن منصور الشيظمى وهو مما نقش في باب الرخام أحد أبواب البديع. [2]

الحسن لفظ وهذا القصر معناه يا ما أميلح مرءاه وأبهاه

فهو البديع الذي راقت بدائعه وطابق اسم له فيه مسماه

صرح أقيمت على التقوى قوائمه ودل منه على التاريخ معناه

ولاح أيضا وعين الحفظ تكلؤه تاريخه من تمام قل هو الله

وقال الوزير المذكور أيضا فيما نقش على أحد أبواب البديع :

باب أتى كبراعة استهلال وكأنما القصر المشيد التالي

ولذاك سمي بالبديع وجاء بـ ـالأعراب والتحسين والايغال

وأتى التمام فقلت من تاريخه بيتا بلا عقد ولا إشكال

صرح على التقوى من الله إبتنى في طالع للسعد والإقبال

ومما كتب على ستور القبة الخمسينية ما قاله عبد العزيز الفشتالي على لسان القبة وهذه الأبيات تحمل أكثر من قيمة فنية من حيث أنها تنتمي لشعر الرقوش حيث وجدت منقوشة داخل القبة الخمسينية الشهيرة بقصر البديع .

وقد أبدع الشاعر في هذه الأبيات بإنطاقه لهذه المعلمة التاريخية: [3]

جمال بدائعي سحر العيونا ورونق منظري بهر الجفونا

وقد حسنت نقوشي واستطارت سنى يعشى عيون الناظرينا

[1] عثمان اعتدال: اضاءة النص ص2

[2] العباس بن ابراهيم السملالي :الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام,ط2,ج1,الرباط,ص77.

[3] المقري : نفح الطيب,ج8,ص-188 -189.

وأطلع سمكي الأعلى نجوما ثواقب لا تغور الدهر حينا

ولا يفوت الشاعر الإشادة بالمنصور وذكر مناقبه وفضله على لسان القبة مما يعطي النص قيمة أخرى ويجعله وثيقة تاريخية مهمة يقول:

هو المنصور حائز فضل سبق وبانى المجد بنيانا مكينا
وليث وغى إذا زأر امتعاضا يروع زئيره هندا وصينا
إذا أمت كتائبه الأعادي بعثن برعبه جيشا كمينا
تدافع نهرها نحوى فلما تلاقي البحر في جرى دفينا
ترى شهب السماء بهن غرقى فتحسبها بها الدر المصونا
وقد نشر الحباب على سماها للألئ تزدرى العقد الثمينا
فخرت وحق لي لما إجتبانى لمجلسه أمير المومنينا
يدير عليهم من كل حرب تدقهم رحى أو منجنونا
إمام بالمغارب لاح شمسا به الشرق اكتسى نورا مبين
بقيت بذى القصور الغر بدرا تلوح بأفقهن مدى السنينا
تحف بكم عواكف عند بابي ملائكة" كرام" كاتبونا
لك البشرى أمير المومنين اد خلوها مع سلام ءامنينا
يقيد حسنها الطرف انفساحا ويجرى الفلك فيها والسفينا

وفي المسجد قال مؤرّخا بسنة خمس وتسعين :

تأمل يا ذكي الطبع وانظر لأمر محمد الباي المؤيد
بأمر الله سبحانه وتعالى بهذا المسجد المنشى المشيد
رجاء ثوابه يوم التنادي فصوب فيه طرفك ثم صعد
بعون الله تاريخه لمبنى على تقواه مسجده محمد

7-شعر الرقوش

شعر الرقوش صيغة حضارية مزجت بين فن الخط والشعر والزخرفة وخلدت أشعار أهل العصر، ومن الناحية الحضارية ترصدهذه الأشعارأعمال رجال لهم دور حضاري في التاريخ والمجتمع اجتمعت أدوارهم ليحققوا تحفة جمالية تجمع مابين فنون الشعر والخط والعمارة[1]

8-1-الرقوش على المدارس المرينية:

يعتبر المرينيون أعظم بناة للمدارس في بلاد المغرب، فعلى أيدي سلاطينهم شيدت مدرسة أو أكثر في كل مدينة من كبريات المدن المغربية أنذاك وبخاصة مدينة فاس عاصمة ملكهم ودار حكمهم [2]، كما ذكر ابن مرزوق أن السلطان أبا الحسن علي أنشأ في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى مدرسة، كفاس وتازة ومكناس وسلا وطنجة وسبتة وأنفا وأزمور وأسفي وأغمات ومراكش لقصر الكبير.[3]

ولئن كان أكثر هذه المدارس إندثر، إلا أن الباقي منها أثار فنية أصيلة تشهد بالنضج والإزدهار الذي بلغه الفن المريني وهي بحسب ترتيبها التاريخي : [4]

المدرسة	تاريخ انشائها
مدرسة الشهود أو القاضي بمكناس	أنشأهايعقوب بن عبد الحق حوالي674هـ/1275م
مدرسة الصفارين بفاس القديمة	أنشأها يعقوب بن عبد الحق 675هـ/1276
مدرسة دار المخزن بفاس الجديدة	شيدها أبو سعيدعثمان 721هـ/1321م
مدرسة الصهريج وملحقاتها مدرسة السبعيين بفاس القديمة	أبي الحسن علي 723هـ/1323م

[1] ايمان الجمل :فن الرقوش في الشعر الأندلسي، دار الوفاء، الإسكندرية، ص65.

[2] محمد السيد محمد أبورحاب :المدارس المغربية في العصر المريني :دراسة أثارية معمارية، ط1، 2011، ص 225.

[3] ابن مرزوق: مرجع سابق، ص 34 -35

[4] المرجع نفسه ص 226

مدرسة العطارين	شيدها أبو سعيد عثمان 525هـ/1325م
المدرسة الجديدة بمكناس التي تسمى بالبوعنانية بفاس القديمة	شيدها أبو سعيد عثمان 751-756هـ.

***مدرسة الشهود أو القاضي بمكناس:** تعرضت هذه المدرسة لكثير من أعمال الترميم والتجديد مما أفقدها الكثير من عناصرها الزخرفية من أهمها التي أجريت على يد السلطان إسماعيل العلوي (1130هـ/1717م) وذلك وفقا للكتابات المنقوشة بالخط الثلث على بلاطات من الزليج الأخضر بالواجهة الجنوبية لصحنها، نصها "بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليما":

بحمد إلاهي أبتدى وصلاته على أحمد المختارطول المدى تترا
تأمل جمالي كي ترى الأيةالكبرى أحاكي الزهر في السنا والعلا زهرا
تأنق في البنيان والوشى صانعى أنا منزل القراء حزت بذا فخرا
عن أمر أمير المؤمنين الذي سما بنسبته للمصطفى وعلا قدرا
أبي النصر إسماعيل كمل بهجتي بناظره السهلي قد سهل الأمر
سليل العلا فراح عبد الرحيم من بإتقانه الأوقاف يلتمس الأجرا
وكملت عام الألف مع مائه وزد ثلاثين شهر المولد أحبب به شهرا[1]

***مدرسة العطارين بفاس القديمة:** تزين الشريط العلوي أربعة أبيات من الشعر من بحر البسيط .

قدست بالبر والرضوان تقديسا مذ صرت أسا بجمالات
أفوق قصرا مشيدا عزة وعلا إذ عز علم علا لا عرش
لثالث قدم العشرين أسسني وسبعة قبلها مئين تأسيسا

[1] محمد السيد محمد أبورحاب :المدارس المغربية في العصر المريني :دراسة أثارية معمارية، ط1، 2011ص262.

وجود عثمان بن يعقوب من به العلوم مساندا وتدريسا

تعتبر النصوص الكتابية التي يشتمل عليها هذا الأثر من أهم المصادر التي تكشف اللثام عن تاريخ إنشائه ومؤسسه. أما تاج العمود الثاني، فيبلغ عرض الشريط السفلي تزينه كتابات شعرية بالخط الكوفي من بحر الكامل، نصها:

فاذا طبق حسنه الآ فاقا ما إن تهمم للفخار بمثله

منعوا الطراف وألموا الأعتاقا وذووا الحلوم إذا رأوه بديهة

أما الشريط العلوي فهو يشبه مثيله بالعمود الأول السابق وصفه، وتزينه كتابات شعرية بالخط الثلث من بحر الكامل، نصها :

يعلي العلوم ليرضي الخلاقا أعلام سعدك ياملیك لم يزل

يجلي القلوب ويسحر الأحداقا تبقى لمجدك بالذي شيدته

مما تلائم شكله إشراقا حسنا ترى للشمس في أرجائه

نورا تباين جواهرا قد راقا تبدى بناظر جوه من ظاهر

ويزين الشريط العلوي كتابات بالخط الثلث تتضمن أربع أبيات من الشعر من بحر الكامل منفذة بالخط الثلث :

عثمان مولانا له سباقا إذ لو مسابقة الملوك له أرى

بلغ المغارب قصده وعراقا ماكابن يعقوب بن عبد الحق من

ما إن يزال نها له تواقا تبنى المدارس للعلوم بهمة

أربى به من المخلصين وفاقا ولحبه في المصطفى قدم وقد[1]

[1] محمد السيد محمد أبورحاب :المدارس المغربية في العصر المريني :دراسة أثارية معمارية، ط1، 2011ص 334

***مدرسة أبي الحسن (المدرسة الجديدة) بمكناس:**

ليس لما قرت به العين ثمن لابأس بالغالي إذا قيل حسن

فقد نقش على حشوتين من الجص على يمين ويسار المحراب كتابات بالخط الثلث عبارة عن أبيات من الشعر، نصها على يمين على المحراب :

أربت على كل سنا ونزهة نزه جفونا منك في مدرسة

كروضة غب إنسكاب ديمة لقد تبدت في فنون وشيها

فكمل الحسن بها وتمت أكملها الباني على اتقانها

على العالي الندا الخليفة بأمر مولانا المطاع أمره

وأظهر الحق بكل وجهه من شرف العلم وأعلى قدره

ونصها على يسار المحراب

ابن أبي الحميد السيرة على يدى قاضيه في مكناسة

من بعد سبعمائة للهجرة عام ثلاثين وست خلت

مكناسة العز أتم نصره فنصر الرحمان من زان بها

بفضل جد وكريم نية ونفح الذي أقام حسنها

وتلى الأذن لها بالرفعة مارفعت بيوتة في أرضه[1]

8-2-الرقوش على القصور: باعتبار الشاعر عبد العزيز الفشتالي وزير القلم الأعلى ومؤرخ الدولة السعدية الرسمي وشاعرها المقدم في القصر، من الطبيعي أن يكون من السباقين إلى وصف هذه المعالم الخالدة وإلى نظم الأشعار المناسبة لكي تنقش على جدرانها وأعمدتها.

تتنوع مواضيع الأشعار المرقوشة على القباب والأبواب والجدران من وصف ومدح

[1] محمد السيد محمد أبورحاب :المدارس المغربية في العصر المريني :دراسة أثارية معمارية، ط1، 2011 ص 354

وتأريخ لهذه المعالم ومثلها الستائر المذهبة المعروفة بالحائطي والتي نقش عليها هي الأخرى بعض الأشعار. ومما كتب بستور البديع وما أنشده بعض أهل العصر في المغرب بقصد أن يرسم في الأستار المذهبة المحكمة الصنعة التي جعلها السلطان المنصور أبو العباس الشريف الحسين رحمه الله تعالى لكي يستر بها النواحي الأربع من القبه الكبيرة بالبديع، وتسمى هذه الستور عند أهل المغرب بالحائطي.

ومما قاله لسان الدين بن الخطيب في (دور خشبي بدار بمكناسة الزيتون) في النفاضة: "قرأت بالدور الخشبي في الدار التي نزلت بها بمكناسة الزيتون أبياتا منقشة استحسنتها لسهولتها فأخبر في أنها من نطمة. ، وأنشدني كثيرا من شعره "[1].

انظر إلى منزل متى نظرت عيناك يعجبك كل ما فيه

يبتئ عن رقعة لمالكه وعن ذكاء و الحجا لبانيه

يناسب الوشي في أسافله ما يرقم النقش في أعاليه

كأنه روضة مد بّحة جادلها وابل بما فيه

فأظهرت للعيون رخرفها ووافقتها على تجلّيه

فهو على بهجة تلوح به ورونق للجمال بيدية

يشهد للساكنين أنّ لهم من جنة الخلد ما يحاكيه[2]

وعلى الجهة الثالثة :

ملك تقاصرت الملوك لعزّه ورماهم بالذل والإتعاس

[1] أي نظم الجنان المذكور مغربي من مكناسة الزيتون، وهو الشيخ الفقيه العدل الأديب الأخباري المشارك، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي، الجنان، من أهل الظرف والانطباع والفضيلة، كاتب عاقل ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم، له تضيف حسن في ثلاث مجلدات سماه " المنهل المورود، في شرح المقصد المحمود " شرح فيه وثائق أبي القاسم الجزيري المالكي، فأربي على غيره بيانا وإفادة. قال في " نفاضة الجراب": وناولني إياه، وأذن لي في حملي عنه

[2] المقري . نفخ الطيب. ج 8,ص 182 -183.

غيث المواهب بحر كل فضيلة ليث الحروب مسعّر الأوطاس

فرد المحاسن والمفاخر كلها قطب الجمال أخو الندى والباس

ملك إذا وافد البلاد تأرّجت منه الوهاد بعاطر الأنفاس[1]

وعلى الجهة الرابعة :

وإذا تطلّع بدره من هالة يعشي سناه نواظر الجلاس

أيامه عددا تحلت كلّها أبهى من الأعياد والأعراس

لا زال للمجد السنيّ يشيده ويقيم مبناه على الأساس

ما مال بالغصن النيم وحببت درر الندى في جيده الميّاس[2]

وما أنشدنيه بعض العصريين من المغاربة لصاحبنا المرحوم الفقيه الكاتب المحقق أبي محمد الحسن بن أحمد المسفيوي المراكشي[3]، مما كتب في بعض مباني الوزير العلامة الأجلّ عبد العزيز الفشتالي رحمه الله تعالى.

أجل المعلّى من قداح سروري وأدر كؤوس الأنس دون شرور

خلعت على عطف البهاء محاسني فكست به الأفاق ثوب جبور

وتناسق الوشي المفوّف حلّتي نسق الشذور على نحور الحور

شأو القصور قصورها عن رتبة لي بالسنا الممدود والمقصور

في المبتنى المراكشي وأفقه أزرى على الزوارء والخابور

أعلى مقامي البارع الأسمى الذي قد حاز سبق النظم والمنثور

فإذا أقلّ بنانه أقلامه نفثت عقود السحر بين سطور

---

[2]. المقري: نفخ الطيب / ج8. ص 184.

[3]أحد مشاهير الكتاب بباب أمير المؤمنين المنصور بالله أبي العباس الشريف الحسين ملك المغرب

عبد العزيز أخو الجلالة كاتب سرّ الخليفة أحمد المنصور

لا زال في يمين وأمن ما شدت ورق بروض بالندى ممطور

كان من جملة اللاجئين إلى وهران من الأندلسيين، الملك السابق لمملكة (غرناطة) أبو عبد الله الزغل أميرمالقة [1] وقد عثر على شاهد قبره بـ تلمسان كتب عليه ما يلي :

قبر سلطان قدمات في حالة انجلائه بتلمسان غريبا بهما بين نسائه.

بعد أن جاهد في الله جهد إعتنائه حكم الدهر عليه قهرا حكم قضائه.

وأتاه الله صبرا عند إنزاله بلائه فسقى الله قبره دائما غيث سمائه[2]

[1] عم آخر ملوكها المشهور عند الكتاب الأوروبيين بـ (بوعبدل)، وقد انتقل من وهران إلى تلمسان حيث دفن بها سنة (899)،

[2] ينظرالمقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 2، ص 614.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال ما تم استقصاؤه من النصوص والنماذج فى مواقف متعددة لشعراء المغرب العربي خلصت فيها إلى مجموعة من النتائج منها:

– الشعر تعبير عما قد تعجز كتب التاريخ عن رصده وإيصاله لنا عبر المسافات الزمانية والحضارية. ونجد الصورة الحضارية فرضت نفسها على الشاعر، وتسربت إلى مجموع شعره فأفاد منها وألقى رداءها على موضوعات وصفه، بالرغم من وجود نماذج شعرية في هذا الباب إلا أن الإنتاج الشعري يبقى قليلا مقارنة بالأقطار المجاورة كالأندلس، وماورد من قصائد اندرج ضمن أغراض أخرى وفي مقطعات متناثرة .

– ورد فن وصف المنشآت المعماريةاستطرادا عن المدح حتى غدا موضوعا بذاته ينافس الموضوع الأساس حيث أخذ هذا اللون من الوصف اهتماما بين صفوف الشعراء العرب وأخذ من دواوين إبداعهم مساحة لا يستهان بها .نجح الشعراء في تصوير البيوت والقصور وأبدعوا في ذلك ، وإن كان دافعهم في بعض الأحيان مدح أصحابها وأهلها فالقصرمثلا وسيلة لتعظيم صاحبه. ولم تكن الديار والقصور فقط محل إهتمام الشعراء بل اهتموا بموضوعات جديدة كالمدارس ودور العلم خاصة بتلمسان ومراكش.

– لم يصور الشعراء العمارة بصورتها المادية الجامدة بل تعدوا إلى وصف ملحقاتها ومايحيط بها من طبيعة أدخلت البهجة والحياة إليها وعلى كل لوازمها فاشترك في بناء صورتها الفنية كل العناصر الحركية والصوتية واللونية هناك عديد من الشعراء يصفون المدن والقرى والأحياء بلون من ألوان العجب والارتباط الشعوري والوجداني والإنساني. فالشاعرعندما يتعلق بموطنه لا يفتأ يذكر مآثر مدينته، ويبث رسائل النجوى والشوق والهيام. فشعر الشوق والحنين إلى الأوطان نستشعر فيه حميمية الإنتماء الشخصي الوجداني لاسمها ولأرضها ولمائها وسمائها.

–اعتمد الشاعر ضربا من الخيال الحسي الذي يقارن بين مشهد وآخر فهو خيال قرب الأشياء بعضها إلى بعض، إنه خيال ناقل مصور، يبدوخاصة في تشبيه الانعكاس على الزجاج، باللجج المتموجة، وبتشبيه ألوان الزهرفي البستان. كماتبدو براعة الشاعر الفنية واقتداره على رسم المشاهد وتقريبها حتى نتمثل الصورة من خلال اللفظة شغف الشعراء بالقصور. داخلها وخارجها باطنها وظاهرها،و بهرتهم الحدائق والرياض والبساتين والأنهار والبرك فكانت القصور وما يدور حولها من

حدائق وأسوار وفوارات وتماثيل هي محور شغفهم الفني مما جعلهم يخلعون عليها أوصافا متباينة ومختلفة. كما نالت عناصر معمارية أخرى بسيطة حيزا من الاهتمام والتخليد كالدور.وبذلك أكسب الشاعر الجماد شعورا إنسانيا صنع لوحات حية. تناول فيها مظاهر الطبيعية والأثار الحضارية فأحياهاو من هنا ظهرت أمثلة كثيرة للتشخيص.

-لم يقف الشعراء في الأدب المغربي القديم عند هذا الحد وإنما تناولوا جوانب أخرى كبكاء المدن عند حدوث الفتن والحروب فمثلت المدينة كيانا داخل الشاعر فهو يمدحها ويتشوق اليها ويحن الى رؤياها إن كان يعيش خارجهاكابن خميس التلمساني وابن رشيق المسيلي وابن شرف القيرواني والحصري.

-حول الشعراء مدنهم إلى جنات وفاضلوا بينها وبين مدن لها صيتها التاريخي والحضاري في المشرق والأندلس وفاضلوا حتى بين المدينة وجاراتها من المدن في المغرب العربي وقد خالط هذه المفاضلات أحيانا غرضا المدح والهجاء، فنجد الشاعر يمدح مدينته ويهجو أخرى لأسباب خاصة به.

-شعر الرقوش صيغة حضارية مزجت بين فن الخط والشعر والزخرفة وخلدت أشعار أهل العصر، ومن الناحية الحضارية ترصدهذه الأشعارأعمال رجال لهم دور حضاري في التاريخ والمجتمع اجتمعت أدوارهم ليحققوا تحفة جمالية تجمع بين فنون الشعر والخط والعمارة.

-شكل كل من هذا الشعر والعمارة توأمة حضارية يعد الشعر فيها وثيقة هامة تعكس واقع المغرب العربى على مستويات شتى فى مختلف المراحل من ذلك ما نجده من حقائق تاريخية مهمة ولذلك يمكن أن إن دراسة الجانب المعماري ضمن الغرض الشعري بالمغرب العربي لم تحظ بالعناية الأكاديمية لقلة الإنتاج الشعري أولا في هذا المضمار وانصراف معظم الشعراء إلى أغراض أخرى مست الروح أكثر من المادة كون أهل المغرب حديثي عهد مع الإسلام وتأثرهم بتعاليمه واضح من خلال النزعة الدينية المحافظة فكان للزهد وماقيل في المولديات حظ وافر.

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرآن الكريم برواية حفص

الدواويين

1. أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الأندلسي، ديوان الثغري التلمساني، جمع وتحقيق نوار بوحلاسة، منشورات مخبر الدراسات التراثيبة، جامعة منتوري، قسنطينة.
2. ديوان ابن شرف القيرواني أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني، تحقيق، حسن ذكرى حسن، مكتبة الكليات الأزهرية.
3. ديوان ابن الأبارأبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي، الدار التونسية، قراءة وتعليق عبد السلام الهراس، ط2، 1986.
4. ديوان البحتري، شرحه يوسف الشيخ محمد، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
5. ديوان أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، تحقيق عبد الله محمد الهوني، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
6. ديوان حازم القرطاجني، تحقيق، عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
7. المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، عبد الوهاب بن منصور، مطبعة ابن خلدون تلمسان، ط1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

1. ابراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا(1925-1962) دار هومة، ط2، 2001.
2. أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978.
3. اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1948.
4. اسماعيل العربي، عواصم بني زيري ملوك أشير، القلعة، بجاية، غرناطة، المهدية، ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
5. الإصطخري :المسالك والممالك. تح محمد جابر عبد العال، القاهرة، 1961.
6. اعتدال عثمان، إضاءة النص، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1988.
7. امحمد بن لخضر فورار، من شعراء الأندلس مختارات من شعرهم، منشورات مخبر أبحاث اللغة والأدب العربي جامعة محمد خيضر، ط1، 2013.
8. ايليا الحاوي، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، دار الكتاب البناني، دار الكتاب المصري، ط2، 1987.
9. ايمان الجمل، فن الرقوش في الشعرالأندلسي، العصر الغرناطي نموذجا، ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006.
10. بهاء حسب الله، شعر الطبيعة بين الأدبين الفاطمي والأيوبي، القرن السادس نموذجا، دار الوفغاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006.
11. الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعلية وتقديم، عبد الله حمادي، منشورات مديرية الثقافة، قسنطينة، ط ج، 2011.
12. الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الأداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دار الغرب الإسلامي، ، ط1، 1990.

13. حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي(قراءة موضوعاتية جمالية)، دمشق، 2001.

14. حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي. منشورات اتحاد الكتاب العربدمشق، 2001.

15. أبو الحسن الحصري القيرواني، عصره، حياته، ديوان المتفرقات، ياليل الصب، ديوان المعشرات، اقتراح القريح، ، محمد المرزوقي، الجيلاني بن الحاج يحي، مكتبة المنار، 1963.

16. حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، القسم الأول، مكتبة المنار، ط2.

17. ابن حوقل : صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1938

18. خالد ابراهيمّ يوسف، الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2003.

19. الربعي بن سلامة، الحضارة الإسلامية بين التأثير والتأثر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.

20. رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها.

21. روناهك توفيق علي النورسي، بغداد في الشعر العباسي، دراسة في شعر المدينة، الرؤية والفن، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2009.

22. أبو زكريا يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق، عبد الحميد حاجيات، المكتبة، الجزائر، 1980.

23. ساسين سيمون عساف، الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1982.

24. سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية بيروت، ط1،

.2006

25. سعد بوفلاقة، دراسات في أدب المغرب العربي، منشورات بونة للبحوث والدراسات بونة الجزائر، ط1، 2007.

26. السعيد بحري، الشعر في ظل الدولة الحفصية، دراسة تاريخية فنية، دار بهاء للنشر والتوزيع، 2009.

27. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011.

28. السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1972.

29. السيد عبد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.

30. ضاهرأبو غزالة، الشعر والعمارة توأما حضارة (دراسة عباسية)، دار المنهل البناني، ط1، 2001.

31. ضياء عبد الرزاق العاني، الصورة البدوية في الشعر العباسي، ط1، 2010.

32. الطاهر طويل، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب العربي من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ط1، 2011،

33. طه علي خليفة الحجازي، أدب القيروان في عهد الأغالبة والفاطميين.

34. أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.

35. عبد الجواد السقاط، تجليات المدينة في الشعر العربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000.

36. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر

والتوزيع، الجزائر 1982.

37. عبد الرحمان أبو زيد ولي الدين بن خلدون، مقدمة، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 2004.

38. عبد الرحمان بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الأمة، 2008.

39. عبد العزيز لعرج، جمالية الفن الإسلامي، في المنشآت المرينية، بتلمسان، دار الملكية، 2006.

40. عبد العزيز نبوي، محاضرات في الشعر العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

41. عبد الله حمادي، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث قسنطينة، ط1، 1986.

42. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، 1925.

43. عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، دار هومة، 2003.

44. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح تع: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، والدار البيضاء، 1955.

45. أبو عبيد البكري :المسالك والممالك، ج2تح، جمال طلبة، دار الكتب العلمية بيروت.

46. عماد الدين الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر.

47. العربي دحو، الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

48. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وضواهره الفنية والمعنوية، دار

العودة ودار الثقافة، بيروت، ط3، 1981.

49. ابن عذارة المركشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق: كولان، ليفي بروفسال، دار الثقافة، بيروت.

50. فاطمة قرورة الشامي، تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي، دار النهضة العربية، ط1، 1997.

51. أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي: مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا، تح: عبد الله كنون، المطبعة المهدية، 1964.

52. فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانة النص الشعري، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

53. فتيحة كحلوش، بلاغة المكان، ط1، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2008

54. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، المجلد الرابع، دار صادر بيروت، لسان العرب.

55. فؤاد افرام البتاني، ابن حمديس، منتخبات شعرية، منشورات دار المشرق، بيروت، ط3، 1984.

56. فون شاك، الفن العربي في اسبانياوصقلية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، 1904.

57. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر.

58. كمال السيد أبو مصطفى، دراسات مغربية و أندلسية في التاريخ والحضارة، 2007.

59. كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

60. محمد أحمد ربيع، دراسات وأبحاث في الأدب العربي، الوراق للنشر والتوزيع، ط1،

.2011

61. محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، ومحمود بوعيّاد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

62. محمد الصغير بناني، البلاغة والعمران عند ابن خلدون، ديوان المطبوعات الجامعية، 1996.

63. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، عن وزارة الثقافة العربية، الجزائرعاصمة الثقافة العربية، 2007.

64. محمد اليعلاوي، ابن هانئ الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، 1985.

65. محمد بشير حسن راصي العامري، مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، ط1، 2012.

66. محمد حسن عبد الله:الصورة والبناء الشعري، دار المعارف.

67. محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، 1981.

68. محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ط خ، وزارة المجاهدين.

69. محمد مرتاض، مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم (محاولة تنظيرية تطبيقية)، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998.

70. محمد مسعود حيران، أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب البإسلامي، دار المدار الإسلامي.

71. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ أداب العرب، ج3، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 2010.

72. المقدسي :أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت 2003..

73. المقري، نفح الطيب.

74. نجاة المريني، شعر عبد العزيز الفشتالي، مكتبة المعارف، الرباط.

75. نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب البناني، بيروت، 1962.

الرسائل الجامعية:

1. بن عمارة منصورية: المكان في الشعر المغربي القديم، جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان – مذكرة ماجستير في الأدب المغربي القديم من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري، 2011.

2. الطالب أحمد عقون: رثاء المدن والممالك الزائلة في الشعر العربي في الشعرالمغربي القديم (399-923)، رسالة، ماجستير، 1987، جامعة قسنطينة.

3. عبد القادر قويش: الحياة الأدبية في تلمسان في القرن الثامن الهجري، مقدمة إلى قسم اللغة العربية وأدابها في الجامعة الأردنية استكمالا لدرجة الماجستير، 1988.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: التراث المعماري بالمغرب العربي	
1-جغرافية المغرب العربي	2
2-العمارة لغة	7
3-العمارة اصطلاحا	9
4-أهم الحواضر المعمارية بالمغرب العربي	14
5-التأثيرات الفنية الواقعة بين عمائر المغرب والبلاد الإسلامية	23
5-1-التأثيرات الفنية الواقعة بين عمائر الشرق والمغرب	23
5-1-التأثيرات الفنية الواقعة بين عمائر المغرب والأندلس	24
5-1-2-التأثيرات القرطبية في عمارة المغرب الأقصى	26
5-2-2-التأثيرات القرطبية في عمارة المغرب الأوسط	29
5-3-مآثر المرابطين والموحدين المعمارية والثقافية	33
الفصل الثاني: الصورة المادية للعمارة في غرض الوصف	
نبذة عن الحركة الشعرية بالمغرب العربي القديم	27
1-وصف الحواضر ومعالمها	42
*وصف مدن المغرب العربي	43
*مدينة تونس	45
*مدينة مراكش	46

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

*مدينتا فاس وسبتة	49
2-وصف القصور	51
*قصور قلعة بني حماد	52
*قصر المنصور بالقيروان	61
*قصر الربيع	63
*قصر البديع بمراكش	64
3-وصف الدور	67
4-وصف المقصورات	71
الفصل الثالث: **الصورة الوجدانية للعمارة في الأغراض الشعرية**	
1-الشوق والحنين للعمارة المدينة	76
*مدينة القيروان	78
*مدينة سلا	80
*مدينة مراكش	80
*مدينة بليونش	82
2-رثاء المدن والأمصار	84
2-1-رثاء مدينة تيهرت	85
2-2-رثاء مدينة القيروان	88
3-المفاضلة بين عمارة المغرب والمشرق	97

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4-المفاضلة بين مدن المغرب والأندلس	101
الفصل الرابع: **شعرية المكان المعماري**	
1-تصوير المكان المعماري	107
2-تشكيلات فنية للمكان في شعر العمارة	109
2-1- المكان والمتخيل الشعري	110
2-1-1-التشخيص	111
2-1-2-التشبيه	115
2-2-المعجم الشعري للمكان المعماري	115
2-2-1-دلالات ألفاظ العمارة	116
*القصر	117
*الأبواب	119
*الساحات	125
*السقوف	126
*الستائر	126
3-حقل الصور اللونية	129
4-حقل الصور الصوتية	132
5-تصوير مظاهر الطبيعة المحيطة بالعمارة	135
6-الصور الحضارية للمكان المعماري	145

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

7-شعر الرقوش	152
7-1-الرقوش على المدارس المرينية	152
7-2-الرقوش على القصور	155
الخاتمة	160
قائمة المصادر والمراجع	163
فهرس الموضوعات	172
الملخص	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص

البحث موسوم بعنوان (العمارة في الشعر المغربي القديم) يجمع هذا البحث بين جانبين حضاريين أبدعهما كلا من المعماري والشاعر على أرض المغرب العربي خلال العصر الوسيط.

فكيف تفاعلا هذين النتاجين وشكلا توأمة حضارية؟ وهل استطاع الشاعر بالمغرب العربي أن يخلد ما أبدعه الفنان المعماري على مدى مساحات شاسعة من الزمن؟ وهل ما سجله الشاعر عن المعمار كان مستقلا في قصائد خاصة به أم اندرج ضمن أغراض أخرى؟ وما مدى تجسيد الشاعر المغربي لخصائص الشخصية المغربية في بناء لبنة من لبنات الحضارة الإسلامية؟

وللكشف عن هذا الموروث الشعري المعماري، قسمت البحث إلى محورين أساسيين:

جانب مادي تطرقت فيه للتراث المعماري بالمغرب العربي، محددة مجاله الجغرافي، مع ذكر أهم حواضره الثقافية والتأثيرات الفنية الواقعة بين عمائر بلاد المغرب العربي وباقي البلاد الإسلامية بالمشرق والأندلس.

أما الجانب الشعري، فمثلته الصورة المادية للعمارة في غرض الوصف، مع تحليل أبعادها الجمالية والحضارية، تلتها الصورة الوجدانية ضمن أغراض شعرية مختلفة، منها الشوق والحنين ورثاء المدن، لأختم بشعرية المكان المعماري وأهم تشكيلاته الفنية من خلال عرض بعض الصور الصوتية واللونية والحضارية.

أما عن أهم النتائج المتوصل إليها:

-الشعر تعبير عما قد تعجز كتب التاريخ عن رصده وإيصاله لنا عبر مسافات زمنية وحضارية بعيدة، لذلك نجد الصورة الحضارية فرضت نفسها على الشاعر وتسربت إلى مجموع أشعاره، فأفاد منها في أغراض مختلفة كالوصف والرثاء.

-شكل كل من الشعر والعمارة توأمة حضارية عكست الأبعاد الفنية والجمالية لبلاد المغرب العربي.

-شعر الرقوش صيغة حضارية مزجت بين فن الخط والشعر والزخرفة، وخلدة أشعار أهل العصر بالمدارس والقصور.

-تصدى كل من ابن حمديس الصقلي عبد العزيز الفشتالي ابن شرف ابن رشيق الثغري التلمساني، ابن خميس، ولسان الدين بن الخطيب لتخليد معالم معمارية ضمنتها أشعارهم.

وأخيرا فإنّ جهود الباحثين والدارسين للأدب المغربي ومساعيهم الحثيثة بحاجة إلى إصرار لمواصلة البحث والكشف عن الإرث الحضاري بالمغرب العربي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية